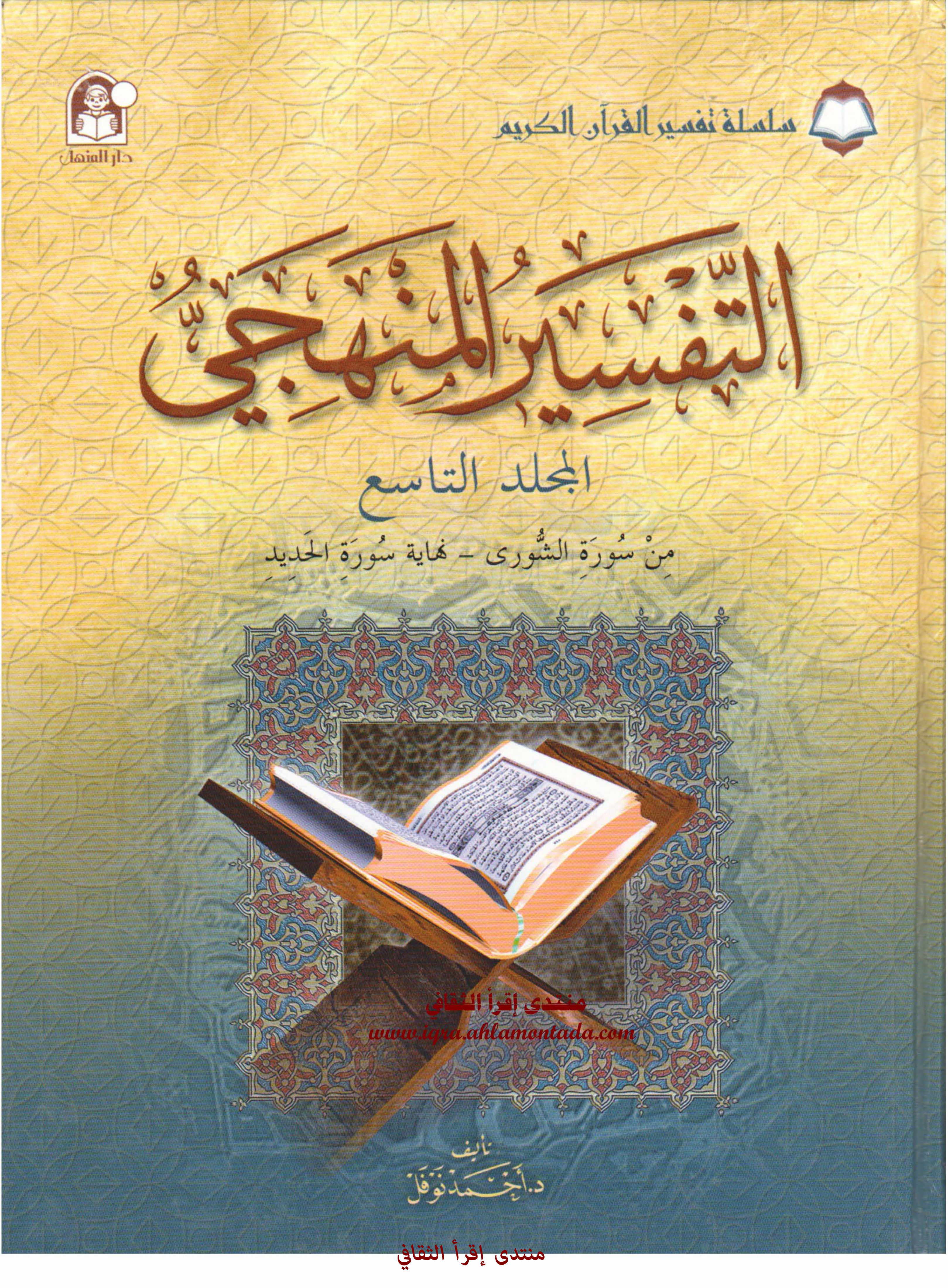
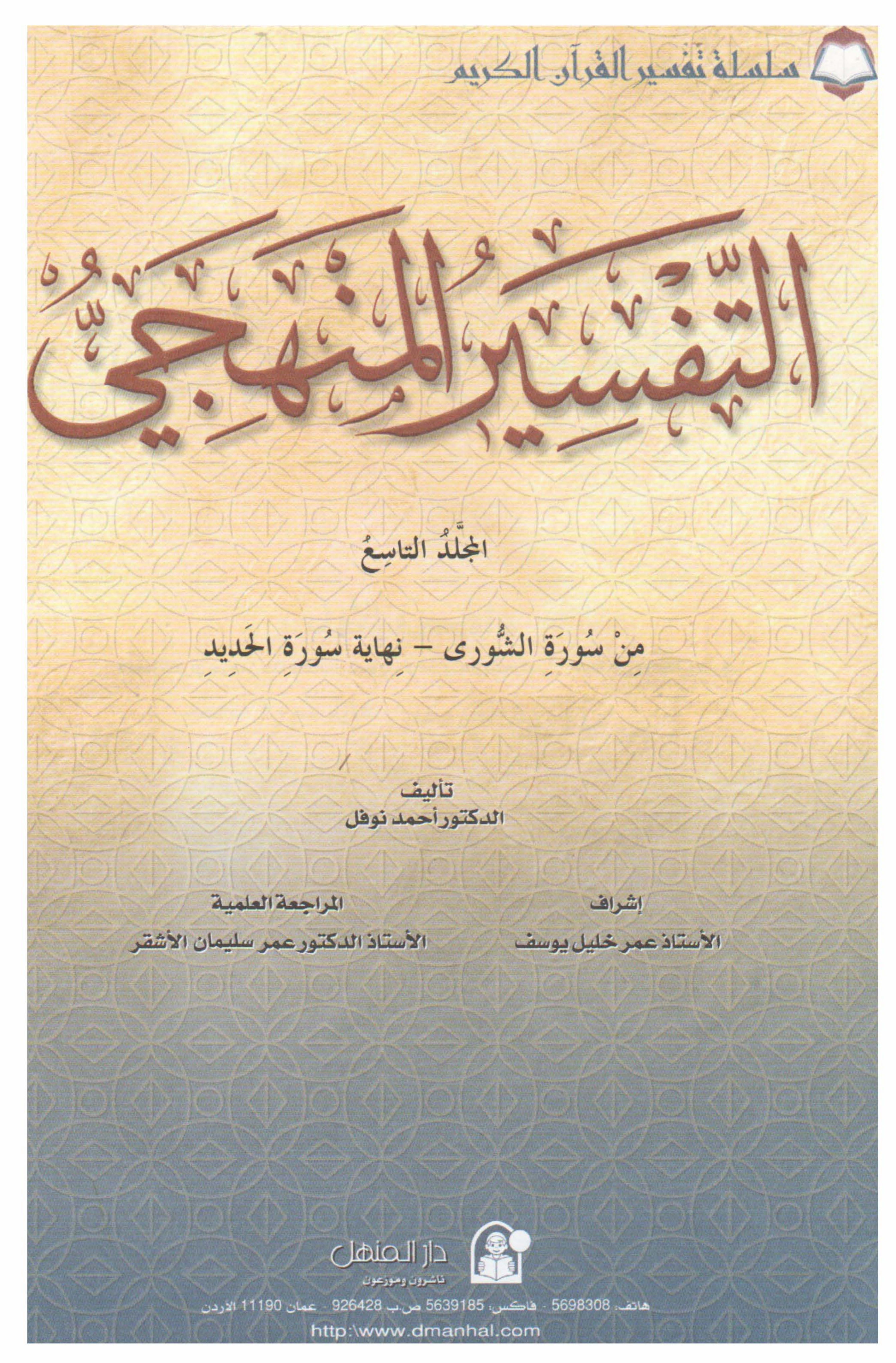

سلسلة تفسير القرآن الكريم
دار المنهل
التفسير المنهجي
المجلد التاسع
مِنْ سُورَةِ الشُّورى - نهاية سُورَةِ الحَدِيدِ
تأليف
د. أحمد نوفل


سلسلة تفسير القرآن الكريم
التفسير المنهجي
المجلّدُ التاسِعُ
مِنْ سُورَةِ الشُّورى - نِهاية سُورَةِ الحَديدِ
تأليف
الدكتور أحمد نوفل
إشراف
الأستاذ عمر خليل يوسف
المراجعة العلمية
الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر
دار المنهل
ناشرون وموزعون
هاتف 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الاردن
http:\www.dmanhal.com

مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسان

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبيِّنا محمدٍ خاتمِ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ ومن سارَ على دربِهِ إلى يومِ الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُلُماتِ إلى النّورِ ، ويَهدِيَهُمْ به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدارَسَتِهِ ، ومِنْ ذَلِكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[١] ،وقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائِكَةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[٢] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَوالِيَةً في خِدْمَةِ هذا الكِتابِ العزيز ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَّلقُ بتبيين معاني الآياتِ وتَفْسيرِهَا ، وكان لكلِّ تفسير مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارِسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيين معاني المفرداتِ والتراكيب التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالِي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعددةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرِّسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويم السُّلوكِ وتنميةِ التفكير وترسيخ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابهِ للدرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىء وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخريجُ الأحاديثِ النَّبَويَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرْسُ الأوَّلُ

سورةُ الشُّورى ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

هذهِ هي السُّورَةُ الثانِيَةُ وَالأَرْبَعُونَ في تَرْتيبِ المُصْحَفِ ، وهيَ مَكِّيَّةٌ ، وعددُ آياتِها ثلاثٌ وَخَمْسونَ آيةً ، وَمَوْضُوعُها إثباتُ ربّانيَّةِ القُرْآنِ وَنُبوَّةِ مُحَمَّدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

وَسُمِّيَتْ سُورَةُ الشُّورَى بِهذا الاسْمِ تنويهاً بمكانةِ الشُّورَى في الإِسْلامِ ، وَتَعْليماً لِلْمُؤْمنينَ أَنْ يُقيموا حياتَهُمْ على مَنْهَجِ الشُّورى ؛ كما وَصَفَهُمُ اللهُ في هذِهِ السُّورَةِ ﴿وأَمْرُهُم شُورىٰ بَينهم﴾ [٣٨] ؛ لِما لِهذا المَنْهَجِ مِنْ أَثَرٍ عَظيمٍ في حَياةِ الفَرْدِ والمُجْتَمَعِ .

معاني المُفْرَداتِ :

حم عسق : حُروفٌ مُقَطَّعةٌ مَقْصودٌ بِها التَّحَدّي والإِعْجازُ .

يَتفطَّرْنَ : يتشقَّقْنَ .

مِنْ فَوْقِهِنَّ	: من أعلاهُنَّ .
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ ربِّهِم	: يُنزِّهونَهُ عن الشَّريكِ والوَلَدِ وَكُلِّ النَّقائصِ ، وَيُثْنونَ عَلَيْهِ .
أولياءَ	: شُرَكاءَ وَأَنْداداً .
حَفيظٌ	: رَقيبٌ .
وما أنتَ عليهِمْ بوكيلٍ	: ليسَ مُفَوَّضاً أَمْرُهُم إِلَيْكَ .
أُمَّ القُرى	: مَكَّةَ .
يَوْمَ الجمعِ	: يَوْمَ القِيامَةِ حيثُ يُجْمَعُ الخَلْقُ لِلْحِسابِ .

التفسير

﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ۝ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ .

تَبْتَدِىءُ هذهِ السُّورَةُ العَظيمَةُ بِخَمْسَةِ أَحْرُفٍ مِنَ الحُروفِ المُقَطَّعَةِ ؛ أَي الَّتي تُقْرأُ حَرْفاً حَرْفاً ؛ هكذا (حا ، ميم ، عينْ ، سينْ ، قافْ) .

وَهُوَ أَكبرُ عددٍ تُفْتَتَحُ بهِ سُورَةٌ مِنْ سُوَرِ الحُروفِ ، وليسَ لها مَثيلٌ في هذا العَددِ إلاّ سُورَةُ مَرْيمَ : ﴿كهيعص﴾ ؛ فهيَ أيضاً خَمْسَةُ أَحْرُفٍ .

والمقصودُ مِنَ الحُروفِ المُقَطَّعةِ التَّحَدّي والإِعْجازُ ؛ بِمَعْنى أَنَّ اللهَ تعالىٰ يَتَحَدَّى العَرَبَ : هذهِ حُروفُكُمُ الّتي تَعْرِفُونَها ، مِنْها أَنْزَلَ اللهُ قُرآناً ، وَهُوَ يَتَحَدّاكُمْ أَنْ تأتُوا بِمِثْلِهِ ، فإِنْ عَجَزْتُمْ ، فَاعْلَموا أَنَّهُ كَلامُ اللهِ ، وليسَ كلامَ بَشَرٍ .

الُمهمُّ أَنَّ السُّورَةَ بَعْدَ الافْتِتاحِ بالحُروفِ أشارتْ إِلى الإِيحاءِ إِليهِ ﷺ ؛ مِمّا يُعَزِّزُ وَيُؤَكِّدُ ما قُلْنا مِنْ أَنَّها لإِثباتِ رَبّانِيَّةِ القُرْآنِ ، وَنُبُوَّةِ النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، تقولُ الآيةُ : إنّ إيحاءَنا إليكَ هُوَ تَماماً كالإِيحاءِ إِلىٰ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ؛ إِذْ أَوْحَى إِليهمُ اللهُ العَزيزُ في مُلْكِهِ ، الّذي يَفْعَلُ ما يشاءُ ، وَالْحَكيمُ في فِعْلِهِ ؛ فلا يكونُ في أَفْعالِهِ إلاّ الحِكْمَةُ .

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾

هذا الإِلهُ العظيمُ الّذي أَوْحَى إِليكَ هذا القُرْآنَ يَمْلِكُ كُلَّ ما في السَّماواتِ وما في الأَرْضِ ، وَهُوَ العَلِيُّ في حُكْمِهِ ، وَالْعَلِيُّ فَوْقَ خَلْقِهِ ، والعَظيمُ في ذاتِهِ وصفاتِهِ .

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى

ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ .

مِنْ عَظَمَتِهِ تعالىٰ وَهَيْبَتِهِ تَكادُ السّماواتُ يَتَشقَّقْنَ مِنْ أعلاهُنَّ ، والملائكةُ يُنزِّهونَ اللهَ تعالىٰ عَمَّا لا يَنْبَغي مِنَ الشريكِ وَالْوَلَدِ ، وَيَحْمَدونَ اللهَ ، ويُثنونَ عليهِ ، ويطلبونَ للمؤمنينَ من أهلِ الأرضِ عَفْوَهُ وُغفرانَهُ .

والعجيبُ أَنَّ قوماً مِنَ الجُهلاءِ اتَّخذوا مِنْ دونِهِ ـ سبحانَهُ ـ شُرَكاءَ وأنداداً ، وهمُ الذينَ لَمْ يَعْرِفوا قَدْرَهُ ـ سبحانَهُ ـ ولم يُعظِّموهُ كما يَنْبغي ، فمِنْ جَهلِهِمْ نَسَبوا إِليهِ ما لا يَليقُ . هؤلاءِ يُسجِّلُ اللهُ عَلَيْهِم كُلَّ ما فعلوا ، فهوَ سُبْحانَهُ رقيبٌ عليهم ، مُتَوكِّلٌ بهم ، يُحْصي أعمالَهُمْ فَيُجازيهِمْ بها ، وأمَّا أنتَ ـ أيُّها النبيُّ ـ فَلَسْتَ مُوَكَّلاً بِهِمْ ولا مُفَوَّضاً إِليكَ أَمْرُهُم ؛ فعليكَ البلاغُ وعلينا الحسابُ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ .

أعادَ السِّياقُ الكريمُ قضيَّةَ الإِيحاءِ إِليهِ ﷺ ليؤكِّدَ نُبوَّتَهُ فقالَ لَهُ : إِنَّا أَوْحَينا إِليكَ قرآناً بلسانٍ عربيٍّ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ تُنْذِرَ مَكَّةَ ومَنْ حَوْلَها مِنْ أَهْلِ القُرى ، وَلِتُنْذِرَ الناسَ وَتُخوِّفَهُمْ مِنْ يَوْمِ القِيامَةِ ، حيثُ يَجْمَعُهُمُ اللهُ تعالىٰ في ذاكَ اليومِ لِلْحسابِ ، هذا اليومُ الّذي لاشكَّ في قُدومِهِ ، وأَنَّهم مُلاقوهُ ، حيثُ سينقسِمُ البشرُ إِلى فريقينِ : فريقِ المؤمنينَ ومصيرُهُمُ الجنَّةُ ، وفريقِ الكافرينَ وهمْ في السَّعيرِ .

دروسٌ وعِبَرٌ

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إِلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مَصْدرُ الوَحْيِ ومَصْدَرُ الرّسالةِ ربانيٌّ ، فاللهُ ربُّ العالمينَ هوَ الذي أنزلَ الوحيَ على الأنبياءِ والمرسلينَ لتبليغِهِ للعالمينَ .

٢ـ مِنْ عَظمةِ اللهِ أَنَّهُ هُوَ الخالِقُ ، وهُوَ المالِكُ لكلِّ شيءٍ في هذا الكونِ ، فهو لهذا لا يحتاجُ إِلى أحدٍ منْ خَلْقِهِ .

٣ـ دَوْرُ الرّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ هوَ تبليغُ الرسالةِ كما أمرَهُ اللهُ ، أمَّا الحسابُ فهوَ للهِ وَحْدَهُ .

٤ـ الناسُ في النهايةِ فريقانِ : فريقٌ في الجنةِ ، وهمُ المؤمنونَ الطائعونَ ، وفريقٌ في النَّارِ وهمُ الكافرونْ الْعاصُون .

التقويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ ما ترتيبُ سُورةِ الشّورى في ذواتِ الحروفِ المُقَطَّعةِ ؟

ب ـ وما ترتيبُها في السُّوَرِ ذواتِ الحواميمِ ؟

٢ـ ما المقصودُ من إيرادِ الحروفِ المُقَطَّعةِ في أوائلِ السُّورِ ؟

٣ـ ما مَعْنى ﴿الحكيمِ﴾ ؟

٤ـ ما مَعْنى ﴿يتفطَّرْنَ منْ فوقِهِنَّ﴾ ؟

٥ـ بِمَ اهتمَّتِ السُّورُ المكِّيةُ ؟ وَلِماذا ؟

٦ـ فَسِّر قولَهُ تعالىٰ :

أ ـ ﴿لَهُ ما في السّماواتِ وَما في الأَرْضِ﴾ .

ب ـ ﴿تَكادُ السّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوقِهِنَّ﴾ .

ج ـ ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لا ريبَ فيه﴾ .

٧ـ بيَّنت الآياتُ الكريمةُ مهمَّةَ الرَّسولِ ﷺ ، اذكُرْها معَ الدَّليلِ .

٨ـ بيَّنتِ الآياتُ الكريمةُ أَنَّ الناسَ يومَ القيامةِ فَريقانِ : اذكُرْ هذينِ الفَريقَيْنِ ، وما مَصيرُ كُلٍّ مِنْهما ؟

تَعلَّمْ :

حم عسق تُقْرَأُ هَكَذا : (حا ، ميم ، عَيْنْ ، سِينْ ، قَافْ) .

نَشاط :

١ـ ما عَدَدُ السُّوَرِ القُرْآنيّةِ الّتي افْتُتِحَتْ بـ ﴿حم﴾ ؟ اكْتُبْ أَسْماءَها .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ درساً آخرَ ترشدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني

سورةُ الشورى ـ القِسْمُ الثَّاني

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

لَجعلَهم أُمّةً واحدةً	: أيْ جَعَلَهُم على الدِّينِ الحقِّ والْهُدَى .
أُنيبُ	: أَرْجِعُ في كلِّ الأمورِ إليهِ .
فاطرُ	: خالقُ ومُبْدِعُ .
يذرؤكُم	: يُكثِّرُكم .
مقاليدُ	: مفاتيحُ خزائنِ .
يبسطُ	: يُوَسِّعُ .
يقدرُ	: يُضَيِّقُ .

التفسيرُ :

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ

﴿ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾

تُثبتُ الآياتُ قدرةَ اللهِ ومشيئَتَهُ ، فلو شاءَ اللهُ لخلقَ البشرَ كالملائكةِ مهتدينَ جميعاً ، وعلى الدِّينِ الحقِّ ، وبذلكَ يدخلونَ جميعاً في رحمتِهِ تعالىٰ . ولكنَّهُ ـ سبحانَهُ ـ لمْ يشأْ ذلكَ لحكمتِهِ البالغةِ ، بلْ شاءَ أنْ يخلُقَ البشرَ مختارينَ ؛ فاختارَ أناسٌ الحقَّ ، واختارَ أقوامٌ الباطلَ . فتفرَّقَ الناسُ ليَلْقَوْا مصيراً وجزاءً مُخْتَلِفاً حَسْبَما اختاروا ، واللهُ تعالىٰ يُدخلُ في رحمتِهِ من يشاءُ سبحانَهُ ، وهُم الذينَ اختاروا سبيلَ الهدى ، وأمَّا الظالمونَ فلا وليَّ يَحْميهِمْ ، ولا نصيرَ ينصرُهُمْ منْ عذابِ اللهِ ، ولا هاديَ لهمْ منْ دونِهِ يهديهمْ من ضلالِهِم ، فكيفَ اتَّخذَ هؤلاءِ الجهلاءُ من دونِهِ ـ تعالىٰ ـ أولياءَ مَعَ أنَّ الوليَّ هوَ اللهُ لا سواهُ ، وهوَ ـ سبحانَهُ ـ الذي يُحيي الموتى لِيُجازِيَهُمْ ، وهوَ قديرٌ على كلِّ شيءٍ .

والخلافُ الذي يَقَعُ بينَ البشرِ ينبغي أنْ يردُّوه إلى اللهِ ليعرفوا حُكْمَهُ ، أمَّا المؤمنونَ فقد اتَّخذوهُ ـ سبحانَهُ ـ إلهاً وربّاً ، فتوكَّلوا عليه ، وَأنابوا إليه .

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

ما تزالُ الآياتُ تعرِّفُنا باللهِ تعالىٰ ، فتذكرُ أَنَّهُ ـ سبحانَهُ ـ الذي خلقَ السماواتِ والأرضَ إبداعاً من غيرِ مثالٍ سابقٍ ، فلمْ يخلُقْ أحدٌ كخلقِ اللهِ لا قبلُ ولا بعدُ ، تعالىٰ اللهُ ، هذا الإلهُ العظيمُ أقامَ الخلقَ على نظامِ الزوجيّةِ ، فجعلَ لكمْ ، يا معشرَ البشرِ ، من أنفسِكُمْ أزواجاً ، وجعلَ من الأنعامِ أزواجاً لِيَتِمَّ التكاثرُ وبقاءُ النوعِ ، وكثَّركُمُ اللهُ بهذا التَّزاوُجِ . هذا الإلهُ العظيمُ ليسَ لهُ في الكونِ نظيرٌ ولا مثيلٌ ، لا في ذاتِهِ ولا في صفاتِهِ ، ولا أسمائِهِ ، وهوَ سبحانَهُ السَّميعُ لكلِّ ما يدورُ في الكونِ ، والبصيرُ بكلِّ ما يجري فيهِ ، وخزائنُ السّماواتِ والأرضِ ومفاتيحُها بيدِهِ سبحانَهُ ، فهو ـ سبحانَهُ ـ يُوسِّعُ في الرِّزقِ لمنْ يشاءُ ؛ فيبسُطُ عليهِ الرِّزقَ لحكمةٍ ، ويجعلُ رِزْقَ آخرينَ مقدَّراً غيرَ موسَّعٍ لحكمةٍ كذلكَ .



دروسٌ وعبرٌ

ترشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الهدايةُ والضَّلالُ يختارُهُما الإنسانُ اختياراً ، ولا يُجبرُ اللهُ أحداً عَلَيْهِما .

٢ـ الذي يَخْتارُ الهدايةَ يهديهِ اللهُ فيدخلُهُ بذلكَ الجَنَّةَ ، وهذا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ . والذي يختارُ الضَّلالَ يُضِلُّهُ اللهُ ، فيُدخِلُهُ بذلكَ النّارَ ، وهذا من عدْلِهِ سبحانَهُ .

٣ـ المُؤْمِنُ يَعْتزُّ باللهِ ، وَيَتوكَّلُ عَلَيْهِ ، ويَرجِعُ إليهِ في الأمرِ كُلِّهِ .

٤ـ بيَدِ اللهِ مفاتيحُ خَزائِنِ كُلِّ شيءٍ ؛ ولهذا لا يَطْلُبُ المُؤْمِنُ إلا مِنَ اللهِ المالكِ لكلِّ شَيْءٍ .

وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ عَليمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَمِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ تَدبيرُ شُؤونِ الخَلْقِ ؛ فَيُوزِّعُ أَرْزاقَهُم مُوَسَّعاً على مَنْ شاءَ ، وَمُضَيَّقاً على مَنْ شاءَ مِنْ أَجْلِ الامْتِحانِ والابْتلاءِ .

التقويم :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلَةِ التّالِيَةِ :

١ـ ما مَعْنى ﴿ولو شاءَ اللهُ لَجَعَلَهُم أمّةً واحِدَةً﴾ ؟

٢ـ لِماذا لَمْ يَجْعَلِ اللهُ الخلقَ أُمَّةً واحدةً ؟

٣ـ ما مَعْنى ﴿أُنيب﴾ ؟

٤ـ ما مَعْنى ﴿فاطر﴾ ؟

٥ـ ما مَعْنى ﴿يَذْرَؤُكم﴾ ؟

٦ـ ما مَعْنى ﴿مقاليدُ السّماوات والأَرْضِ﴾ ؟

٧ـ ما مَعْنى ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يشاءُ ويَقْدِرُ﴾ ؟



وردَ في سُوَرةِ الإسراءِ آيةٌ تشبهُ هذهِ الآيَةَ . اكتبها في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ

سُورَةُ الشُّورى - القِسْمُ الثَّالِثُ

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

معاني المُفْرداتِ :

شَرَعَ لكم	: سَنَّ لكُمْ من أحكامِ الشَّريعةِ .
ما وصَّى به	: ما أمرَ بهِ .
أن أقيموا الدِّينَ	: أن اعْمَلوا بهِ .
كَبُرَ	: عَظُمَ وشَقَّ .
يجتبي	: يَصْطَفي ويختارُ .
يُنيبُ	: يرجعُ .
بغياً	: ظُلْماً وَتَجاوُزاً .
أَجَلٍ مُسَمّىً	: يوم القيامةِ .
واستَقِمْ	: الزَمِ المنهجَ المستقيمَ .
لا حجَّةَ بينَنا وبينكم	: لا احتجاجَ بينَنا وبينَكم ولا خصومةَ .



التفسيرُ :

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ .

تَبتدِىءُ هذهِ المجموعةُ من الآياتِ بخطابِ أمةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وتقريرِ حقيقةِ أَنَّ اللهَ سنَّ لهمْ من الشَّريعةِ وأحكامِها ما أمرَ بهِ أصحابَ الشَّرائعِ منْ قبلُ مثل : نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى .

ومِنْ أَعْظَمِ ما وصَّانا وأمَرنا بهِ إقامةُ الدِّينِ ، ورأسُ الدِّينِ توحيدُ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ والإيمانُ بهِ ، وإطاعةُ رُسُلِهِ ، عليهمُ السَّلام ، فيما جاءوا بهِ من الشَّرائعِ . ومِمّا أمرَنا به مَوْلانا سُبْحانَهُ ألاّ نتفرَّقَ في الدِّينِ ، أيْ في الأُصولِ التي اجتمعتْ عليها الشَّرائعُ الإلهيةُ ، ولقد كَبُرَ هذا وشَقَّ على المشركينَ ، وعظُمَ في صُدورِهِمْ ، لأنهمُ اعتادوا الكفرَ والوثنيةَ ، وجئتَ تدعوهُمْ إلى التوحيدِ والإيمانِ والعملِ الصالحِ ، فشقَّ عليهمْ تغييرُ ما هُمْ عليهِ . وإنَّ اللهَ الذي اختارَكَ قد اجتباكَ ، وهو ـ سبحانَهُ ـ يختارُ من يشاءُ ، ويصطفي لرسالتِهِ مَنْ يشاءُ منْ عبادِهِ ، وأنتَ منْ بينِ منِ اجتبىٰ ، واللهُ تعالىٰ يُكرمُ بالهدى من ينيبُ إليهِ ، ويُقبلُ على طاعتِهِ .

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ بيّنتِ الآيةُ التاليةُ ما جرى للأممِ السابقةِ من تفرُّقٍ بعدَ موتِ أنبيائهم ، وأنَّ سببَهُ البغيُ فيما بينهم ، والظلمُ وتجاوزُ الحدودِ بسببِ الحرصِ على الدُّنيا ، ولولا سَبْقُ وعدِ اللهِ بتأخيرِ العذابِ عنهمْ إلى أجلٍ مُسَمّىً هوَ يومُ القيامةِ ، لقُضِيَ بينَهُمْ باسْتِئصالِ المُبطلينَ منهم ، حينَ افترقوا ، وإنَّ الذينَ ورثُوا الكتابَ منْ بعدِ أولئكَ المختلفين ، وهُم الذينَ كانوا زمنَ الرسولِ ﷺ ، إنَّ هؤلاء لفي شكٍّ وارتيابٍ من أمرِ الحقِّ والدّينِ ، وإنَّ نُفوسَهُم لفي اضطرابٍ وتخبُّطٍ ، لا يعرفونَ مواقعَ الحقِّ . .
وأما أنتَ أيُّها النبيُّ فادعُ إلى توحيدِ ربِّكَ لِتُعيدَ الناسَ إلى وحدتِهِمْ على الحقِّ ، واستقمْ على منهجِ اللهِ الذي لا عِوَجَ فيهِ ولا انحرافَ .

ولا تتّبعْ أهواءَ أهلِ الكتابِ ولا غيرِهِم ، ولكن قلْ : آمنتُ بالذي أنزَلَ اللهُ من الكتابِ ، وأمرتُ أنْ أحكمَ بينَكُمْ بالعدلِ ، وأقيمَهُ فيكمْ ، فلم يبقَ بعدَ وضوحِ الحقِّ احتجاجٌ ولا خصومةٌ بيننا

وبينَكم ، اللهُ تعالىٰ سيجمَعُنا يومَ القيامةِ ليعرِفَ كُلٌّ مِنَّا مَنْ كانَ على الحقِّ ، ومَنْ كانَ على الباطلِ ، فالمصيرُ والمآلُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أَمَرَنا اللهُ على أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ جميعاً بإقامةِ الدِّينِ للهِ وذلكَ بتوحيدِهِ ، فالتوحيدُ دينُ الرُّسُلِ كُلِّهم .

٢ـ أُولُو العَزْمِ من الرُّسُلِ هُمُ المذكورونَ في الآيةِ وعلى رأسِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ .

٣ـ أمرَنا اللهُ بما أمرَ بهِ مُحَمَّداً ـ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ـ بالدّعوةِ إلى اللهِ والاستقامةِ على منهجِ اللهِ ، والثّباتِ عليه ، وَعَدمِ تركه طاعةً لأهواءِ الكافرينَ .

٤ـ الحقُّ واضحٌ وظاهرٌ كالشّمسِ ، والحججُ قد قامتْ على الكافرينَ ، وبقاؤُهُمْ على الكفرِ عنادٌ ، ويومَ القيامةِ لا حجّةَ لهمْ عندَ اللهِ .

٥ـ يجب أن تؤمن بكلِّ ما أَنْزَلَهُ الله من كُتُبِهِ كالتّوراة والإنجيل والزّبور والقرآن تصديقاً لخبره تبارك وتعالىٰ ، ولأن الرُّسلَ أصحابُ دينٍ واحدٍ .



أجب عن الأسئلة التالية

١ـ ما مَعْنى قولِهِ تعالىٰ : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّين ما وصّى به نوحاً﴾ ؟

٢ـ ما مَعْنى ﴿يَجْتبي إليهِ مَنْ يشاءُ﴾ ؟

٣ـ ما مَعْنى ﴿ولولا أجلٌ مُسمّىً لقُضِيَ بَيْنَهم﴾ ؟

٤ـ ما مَعْنى ﴿لا حجَّةَ بَيْننا وَبَيْنَكم﴾ ؟

٥ـ كم نَبيّاً ذكرتِ الآياتُ في هذا الدرسِ ؟

٦ـ مَن أُولُو العَزْمِ من الرُّسُلِ ؟

٧ـ ماذا تفهَمُ من قولِهِ تعالىٰ :

أ ـ ﴿أن أقيموا الدِّين ولا تتفرّقوا فيه﴾ .

ب ـ ﴿واستقمْ كما أُمِرت﴾ .

٨ـ كَيْفَ يَجْمَعُ اللهُ بَيْنَنا وبَينَ الأُمَمِ الأخْرى ؟ ومَتى ؟

نشاط :

١ـ مَنْ هُمْ أولو العَزْمِ من الرُّسُلِ ؟ اكتب أَسْماءَهُم في دفترِكَ .

٢ـ اكتب أمراً آخرَ تُرشِدُ إليهِ الآياتُ الكريمةُ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابِعُ

سُورَةُ الشُّورى - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

يُحَاجّونَ في اللهِ	: يُجادلونَ في اللهِ ودينِ اللهِ لِصَدِّ النَّاسِ عنِ الإيمانِ .
استُجيبَ له	: استجابَ الناسُ لدينِ اللهِ وَدَخلوا فيهِ .
داحضةٌ	: باطلةٌ زائلةٌ .
والميزانَ	: العدلَ الذي يحكمُ بهِ بينَ الناسِ .
مشفقونَ	: خائفون .
يمارونَ في الساعةِ	: يجادلونَ ، وَيَشُكّونَ فيها .
لطيفٌ	: رفيقٌ .
حَرْثَ الآخرةِ	: ثوابَ الآخرةِ .



﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) ﴾ .

تقولُ الآياتُ الكريمةُ : إنَّ الذينَ يجادلونَ في اللهِ الذي يتّخِذُهُ المسلمونَ المؤمنونَ ربّاً وإلهاً ، منْ بعدِ ما استجابَ الناسُ لدينِ اللهِ وَأَذْعَنوا له ، حُجَّتُهم باطلةٌ وزائلةٌ ، ولا يقبلُها اللهُ ، بل سيغضَبُ عليهِم ويعذّبُهُم العذابَ الشّديدَ .

اللهُ الذي أنزلَ القرآنَ بالحقِّ والعدلِ ، نذيراً بين يَدِي السّاعةِ التي قد تقعُ في أيِّ لحظةٍ ، فهيَ قريبةُ الوقوعِ ، فينبغي الاستعدادُ لها وتوقُّعُها .

أمَّا الكافرونَ فهم مُسْتَخفّونَ بها ، لِأَنَّهم لا يؤمنونَ بها ، أمّا المؤمنونَ فهم وَجِلونَ منها خائفونَ ، ويؤمنونَ أنها الحقُّ الواقعُ حتماً ، والذين يشكّونَ في الساعةِ ، ويجادلونَ المؤمنينَ في شأنِها ، هؤلاءِ في ضلالٍ عن الحقِّ وبُعدٍ شديد .

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) ﴾

ثُمَّ تُقرّرُ الآيَةُ التاليةُ لطفَ اللهِ بعبادِهِ ، ورفقَهُ بهِمْ ، فهوَ يرزُقُهُمْ ، ويهدي مَنْ يشاءُ ، وهوَ سبحانَهُ القويُّ العزيزُ . وليسَ اللُّطفُ عن ضُعْفٍ ، وإنما عن قُوّةٍ وعِزّةٍ ورحمةٍ بالعبادِ .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) ﴾

ثم خُتِمَتْ هذهِ المجموعةُ من الآياتِ بتقريرِ أَنَّ منْ يريدُ ثوابَ الآخرةِ مؤمناً بهِ يزيدُ اللهُ لهُ في أجرِه ، ويضاعِفُهُ لَهُ . ومَنْ كانَ يريدُ الدُّنيا وأجرَها نعطِهِ منها ، ولا نحرمْهُ ، ولكنَّه في الآخرةِ يكونُ محروماً من أيِّ نصيبٍ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الذين يصدّونَ عن سبيلِ اللهِ عليهمْ غضبٌ عظيمٌ منَ اللهِ ، ولهم عذابٌ شديدٌ أيضاً .

٢ـ قيامُ الساعةِ حقٌ ، وآتٍ لا ريبَ فيهِ ، ليحاسِبَ اللهُ النَّاسَ على أَعْمَالِهِمْ .

٣ـ المؤمنونَ بالسّاعةِ خائفونَ ، يعلمونَ أَنَّها كائنةٌ وحاصلةٌ لا محالةَ ، ولهذا فهمْ مستعدُّونَ لها بالأعمالِ الصّالحةِ .

٤ـ اللهُ رفيقٌ بعبادِهِ ، فلا يُعجِّلُ العقوبةَ للعصاةِ ، مَعَ استحقاقِهِمْ لها ، وَطَلَبِهم إياها .

٥ـ من كانْ هدفُهُ ثوابَ الآخرةِ يعطِهِ اللهُ إياهُ ، ومنْ كان يريد الدنيا يعطِهِ اللهُ منها ، ويحرمْهُ من ثوابِ الآخرةِ ، ولكنّ ذلك كلّه محكومٌ بمشيئتهِ ، فهنيئاً لأصحابِ الآخرةِ .

التقويمُ :

أجب عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ مَنِ الّذي يستعجلُ بالسّاعةِ ؟

٢ـ ما مَوْقفُ المُؤْمنِ مِنَ السّاعةِ ؟

٣ـ عَدِّدْ ثلاثةً مِنْ مظاهرِ لُطْفِ اللهِ بالعبادِ .

٤ـ ما مَعْنى ﴿حرثَ الآخرةِ﴾ ، ﴿يمارونَ في السّاعة﴾ ؟

نشاط :

وَرَدَ في سورةِ هود آيتان تبيّنانِ نصيبَ من كانَ يريدُ الحياةَ الدنيا وزينتَهَا . اكتبْهُما في دفترك .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ

سورةُ الشُّورى ـ القِسمُ الخامِسُ

أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

كلمةُ الفَصْلِ : الحكمُ بتأخيرِ العذابِ والحسابِ للآخرةِ .

رَوضاتِ الجناتِ : أشرفِ بقاعِ الجنّةِ .

المَوَدَّةَ في القُرْبى : أنْ تصلوا الرَّحِمَ التي بيني وبينكم فلا تُؤْذوني .

يقترفْ حسنةً : يَكْتَسِبُها .

التفسيرُ :

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

تسألُ الآياتُ الكريمةُ أولئكَ الكفارَ : هَلْ لهمْ مِنْ دونِ اللهِ شركاءُ سنُّوا لهمْ ، وَفَرَضوا عليْهِمْ من الدِّينِ غيرَ الذي أمرَ بِهِ اللهُ ؟ ثمَّ يهدّدُهُمُ اللهُ بأنّهُ لولا كلمتُهُ القاطعةُ التي سَبقتْ أنَّ الحسابَ لهُ أجلٌ محدودٌ في الآخرةِ لَجازاهم ، وَقَضى بِهلاكِهِمْ ، ولكنَّهُ يُؤخِّرُهُمْ إلى الأجلِ الذي حدَّدَهُ وهُوَ يومُ

القيامةِ ، الذي سيكونُ للظالمينَ فيهِ عذابٌ أليمٌ .

﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

هؤلاءِ الظالمونَ تراهمْ في ذلكَ اليومِ خائفينَ خوفاً شديداً مما كَسَبوه في الدنيا منَ السّيئاتِ ، التي استحقوّا عليها عذابَ اللهِ الشّديدَ الذي يوقِعُهُ بهمْ يومَ القيامةِ .

أما الذينَ آمنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ فجزاؤهُمْ أنهم في أشرفِ مناطقِ الجنانِ ، وأعلاها وأطيبها في الرَّوْضاتِ ، لهم فيها ما يطلبونَ وما يشتهونَ ، حيثُ يكرمُهُمْ ربُّهم ، وهوَ ذو الفضلِ الكبيرِ والإنعامِ العظيمِ .

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

هذا الثوابُ العظيمُ هو الذي بشَّرَ اللهُ بهِ عبادَهُ المؤمنينَ الذين عملوا الأعمالَ الطيّبةَ الصّالِحَةَ .

وتُختمُ الآيةُ بتوجيهِ كريمٍ للنبيِّ ﷺ لِيُخاطِبَ بهِ المشركينَ ، وهُوَ أنَّهُ لا يريدُ من أحدٍ مِمَّنْ يَدْعُوهمْ أَجْراً أو مالاً ، اللَّهُمَّ إلا أنْ يُراعُوا حُقوقَ الرَّحِمِ والقرابةِ التي بينه وبينهم فلا يُؤْذوهُ حتى يُبَلِّغَ رسالةَ ربِّهِ ، وهذهِ ليستْ أُجْرَةً ، ولكنّها حقوقٌ إنسانيّةٌ فطريَّةٌ وروابطُ ساميةٌ ، ويبيِّنُ لهمُ الرّسولُ ﷺ أنَّ مَنْ عَمِلَ الحسناتِ جزاؤُهُ الحُسْنى وزيادةٌ ، واللهُ تعالىٰ غفورٌ لِذنوبِ عبادِهِ ، شكورٌ لأعمالِهم الصالحةِ ، يَجزيهم عليها أعظمَ الجزاءِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كلُّ مَنْ شَرَعَ لِلنّاس قَوانينَ يَتَحاكَمُون إليها ، فَقَدْ جَعَلَ نَفْسَه إلهاً يُعبدُ مِنْ دُونِ اللهِ .

٢ـ قَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ تأخيرَ الثّوابِ وَالْعِقابِ إلى يومِ القيامَةِ .

٣ـ المؤمنونَ يزدادونَ ثواباً بالعملِ الصالحِ ، والكافرونَ يزدادونَ ظلماً بكفرِهِمْ .

٤ـ وَعَدَ اللهُ المؤمنينَ أطيبَ بقاعِ الجَنَّةِ ، وكلُّ الجنَّة طيّبةٌ ، ووَعَدَ العاصينَ العذابَ الأليمَ .

٥ـ الرَّسولُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ لا يطلبُ أجراً على تبليغِ رسالتِهِ لقومِهِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما مَعْنى ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ما لم يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ ؟

٢ـ ما ﴿كلمةُ الفَصْلِ﴾ ؟

٣ـ ما مَنْزِلَةُ ﴿رَوْضاتِ الجنّاتِ﴾ في الجِنانِ ؟

٤ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿لا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أجراً إلا المودَّةَ في القُربى﴾ .

ب ـ ﴿ومن يقترِفْ حَسَنَةً نزدْ لهُ فيها حُسناً﴾ .

ج ـ ﴿غفورٌ شكورٌ﴾ .

٥ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ مصيرَ كلٍّ مِنَ المؤمنينَ والظالمينَ يومَ القيامةِ . وضِّحْ ذلكَ ؟ واذكرِ الآيةَ الدالَّةَ عليهِ .

نشاط :

استنبطْ دَرْساً آخرَ من الآياتِ الكريمةِ ، وَسَجِّلْهُ في دفترِكَ .

* * *

الدرس السادس

سورة الشُّورى ـ القِسْمُ السَّادِسُ

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

افْتَرى : اختلَقَ .

بَسَطَ اللهُ الرِّزقَ : وسَّعَ لهم في الرِّزقِ ، وزادَهُمْ .

لَبَغَوا في الأرضِ : لَطَغَوا وَعَتَوْا ، وتَكَبَّرُوا ، نتيجةَ الغِنى .

قَنَطوا : يَئِسوا .

خَبيرٌ : عليمٌ بدقائقِ الأمورِ .

الوليُّ الحميدُ : المحِبُّ لعبادِهِ المستحقُّ الحَمْدَ مِنهم .

بَثَّ : خَلَقَ ونَشَرَ وفرَّقَ .



التفسير :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

يسألُ النصُّ الكريمُ أولئكَ الظالمينَ الذين كَذَّبُوا دعوةَ النبيِّ ﷺ فيقولُ لهم : هل تقولونَ : إنَّ النبيَّ ﷺ افْتَرَى واختلقَ الكذبَ على اللهِ وادَّعى النُّبوَّةَ ادِّعاءً ؟ فلو كانَ كذلكَ ، أي لو كانَ كاذباً ، كما تقولونَ ، وادَّعى على اللهِ ، لختمَ اللهُ على قلبِهِ ، لكنَّ اللهَ يؤيِّدُهُ ويوفِّقُهُ ، واللهُ قادرٌ على تغييرِ الأحوالِ ، فكلُّ شيءٍ طَوْعُ أمرِهِ ، وَهُوَ قادرٌ على إظهارِ الحقِّ ، فهوَ إِذَا أرادَ شيئاً يقولُ لهُ : كُنْ فيكونُ ، وسوفَ يَمْحُو اللهُ الباطلَ الذي تزعمونَ ، وَيُثَبِّتُ الحقَّ ، ويُحقُّهُ في الأرضِ ، وفي قلوبِ عبادِهِ ، بما أنزلَ من قرآنٍ ، فهوَ سُبْحانَهُ عليمٌ بما في الصدورِ ، وما تُخْفيهِ الضمائرُ والقلوبُ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

وَهُوَ الذي يَتَقَبَّلُ توبةَ عبادِهِ التائبينَ الطائعينَ ، ويمحو عنهمْ خطاياهُم وسيئاتِهم ، وليس ذلك لِأَحَدٍ غَيْرِ اللهِ .

﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

وهوَ ـ سبحانَهُ ـ يَعْلَمُ ما يفعلُ النّاسُ جميعاً ، ويجزيهمْ على أعمالِهم ، فأمَّا الذينَ آمنوا فيستجيبونَ للحقِّ ، فيجزيهِمُ اللهُ بالحسنى وزيادةٍ ، وأما الكافرونَ فمصيرُهُمُ العذابُ الشَّديدُ .

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

بيَّنَتِ الآيةُ الكريمةُ أَنَّ اللهَ تعالىٰ قَسَّمَ الرِّزْقَ على البشرِ بمقدارٍ ، ولو شاءَ لَبَسَطَهُ لهمْ بسطاً ، وزادَ لهمْ فيهِ بلا حدودٍ ، ولكنهمْ سيُفسِدونَ ويَطْغَوْنَ في الأرضِ ، فإذا كانوا ـ على قلّةِ ما بأيديهمْ ـ يبغونَ ، فكيفَ لو وسَّعَ لهمْ بلا حَدٍّ . ولكنَّهُ سُبحانَهُ بحكمتِهِ يُنَزِّلُ من الرِّزقِ بمقدار ، بحيثُ لا يطغى الخَلْقُ ولا تفوتُ مصالحُهُم لانعدامِ الرِّزْقِ . . إنَّ اللهَ خبيرٌ بعبادِهِ ، يعلمُ دقائقَ شُؤونِهم ، كما يعلمُ عظائمَ أمورِهم .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

ومنَ الرِّزقِ الذي يُنزِّلُهُ اللهُ ـ سُبحانَهُ ـ الغيثُ والمطرُ ، يسوقُهُ لهمْ ويُنزِّلُهُ مِنْ بعدِ ما يَئِسَ الناسُ ، وَظنّوا الظنونَ ، وتوقّعوا الجفافَ ، وموتَ الزَّرْعِ والماشيةِ ، وإذا بالغيثِ المغُيثِ يُرسِلُهُ اللهُ وتنتشرُ الرَّحمةُ فتحيا البلادُ والزّروعُ والحَيواناتُ والبَشرُ ، واللهُ تعالىٰ هُوَ الوَليُّ الحميدُ ، أي المُتَصرِّفُ لِخَلْقِهِ بما يَنْفَعُهُمْ ، وَهُوَ المحمودُ العاقبةِ في جميعِ ما يُقدرِّه وَيَفْعَلُهُ .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

ومنَ الآياتِ الدّالّةِ على هذا الإلهِ العظيمِ خَلْقُ السّماوات وما فيهنّ من آياتٍ ، وَخَلْقُ الأرضِ بما فيها منْ دلائلَ على قُدرتهِ ، وما خَلقَ اللهُ في هذهِ الأرضِ من الدّوّابِّ ، وفرّقها وَوَزَّعها على جهاتِ الأرضِ . كلُّ صنفٍ في البيئةِ التي تُناسِبُهُ ، فالجِمَالُ في بيئاتٍ ، والأنعامُ في جهاتٍ ، والغزلانُ في بيئاتٍ . . وهكذا . وهوَ سبحانَهُ متى شاءَ جَمْعَهُم ، فَهُوَ قديرٌ على ذلكَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكَذِبُ على اللهِ يترتَّبُ عليهِ عُقوبةُ الخَتْمِ على القلبِ ، ونسيانِ العلمِ النّافعِ لصاحبهِ ، وعليهِ فوجودُ العلمِ النّافعِ دليلٌ على صِدْقِ صاحبهِ كالرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

٢ـ مِنْ أَدِلَّةِ صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ تأييدُ اللهِ لَهُ ونصرُه له على أعدائِهِ ، ولو كانَ كاذباً لأهلكَهُ وهَزَمَهُ .

٣ـ بابُ التَّوْبَةِ مفتوحٌ لعبادِ اللهِ التائبينَ والمُسْتَسْلِمينَ لأمرِهِ .

٤ـ اللهُ حكيمٌ في توزيعِ الأرْزاقِ على عبادِهِ المؤمنين ، فيختارُ لهمْ ما يُصْلِحُهُمْ ، وهمْ بالمقابلِ يَرْضَوْنَ بما قَسَمَهُ اللهُ لهمْ في جميعِ الأحوالِ ، لأنَّ الخِيَرَةَ فيما يختارُهُ اللهُ لَهُمْ .

٥ـ اللهُ هو الوَلِيُّ الحَميدُ لعبادِهِ المؤمنينَ ، فيبسطُ خيراتِهِ وبركاتِهِ على عبادِهِ فيُغيثُهُم ، وهمْ بالمقابلِ يَحمَدُونَهُ على ذلكَ .

٦ـ مِنَ الآياتِ الدّالّةِ على قُدْرةِ اللهِ وعجائبِ حِكْمَتِهِ خَلْقُ السّماواتِ والأَرضِ ، وما فيهما مِنْ مَخْلوقاتٍ على اخْتِلافِ أشكالِهِمْ وألوانِهِمْ وأنواعِهِمْ ولُغاتِهِم .

التقويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى ﴿أم يَقُولونَ افْتَرَى على الله كَذِباً﴾ ؟

٢ـ بِماذا رَدَّ اللهُ على هَؤُلاءِ المُفْتَرينَ ؟

٣ـ لماذا لا يَجْعَلُ اللهُ الرِّزقَ للناسِ جَميعاً واسِعاً بلا حُدودٍ ؟

٤ـ الغَيْثُ مِنَ الرِّزْقِ . كيفَ يكونُ ذلكَ ؟

٥ـ ما مَعْنى ﴿وهو الوليُّ الحَميدُ﴾ ؟

٦ـ جاء في الآيةِ الأخيرَةِ دليلانِ على وجُودِ اللهِ وقدرتِهِ . اذكرهما .

نشاط :

١ـ ماذا كانَ يَقولُ رَسولُ اللهِ ﷺ وهُوَ يُدَمِّرُ الأصنامَ يومَ الفتحِ ؟ اكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

٢ـ شَرعَ اللهُ صلاةَ الاسْتِسقاءِ عندَ انْحِباسِ المطرِ . اكتبْ حِكْمةَ مشروعيَّتِها .

* * *

الدرسُ السابعُ

سورةُ الشُّورى ـ القسمُ السّابعُ

وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

بِمُعْجزينَ : بهاربينَ منَ العذابِ .

الجَوارِ : السُّفُنُ الجاريةُ في البحرِ .

كالأعلامِ : كَالْجبالِ الشّاهِقةِ .

رَوَاكِدَ : ثوابتَ على ظَهْرِ البَحْرِ .

يُوبِقْهُنَّ : يُهْلِكْهُنَّ .

مَحيصٍ : مَهْرَب .

يَتَوَكَّلونَ : تُسْلِمُ قلوبُهم لتدبيرِ اللهِ .

التفسيرُ :

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

قالَ كثيرٌ منَ العلماءِ : إن هذهِ الآيةَ الكريمةَ هي أرجى آيةٍ في كتابِ اللهِ ، فاللهُ تعالىٰ يُكفِّرُ ذنوبَ المسلمِ بما يصيبُهُ من مصائبَ في الدُّنيا ، ويعفو عن كثيرٍ ، فأيُّ شيءٍ يبقى بعدَ تكفيرِه وعفوِهِ ؟

والآيةُ تُقرُّ أَنَّ المصائبَ التي تنزلُ بالبشرِ هي من جرّاءِ ذنوبِهِمْ ؛ ليُكفِّرَ اللهُ عنِ المؤمنينَ بها أوزارَ الذنوبِ وَتَبِعاتِها ، وهوَ سبحانَهُ يَعْفُو عَنْ كثيرٍ من الذنوبِ بعدَ ذلكَ .

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

ويا أيُّها الناسُ إنكمْ لا تُعجِزونَ اللهَ ، ولا تُفلِتونَ من عقابِهِ متى أرادَ أَنْ يوقِعَهُ بكمْ ، ولا ينصرُكُمْ مِنْ دونِ اللهِ حبيبٌ ولا ناصرٌ ولا معاوِنٌ ، فاللهُ قويٌّ غالبٌ على أمره ، له جُنُود السَّماواتِ والأَرْضِ .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

هذا الإِلهُ العظيمُ ـ سبحانَهُ ـ الذي من آياتِهِ ، ومنَ العلاماتِ الدّالّةِ عليهِ ، وعلى كَمالِ قدرتِهِ هذه السُّفنُ السّائِرةُ في البَحْرِ ، كأنَّها مِنْ عظمتِها جبالٌ شاهقةٌ ، هذهِ السُّفنُ الجواري تجري بأمرِهِ ، فإِنْ شاءَ عطَّلَ حركتَها فتظلُّ ساكنةً على ظهرِ البحرِ .

إنَّ في هذا القولِ الكريمِ لَدَلالاتٍ لكلِّ شخصٍ عظيمِ الصبرِ كثيرِ الشُّكْرِ .

وهوَ ـ سبحانَهُ ـ قادرٌ على أنْ يرسِلَ على السُّفُنِ ريحاً عاصفةً قاصفةً تُغرِقُها بما كسبَ الناسُ ويعفو عن كثيرٍ أيضاً ، ولولا هذا العفوُ ما نجَا أحدٌ .

﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

ويعلم الذينَ يجادلونَ في قدرةِ اللهِ ، ويمارونَ في آياتهِ ودلالاتِ عظمتِهِ أَنَّه لا مهربَ لهُمْ يَلْجؤونَ إليه .

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

يا أيُّها الناسُ إن الذي أُوتيتُمُوهُ من أشياءَ إنما هو متاعٌ في هذهِ الحياةِ الدنيا ، يُتَمَتَّعُ به ثم يَزُوْلُ ، والذي عندَ اللهِ مِنْ ثوابٍ وجزاءٍ أَدْوَمُ وَأَبْقى لِلَّذين يُؤمنونَ باللهِ وَيَتَوكَّلونَ عليهِ .

دروسٌ وعِبرٌ :

ترشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المَصائبُ التي تُصيبُ النّاسَ هي بسبب ذُنُوبِ العبادِ ، وهي تكفِّر ذنوبَ الْمُؤمنينَ ، وَتَرْفَعُ درجاتِهم إِنِ احْتَسبوا الأجرَ والثَّوابَ .

٢ـ دلائلُ قُدرةِ اللهِ في هذا الكونِ كثيرةٌ ، منها السُّفنُ الكبيرةُ الجاريةُ في البحارِ .

٣ـ اللهُ قادرٌ على إهلاكِ السُّفُنِ الجاريةِ بسببِ ذنوبِ البشرِ ، ولكنَّ عفوَ اللهِ أكبرُ .

٤ـ في حالةِ الخَطَرِ يَلْجَأُ جميعُ الناسِ إلى اللهِ لِيَطْلُبوا منهُ النَّجاةَ ، لأنَّهمْ يعلمونَ أنْ لا مَهْربَ لهم مِنْ عَذابِ اللهِ إلاَّ إليهِ .

٥ـ نَعيمُ الدُّنْيا بالنِّسْبَةِ إلى الآخرة مَتاعٌ زائلٌ ، والعاقلُ لا يُقدِّمُ الدُّنْيا على الآخرةِ ، فيعملُ لآخرتِهِ بمقدارِ بقائِهِ فيها .

التقويمُ :

أجب عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَببُ المصائبِ التي تصيبُ الإنسانَ ؟

٢ـ ما فائِدَةُ قَوْلِهِ : ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثيرٍ﴾ ؟

٣ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿وَمِنْ آياتِهِ الجَوارِ في البَحْرِ كالأَعلامِ﴾ .

ب ـ ﴿أو يُوبِقْهُنَّ بما كَسَبُوا﴾ .

٤ـ كيفَ تكونُ المصائبُ مكفِّرةً للذُّنوبِ ؟

٥ـ هَلْ تُكَفِّرُ المَصائِبُ ذُنوبَ الكُفّارِ ؟ ولماذا ؟

٦ـ أ ـ بيَّنَتِ الآياتُ حَالتَيْنِ يُعَطِّلُ اللهُ بِهِما حَرَكَةَ السُّفُنِ ، اذكُرْهُما .

ب ـ اذكرِ الدّليلَ على كُلٍّ مِنْهُما .

٧ـ ما مَعْنى ﴿ما لَهُمْ مِنْ مَحيصٍ﴾ ؟

٨ـ ما مَعْنى التَّوَكُّلِ على اللهِ ؟

٩ـ كَمْ مَرَّةً وَرَدَتْ كَلمةُ (الآياتِ) في الآياتِ المذكُورَةِ في هذا الدَّرْسِ ؟

١٠ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ النَّصِّ الكَريمِ خَمْسَةَ أفعالٍ مضارعةٍ .

نشاط :

ما رأيُكَ في مَنْ يُجادِلُ في أدلّةٍ ظاهرةٍ بيِّنَةٍ ؟ اكتبْ رأيكَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرس الثامن

سورةُ الشُّورى ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

معاني المفردات :

كَبائرَ الإثم : الذُّنوبَ الكبيرة .

الفواحشَ : ما عظمَ قبحُهُ من الذُّنوبِ كالزِّنا .

الشُّورى : مُداولةُ الأمرِ بين المعنيِّين لاستخراجِ الرأيِ الصّوابِ .

أصابهمُ البغيُ : وقعَ عليهمُ الظُّلمُ .

هُمْ يَنْتَصرونَ : ينتقمونَ مِمَّنْ ظلمَهُم .

عزمِ الأمورِ : الأمورِ المطلوبةِ .

التفسير :

تواصلُ الآياتُ في هذا الدَّرْسِ الثّناءَ على المؤمنينَ الذين يتوكَّلونَ على اللهِ ، فتصفُهُم بقولها :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

أي يبتعدونَ عن الذُّنوبِ الكبيرَةِ الموبقةِ ، والفواحشِ مِنَ الأعمالِ القبيحةِ كالزِّنا وغيرِهِ ، وإذا ما أغضبَهُم شَخْصٌ بإساءةٍ غَفَروا وعَفَوْا .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

ووصفَهُم كذلكَ بأنَّهمْ أطاعوا أمرَ ربِّهِمْ ، وأقاموا الصَّلاةَ لعبادتهِ ، ويتبادلونَ الرَّأْيَ في شُؤونهِمُ المُهمَّةِ حتى يَصِلوا بالشُّورى إلى أَصْوَبِ الآراءِ وَأَصَحِّ المواقفِ ، وَهُمْ يُنْفقونَ مِنْ رِزْقِ اللهِ الذي رزقَهُمْ .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

وَهُم الذينَ إذا وَقَعَ عليهم ظُلْمٌ أو على أوطانِهم وأمّتِهم ، رَدُّوهُ وَانْتَقموا مِنَ الظّالِمِ برَدِّ الإساءَةِ بمثلِها دونَ تجاوزٍ أو زيادةٍ ، والعفوُ أفضلُ ، فَمَنْ عَفا وسامَحَ وأعقبَ السَّيِّئَةَ حسنةً فإنَّ أجرهُ لا يَضيعُ عندَ اللهِ ، واللهُ هو الّذي سيُعاقِبُ الظّالِمَ ؛ لأنهُ ـ سبحانَهُ ـ لا يُحبُّ الظالمينَ .

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

ولكنَّ مَنْ ردَّ الإساءَةَ فليسَ مُسيئاً ، وما عليهِ مِنْ سَبيلٍ ولا لَوْمٍ ، إنما السَّبيلُ واللَّومُ على الذينَ يُوقِعونَ الظُّلمَ على النّاسِ ، وَيَسيرونَ في الأرضِ سيرَةَ الجَوْرِ والباطلِ ، وأولئكَ سَيعذِّبُهُمُ اللهُ العذابَ الأليمَ .

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

وخُتمتِ الآياتُ الكريمةُ بتقريرِ أَنَّ من صبرَ وسامحَ وصفحَ ، فإنَّ هذا الخُلُقَ من الأمورِ المندوبةِ المشروعةِ المطلوبةِ ، وهيَ من شيمِ أولي العزمِ وأخلاقِهم .

دروسٌ وعِبَرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مِنْ صفاتِ المؤمنينَ الذين يتوكَّلونَ على اللهِ أنَّهمْ أجابوا رَبَّهمْ إلى كلِّ ما دعاهمْ إليهِ من الطّاعاتِ ؛ كالصّلاةِ والشُّورى والنَّفقةِ والصَّبرِ والعفوِ والمسامحةِ والإصلاحِ .

٢ـ مِنْ علاماتِ الشَّجاعةِ للمؤمنينَ عدمُ الرِّضا بالظُّلْمِ وبالذُّلِ .

٣ـ شَرَعَ اللهُ ردَّ العُدْوانِ وعدَّهُ مِنْ صفاتِ المؤمنينَ ، ولكنْ قيَّدَهُ بالمِثْلِ دُونَ زيادةٍ .

٤ـ توعَّدَ اللهُ الظالمينَ والمعتدينَ والمفسدينَ في الأرضِ بالعذابِ الأليمِ .

٥ـ الثَّوْرَةُ على الظُّلم وعدمُ الرِّضا بالهَوانِ مِنْ علامات الإيمانِ ، فَمَنْ قَدِرَ فعفا فالعَفْوُ أفضلُ .

٦ـ لا يُلام المظلومُ الذي أَخَذَ بحقِّه ، إنما يُلام الظّالِمُ الباغي في الأرض بغير حَقٍّ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ التالية :

١ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿كبَائِرَ الإِثْمِ﴾ .

ب ـ ﴿الفَواحِشَ﴾ .

٢ـ أَعْطِ أَمْثلةً على الفَواحش .

٣ـ عَدِّدْ ثلاثَ صِفاتٍ ذَكَرَتْها الآياتُ الكريمةُ للمؤمنينَ .

٤ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ ﴿إذا ما غَضِبُوا هم يغفرون﴾ و﴿إذا أصابهم البَغْيُ هم يَنْتَصِرون﴾ ؟

٥ـ ما مَعْنى ﴿إنما السَّبيل على الذين يَظلمُون الناسَ﴾ ؟

٦ـ لماذا كانَ الصّبْرُ والعفوُ والمسامحةُ مِنْ عزم الأمور ؟

٧ـ عَفْوُ القَوِيِّ القادرِ على أَخْذِ الحَقِّ فَضيلةٌ ، وَعَفْوُ الذَّليلِ المُهانِ رذيلةٌ . بيِّن مدَى صِحَّةِ العبارَتَيْنِ السّابِقَتَيْنِ .

نشاط :

١ـ حَبَّبَتِ الآيةُ ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لنا العفوَ والمُسامَحةَ . اكتب أثرَ ذلكَ في الحياةِ .

٢ـ مَنْ أُولو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ؟ ولِمَ سُمُّوا بهذا الاسمِ ؟ اكْتُبِ الإجابة في دَفْترِكَ .

* * *

سورةُ الشُّورى ـ القِسْمُ التّاسِعُ

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

الوليُّ	: النّاصرُ وَالْحامي .
خاشِعينَ مِنَ الذُّلِّ	: خاضعينَ بِسَببِ الذُّلِّ .
يَنْظرونَ منْ طَرفٍ خفيٍّ	: يسارِقونَ النَّظرَ منَ الخوفِ .
هل إلى مردٍّ من سبيل	: هل مِنْ رُجوعٍ إلى الدُّنْيا لِنُؤْمِنَ وَنَعْمَلَ الصّالِحاتِ .

التفسيرُ :

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

تُقرِّرُ الآياتُ أَنَّ الذي يُضِلُّهُ اللهُ بسببِ كفره وظلمهِ لا أحدَ ينْصُرُهُ منَ اللهِ ، أو يهديهِ منْ بعدِ اللهِ . هؤلاءِ الظالمونَ الضّالونَ ينتظرُهُمْ عذابٌ شديدٌ ، وحينَ يرونهُ يتمنَّونَ العودةَ منْ جديدٍ ، ليغيِّروا ويبدِّلوا ما كانوا عليهِ .

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

ولكن . . فاتَ الأوانُ ، فلَوْ تَراهُمْ وَهُمْ يُعْرَضونَ وَيُساقونَ إلى النَّارِ منكسرينَ خاضعينَ يَغْشاهُمُ الذُّلُّ ، وَهُمْ يَخْتَلِسونَ النَّظَرَ إليها بِعُيونٍ مُنْكَسِرَةٍ ، يُجلِّلُهُمُ الهوانُ ، وَهُمْ على هذهِ الحالةِ المُذِلَّةِ يَراهُمُ المؤمنونَ ، فيقولونَ لهم : هذا هُوَ الخُسْرانُ ، إنَّ الخاسِرينَ الحقيقيينَ هُمُ الذينَ خَسِروا أَنفسَهُمْ إذ أُورِدُوا النَّارَ ، وخسِروا أهليهم ؛ إذ تَقَطَّعوا عَنْهُمْ وَدَخَلُوا العذابَ كذلِكَ ؛ إذ إنَّ الظالمينَ عذابُهم مقيمٌ في النَّارِ فلا خُروجَ لَهُمْ مِنْها .

﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾

ثُمَّ تؤكِّدُ الآيةُ الأخيرةُ في هذا الدَّرْسِ ما أكّدتْهُ الآيةُ الأولى ؛ أنَّ هؤلاءِ الضَّالينَ ليسَ لَهُمْ أولياءُ يُدافِعونَ عَنْهُم وينْصُرُونَهم مِنْ دونِ اللهِ ، وأَنَّ الذي يُضِلُّهُ اللهُ ما له من سبيلٍ إلى الهُدى .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مَنْ يُضلُّهُ اللهُ فليسَ لَهُ ناصرٌ ولا هادٍ يهديهِ إلى الحَقِّ .

٢ـ الكافِرونَ يومَ القيامةِ يَطْلبونَ أن يُردُّوا إلى الدُّنيا لِيَعْمَلوا بطاعةِ اللهِ حينَ يرونَ العذابَ ، فلا يُجابونَ وَهُمْ في حالَةِ الذُّلِّ والهوانِ .

٣ـ إنَّ الخُسْرانَ في الحقيقةِ ما صارَ إليهِ الكافرونَ الظالمون ؛ فإنَّهُم خَسِروا أنفسَهم وأهليهم بخُلودِهِم في نارِ جهنمَ .

التقويمُ :

أَجبْ عَنِ الأَسْئلةِ التّاليَةِ :

١ـ إلى مَنْ يعودُ الضَّميرُ في قولِهِ تعالىٰ ﴿مِنْ بَعْدِه﴾ ؟

٢ـ ما مَعْنى كُلٍّ مِنَ الآيتين الآتيتين :

أ ـ ﴿خاشِعينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ .

ب ـ ﴿يَنْظُرونَ مِنْ طَرْفٍ خَفيٍّ﴾ .

٣ـ أ ـ أين وَرَدتْ كلمةُ « وَلِيٍّ ، وَأَوْلياءَ » في هذهِ المَجْموعةِ من الآياتِ ؟

ب ـ وما مَعْنى « وليّ » ؟

٤ـ ماذا يقولُ الكافرونَ حينَ يروْنَ العذابَ ؟ اكتبِ الآيةَ الدّالّةَ على ذلكَ .

٥ـ ماذا يَقولُ المؤمنونَ حينما يَرَوْنَ الكافرينَ في العذابِ يومَ القيامةِ ؟ اكتبِ الآيةَ الدّالّةَ على ذلكَ .

٦ـ صِفْ حالَ الكافرينَ حينما يُعرَضُونَ على النَّارِ .

نشاط :

١ـ اكتبْ في دفتركَ كيفَ ينظرُ الكافرونَ إِلى المؤمنينَ في هذهِ الدُّنْيا .

٢ـ وردتْ كلمةُ « سَبيل » مَرّتَيْنِ في هذه المجموعةِ من الآياتِ ، وَمَرَّتَيْنِ في المجموعةِ السابقةِ .

أ ـ فهلْ وَرَدتْ في سُورَة الشُّورى غيرَ هذهِ المَرَّاتِ الأَرْبَعِ ؟

ب ـ تَتَبَّعْها في القُرآنِ وبيِّنْ معناها .

ج ـ ما الفرقُ بَيْنَ كَلِمَةِ « سبيل » وكلمةِ « صِراطٍ » ؟

* * *

الدَّرسُ العاشِرُ

سورةُ الشُّورى ـ القِسْمُ العاشِرُ

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

معاني المُفْرداتِ :

- استجيبوا لِرَبِّكُمْ : أَطِيعوا أمرَهُ .
- وما لكمْ مِنْ نكيرٍ : لا تجدونَ مُنْكِراً لما نزَلَ بكمْ مِنَ العذابِ .
- حَفيظاً : مسجِّلاً لأعمالِهم .
- عَقيماً : لا ولدَ لَهُ .
- يُزَوِّجُهُم : يَجْمعُ لهم بينَ الأولادِ والبناتِ .
- ذُكراناً : ذكوراً .

التفسيرُ :

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

تأمرُ الآيةُ الكريمةُ النّاسَ جَميعاً بالاستجابةِ لربِّهم وامتثالِ أمرِهِ ، مِنْ قبلِ أنْ يأتيَ يومُ الحسابِ

الذي لا يَرُدُّهُ أحدٌ، فلا ملجأ لأحدٍ يومئذٍ يَحْميهِ ، ولا يجدونَ مُنكِراً يومئذٍ لما يَنزِلُ بهم مِنَ العذابِ ، فإنْ أعرضَ النّاسُ بعدَ هذا البيانِ ولمْ يَمْتَثِلوا ، فإنَّا لم نُرْسِلْكَ حَفيظاً على أعمالِهِم ، ولا مُهَيْمِناً عليهِم ، ولا مُحاسِباً لهمْ ، فما عليكَ إلا البلاغُ وَتَوْصيلُ الرِّسالةِ إليهم .

وإنَّ مِنْ طَبْعِ الإنسانِ وعادتِهِ أَنَّهُ إذا أنعمَ اللهُ عليهِ بِنِعَمٍ فرحَ بها وتعالىٰ وتكبَّرَ ، وإذا أَصابَتْهُ مصيبةٌ أو سَيِّئَةٌ ، جزاءَ ما عملتْ يداهُ منَ الذُّنوبِ ، كَفَرَ وَأَصابَهُ اليأسُ ، والقنوطُ بِسَبَبِ ما أصابَهُ .

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

بَيَّنَتْ هاتانِ الآيتانِ أَنَّ اللهَ تعالىٰ له مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ وكلِّ ما فيهنَّ ؛ لِأنَّهُ هُوَ الخالقُ لِكلِّ ذلكَ ، فهوَ يخلُقُ ما يشاءُ ويرزُقُ كما يشاءُ ، ولمّا كانتِ الذُّرّيَّةُ مِنَ الرِّزقِ فإنَّ اللهَ يُعطي مَنْ يشاءُ إناثاً ، ويعطي مَنْ يشاءُ الذُّكورَ لِحِكْمتِهِ ، وَيُعْطي فريقاً آخرَ من الذُّكورِ والإناثِ ، وَيَجْعَلُ فريقاً آخرَ عقيماً لا يُنْجِبُ .

إنَّ اللهَ في تَدْبيرِ خَلْقِهِ وكونِهِ عِلْيمٌ ، يفعلُ كُلَّ ما يفعلُ عَنْ عِلْمٍ ، وقديرٌ يُنَفِّذُ ما يريدُ ، لا يمنعُ إرادتَهُ أحدٌ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العاقلُ يَسْتجيبُ لِنداءِ اللهِ فيطيعُهُ ، قبلَ أنْ يأتيَ يومٌ رهيبٌ ، لا يقدِرُ أحدٌ على رَدِّهِ وهوَ يومُ الحساب .

٢ـ دَوْرُ الرَّسولِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ فَقَطْ هو البَلاغُ ، وليسَ الحِساب ؛ لأنَّ الحسابَ على ربِّ العبادِ .

٣ـ طبيعةُ الإنسانِ غيرِ المؤمنِ أَنَّهُ يَفْرَحُ لِلنِّعْمةِ فيَبْطَرُ ويتكبَّرُ بدَلَ أن يُسخِّرَها في طاعةِ اللهِ ، ويصيبُهُ اليأسُ والقُنوطُ إذا أصابتهُ مصيبةٌ بِسَببِ ذنوبِهِ بدلَ أَنْ يصبرَ .

٤ـ إنَّ الإنسانَ المُؤْمِنَ يشكرُ اللهَ على النِّعْمةِ في حالةِ السّرّاءِ ، ويصبرُ في حالةِ الضّرّاءِ .

٥ـ اللهُ وحدَهُ هو المالكُ للسّماواتِ والأرضِ وَمَنْ فيهما ، وَيَصْرِفُ الرِّزْقَ كَما يشاءُ وَفْقَ حِكْمتِهِ ، ولهذا تجدُ المُسْلِمَ يَرْضى بما رَزَقَهُ اللهُ ولا يَعْتَرِضُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى ﴿لا مردَّ له مِنَ اللهِ﴾ ؟

٢ـ بِماذا وَصَفتِ الآياتُ يومَ القيامةِ ؟

٣ـ ما الذي نَفَتْهُ الآياتُ عَنِ الرَّسولِ ﷺ ؟ وما الذي أَثْبَتَتْهُ لَهُ ؟

٤ـ ما سَببُ كُفرانِ الإنسانِ إذا مسّتْهُ السّيّئةُ ؟

٥ـ صنِّفِ النّاسَ حسبما رَزَقهُمُ اللهُ مِنْ ذُرّيةٍ ، واكتبِ الدّليلَ على ذلكَ .

نشاط :

١ـ وَرَدَ في سُورَةِ الإِسراءِ آياتٌ تُبيِّنُ حالَ الإنسانِ كَما وَرَدَ في ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ . اكتبْها في دفْتَرِكَ .

٢ـ وَرَدَ في سُورةِ النَّحلِ وفي سُورَةِ الزُّخْرُفِ آياتٌ تُبيِّنُ وَصْفَ الكافرِ عندما يُخبرُهُ أحدٌ بأَنَّ المَوْلودَ أُنثى . اكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

سُورَةُ الشُّورى ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

معاني المُفْرداتِ :

وَحْياً : ما يُلْقى إلىٰ الرُّسُلِ مِنْ كلامِ اللهِ .

رُوحاً : هو القرآنُ تَحْيا بِهِ النُّفوسُ .

صِراطٍ مستقيم : الصراطُ هو الطَّريقُ الواسِعُ السَّهْلُ ، والمُرادُ هنا دينُ الإِسلامِ .

التفسيرُ :

هذِهِ هيَ المَجْموعَةُ الأخيرةُ مِنْ سُورَةِ الشُّورى ، تَتَعلَّقُ بالوَحْيِ إلى النبيِّ ﷺ تَماماً كَما بُدِئَتِ السُّورَةُ ، فأَوَّلها كلامٌ عَنِ الوَحْيِ وآخِرُها كذلِكَ .

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ أَنَّ تكليمَ اللهِ للبشرِ يقعُ بثلاثةِ أساليبَ :

الأَوَّلُ : بالإِلقاءِ في القَلْبِ ، ويُسمَّى وَحْياً ، وهو إِلهامٌ يجعلُهُ اللهُ تعالىٰ في قلبِ مَنْ يُوحي إِليهِ .

والثّاني : كَما حَصلَ لِموُسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقَدْ سَمِعَ كلامَ اللهِ مِنْ غيرِ أنْ يَرىَ مَن يُكلِّمُهُ ، وهو الَّذي جاءَ في قَوْلِه تعالىٰ ﴿أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ .

والثّالِثُ : بإِرسالِ مَلَكٍ كَجبريلَ ، فيُوحي إلى النَّبيِّ ما أمرَهُ بتبليغِهِ ، وهذا قولُهُ تعالىٰ : ﴿أو يرسلَ رسولاً فيوحيَ بإذنه ما يشاء﴾ .

وَاللهُ ـ سُبْحانَهُ وتعالىٰ ـ عَلِيٌّ لا تدركُهُ الأَبْصارُ ، وحكيمٌ في كلِّ ما يفعلُ .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ .

وهكذا كانَ إنزالُ القرآنِ إلى رسولِ الله ﷺ أوحاهُ الله تعالى إليه كتاباً كريماً . وهذا القرآنُ كالرُّوحِ التي تَحْيا به الأَجْسادُ ، أَحيَا اللهُ بِهِ الأُمَمَ والنُّفوسَ ، ويبيِّنُ اللهُ حقيقةَ ما كانَ عليهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَيقولُ له : لقد كُنْتَ أنتَ ، مِنْ قَبْلِ الوَحْي إليْكَ ، أُمِّيّاً لا تعلمُ ما الكتابُ ، ولا تدري ما الإيمانُ ، ولكنْ جعلنا هذا الكتابَ نُوراً يُبدِّدُ الظُّلماتِ ، ويُجلّي الحقَّ ، وَيَهْدي بهِ اللهُ مَنْ شَاء مِنْ عبادِهِ ، وأنتَ تبيِّنُ ، يا أيُّها الرَّسولُ ، ما نزلَ لِلنّاسِ مِنْ ربِّهم ، وَتَدْعُوهم إلى الإِسْلامِ الذي هو الطريقُ الواسِعُ السَّهلُ الذي فيه راحةُ البَشرِ وَسَعادتُهم ، وَهُوَ الّذي لا عِوَجَ فيهِ .

وهذا الصِّراطُ هو صِراطُ اللهِ وسبيلُهُ ، هذا الإلهُ الّذي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ ، وإليهِ تُرْجَعُ الأمورُ .

دروسٌ وعِبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تكليمُ اللهِ لِعبادِهِ له ثلاثةُ أساليبَ : النَّفْثُ في الرَّوْعِ ، أو مِنْ وراءِ حِجابٍ ، أو بواسِطَةِ المَلَكِ جِبْريلَ .

٢ـ القرآنُ الكريمُ رُوحٌ يُحْيي القُلوبَ وَنُورٌ يضيءُ النُّفوسَ والعُقولَ .

٣ـ القرآنُ مَصْدرُهُ منَ اللهِ بدليلِ أَنَّ الرَّسولَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أُمِّيٌّ لا يَعْرِفُ شيئاً مِنْ هذا القُرْآنِ قبلَ نُزولِ الوَحْيِ عَلَيْهِ .

٤ـ الدِّينُ الإِسلاميُّ هو الصِّراطُ المُسْتَقيمُ المُوصِلُ إلى سَعادَةِ الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٥ـ نِهايةُ الصِّراعِ بينَ الحقِّ والباطلِ لِصالحِ الحَقِّ ، لأنَّهُ مِنَ الحَقِّ ـ سُبْحانَهُ وتعالىٰ ـ وَيُعودُ الحُكْمُ إِلى اللهِ الحقِّ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسْئِلَةِ التّالِيَةِ :

١ـ أ ـ اذْكُرْ أَنْواعَ الوَحْيِ الثّلاثَةَ .

ب ـ هاتِ مثالاً واحِداً على كلِّ نَوْعٍ .

٢ـ وُصِـفَ القُرآنُ في الآياتِ بصفـاتٍ ، اذكُرْها .

٣ـ ما الَّذي كانَ النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلاة والسّلام ـ لا يَدْريهِ قَبْلَ الوَحْيِ ؟

٤ـ ما مَعْنى ﴿إِلى الله تَصيرُ الأمورُ﴾ ؟

٥ـ جاءَتِ الآيَةُ الكريمةُ بما يَرِدُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ مِنَ ادِّعاءِ المُشْرِكينَ أَنَّ القُرْآنَ مِنْ أَسَاطِيرِ الأَوَّلينَ ، اذكُرِ الآيةَ الدَّالَّةَ على ذَلِكَ .

نشاط :

اكْتُبِ الآيةَ الدّالّةَ على القِسْمِ الأوّلِ (الإلْقاء في القلْب) ، وهي الخاصَّةُ بأُمِّ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، كَما جاءَ في سُورَةِ طه .

* * *

الدّرس الثّاني عَشَر

سورةُ الزُّخْرُفِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

هذِهِ هيَ السُّورَةُ الثالثةُ والأربعونَ في تَرْتيبِ المُصحَفِ ، وهيَ مَكِّيَّةٌ ، وعددُ آياتِها تسعٌ وثمانونَ آية ، وموضوعُها التَّوحيدُ ، وأدلَّتُهُ الكونيَّةُ ، وَمُعَوِّقاتُهُ مِنَ التقليدِ ، والتَّرَفِ ، والتَّكْذيبِ ، والْجاهِ الكاذبِ ، وَمَتاعِ الدُّنيا الَّذي سَمّاهُ القرآنُ بالزُّخْرُفِ ، الذي يَنْخَدِعُ به الكَثيرونَ ، مَعَ أَنَّ متاعَ الدُّنيا زائلٌ ومَتاعَ الآخرَةِ باقٍ ، والعاقلُ لا يُخدَعُ بزُخرفِ الدُّنيا فيُضَيِّعُ آخرتَهُ من أجلِ دنياهُ .

معاني المُفْرداتِ :

حَمٓ	: الحُروفُ المُقطَّعةُ للتنبيهِ على إعجازِ القرآنِ .
والقرآنِ المبينِ	: قَسَمٌ بالقرآنِ البيِّنِ الواضحِ في نَفْسِهِ ، المُوَضِّحِ لِغَيْرِهِ .
أُمِّ الكتابِ	: أصلِهِ ومَصْدرِهِ ، وهُوَ اللوحُ المَحْفوظُ .
لدَينا	: عِنْدَنا .
لعليٌّ حكيمٌ	: عظيمُ القَدْرِ ذو حكمةٍ .

أفنضربُ عنكُمُ الذكرَ صفحاً : أنترك تذكيرَكُم إعراضاً عنكُمْ ؟
أنْ كنتمْ قوماً مُسرفينَ : أي لأجلِ أنكم مُسْرفونَ في التكذبِ والعِصْيان .
ومضى مَثَلُ الأوَّلينَ : سبقَ ذكرُ قَصَصِهِم .

التفسيرُ :

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ .

تبتدىءُ السُّورةُ بالحروفِ المُقَطَّعَةِ ﴿حمٓ﴾ كَسَابِقَاتِهَا الثَّلاثِ ، وتالِيَاتِها الثَّلاثِ ، وهذه الحروفُ فيها تنبيهٌ على إعجازِ القُرآنِ ، فهذا القُرآنُ من جِنْسِ هذهِ الحُرُوفِ ، وهذه حروفُ لُغَتِكُمْ ، فقولوا مِثْلَهُ إِنِ استطعتُمْ ، وإلاّ فاعْلموا أنّه كلامُ اللهِ ، وليسَ من كلامِ البشرِ .

وفي الآية الثّانيةِ قَسَمٌ بالقرآن المنزّل المكَوَّن منْ هذهِ الحُروفِ ، فاللهُ يُقسِمُ بالقرآنِ البيِّنِ الواضحِ المبيِّنِ المُظْهِرِ لطريقِ الهدىٰ مِنْ طُرُقِ الضَّلالِ . هذا القرآنُ أنزلناهُ بِلُغَةِ العَرَبِ ولِسانِهِمْ ، لِيَفْهَمُوا وَيَفْقَهُوا ما فيه لَعَلَّهُم يَعْقلونَ معانِيَهُ ، ويَعْرفونَ مقاصِدَهُ .

وإنّ هذا القرآن في اللّوحِ المحفوظِ عندَنا رفيعُ الشأنِ ، عالي الذِّكْرِ ، عظيمُ القَدْرِ ، وهو ذو حِكْمةٍ بالغةٍ عاليةٍ ، ومكانةٍ ومنزلةٍ رفيعةٍ . وهذا البيانُ لمنزلةِ القرآنِ في المَلأ الأعْلى مِنْ أجلِ أن يُعَظِّمَهُ أهلُ الأرضِ .

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ .

ثم اتَّجهَ الخطابُ إلى الكافرينَ ، فسألَهُمُ القرآنُ الكريمُ المبينُ سؤالَ استنكارٍ واستهجانٍ : ﴿أفنضربُ عنكمُ الذكر صَفحاً﴾ ، أيْ أنتركُ تذكيرَكُم إعراضاً عنكم ونعدّكُم كالبهائم ، فلا نعظَكُم ولا نذكِّرَكُم بالقرآنِ لأنكم كنتمْ مسرفينَ في التكذيبِ ، مبالغينَ في العصيانِ ؟ لا بل سنذكرُكُم ونعظُكُمْ إلى أن ترجعُوا إلى طريقِ الحقِّ .

وبيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ أَنَّ اللهَ أرسلَ قَبْلَكُم رُسلاً كثيرينَ ، وكانَ كُلُّ قوم يستهزئونَ برَسُولِهم الذي أرسلَهُ اللهُ تعالىٰ ، فكانتْ نتيجةُ هذا الاستهزاءِ والتكذيبِ أنْ أهلكَهُمُ اللهُ تعالىٰ ، مَعَ أنَّهم كانُوا أشدَّ منكمْ قُوَّةً وأكثرَ بَطْشاً وَجَبَروتاً ، يا مَنْ تُكَذِّبونَ النبيَّ مُحَمَّداً ﷺ ، ومضتْ عِبْرةُ الأَوَّلينَ فاعْتَبِروا ، وَسَبَقَ ذكرُ قَصصِهم فاتَّعِظوا .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أَقْسَمَ اللهُ بالقرآنِ البيِّنِ الواضحِ الجليِّ ليؤكِّدَ أنَّهُ أنزَلَهُ بِلُغةِ العربِ ، لكي يفهمَ العربُ أحكامَهُ ، ويتدبَّروا معانِيَهُ .

٢ـ هذا القَسَمُ يدلُّ على شرفِ القرآنِ وعزَّتِهِ ، وعلى شرفِ اللُّغةِ العربيةِ في الْمَلأِ الأعلى ، ليشرِّفَهُ ويعظِّمَهُ أهلُ الأرضِ .

٣ـ استمرارُ نزولِ القرآنِ رحمةٌ من اللهِ للإنسانِ رغمَ الإعراضِ عَنْهُ .

٤ـ إهلاكُ الأممِ السّابقةِ التي كذّبتِ الرُّسلَ لِيَكُونوا عِبْرَةً وعِظَةً لِمَنْ بعدَهُم من الْمُكَذِّبينَ ، فهذا تهديدٌ ووعيدٌ لكلِّ مَنْ يقفُ ضدَّ دعوةِ القرآنِ ، وفي ذلكَ تسليةٌ للرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلةِ التَّالِيَةِ :

١ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿والكتابِ المُبينِ﴾ .

ب ـ ﴿أفنضربُ عنكمُ الذِّكرَ صَفْحاً﴾ .

ج ـ ﴿أن كنتُم قوماً مُسْرفينَ﴾ .

د ـ ﴿ومَضَىٰ مَثَلُ الأَوَّلينَ﴾ .

٢ـ كَم اسْماً وَوَصْفاً للقرآنِ في هذهِ الآياتِ ؟

٣ـ جاءَ في الآياتِ الكريمةِ تسليةٌ لرسولِ الله ﷺ . وَضِّح ذلكَ .

نشاط :

اكتُب أسماءَ السُّوَرِ الَّتي قَبْلَ هذه السُّورَةِ والَّتي بَعْدَها وَبَدَأَتْ بـ ﴿حم﴾ وَسُمِّيَتْ بِـ(الحواميم) .

* * *

الدرسُ الثالثَ عشَرَ

سورةُ الزُّخْرُفِ - القِسْمُ الثّاني

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

مَهْداً : فَرْشاً .

سُبُلاً : طُرُقاً .

بِقَدَرٍ : بقدَرِ الحاجةِ .

فأنْشَرْنا : فأحيينا .

بلدةً ميتاً : مُجدِبةً لا نباتَ فيها .

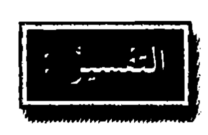
خلقَ الأزواجَ كُلَّها : خَلَقَ الذَّكرَ والأُنْثى مِنْ كُلٍّ مِنَ النّباتِ والحَيَوانِ والإنسانِ .

لِتَسْتَووا : لِتَسْتَقِرُّوا .

سَخَّرَ : ذلَّلَ .

مُقْرِنينَ : مُطيقينَ .

لَمُنْقَلبونَ : لعَائِدونَ وَرَاجِعونَ .



﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) ﴾ .

تواصلُ الآياتُ تعريفَنا باللهِ ، وإقامةَ الحجَّةِ على الكافرينَ ، فتقولُ : لو سألتَهُم أيُّها النّبيُّ مَنْ خَلَقَ السّماوات والأرضَ ؟ سيكونُ جوابُهم : إنَّ الذي خَلَقهنَّ هوَ اللهُ العزيزُ العليمُ ، ومعَ ذلكَ يعبدونَ مَعَهُ غيرَهُ .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) ﴾ .

وواصلَ القرآنُ التَّعْريفَ باللهِ تعالىٰ ، فهوَ الذي جعلَ الأرضَ مُمَهَّدةً ومهيَّأةً لِلْعَيْشِ عَلَيْها ، وَجَعلَ فيها طُرُقاً تسيرونَ عليها إلى غايَتِكُم دونَ أن تَضِلُّوا . وهو الذي أنزلَ ماءً بقَدْرِ حاجَتِكُم وحاجةِ أرضِكُمْ وَزَرْعِكُمْ ، فأحيا بهذا الماءِ بلدةً ميتةً مُجْدِبةً ، لا زَرْعَ فيها ولا نَباتَ ، وكذلكَ سيكونُ خروجُكُم مِنْ قُبوركُم ، فالذي أحياها يُحييكُمْ ، وهوَ القادرُ على ذلكَ . وهو الَّذي خَلَقَ الأَزْواجَ ، أي الذَّكَرَ والأُنْثى ، مِنْ كلٍّ مِنَ النبَّاتِ والحَيَوانِ والإنسانِ ، وجعلَ لكمْ من السُّفُنِ وَمِنَ الأَنْعامِ ما تركبونَ عليهِ ، وتنتقلونَ بهِ في البَرِّ والبَحْرِ .

﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤) ﴾ .

ولقدْ وَجَّهَنا القرآنُ الكريمُ إلى أَدَبٍ عظيمٍ نتأدَّبُ بهِ عندَ اسْتِعمالِ هذهِ الوسائطِ التي نَسْتَخِدمُها في مُواصَلاتِنا ، فَعِنْدَما تَسْتَوونَ وتستقرّونَ على ظُهورِ المَرْكوبِ ، سواءٌ أكان خيلاً أم سَيّاراتٍ أم غيرَ ذلكَ ، تقولون ﴿سُبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربنا لمنقَلِبُون﴾ وَمَعْنى هذا الدُّعاءِ : سُبْحانَ الَّذي ذَلَّلَ لنا هذا المَرْكوبَ ، وما كُنّا لِنَسْتطيعَ تَذْليلَهُ ورُكوبَهُ بِأَنْفُسِنا لولا أَنَّ اللهَ يَسَّرَهُ لنا ، وسهَّلَهُ لنا ، وإنّا في نهايةِ المَطافِ إلى ربِّنا راجعونَ وعائدونَ .

دروس وعبر :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اعترافُ المُشْرِكينَ بأَنَّ اللهَ هوَ الخالِقُ للسَّماواتِ والأرضِ ، ثُمّ عبادةُ غيرِهِ ، يدلُّ على سَفَهِهِم وجَهْلِهِم .

٢ـ جميعُ النِّعَمِ التي يتَمتَّعُ بها الإنسانُ إنَّما جاءتْ بِفَضْلِ اللهِ وكرمِهِ الذي خَلَقها وسخَّرَها للإنسانِ فهو ـ سُبْحانَهُ ـ صاحِبُ الفَضْلِ وَحْدَهُ .

٣ـ يَجِبُ على الإنسانِ أن يَعْتَرِفَ بالفَضْلِ لِصاحِبِ الفَضْلِ ، فيشكرَ اللهَ على نِعَمِهِ بِقَلْبِهِ وبلسانِهِ وبِفِعْلِهِ كَما أمرَهُ اللهُ .



أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلَةِ التَالِيَةِ :

١ـ ماذا نقولُ إذا اعْتَلَيْنا وَسائِطَ النَّقْلِ ؟

٢ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين﴾ .

ب ـ ﴿جَعَلَ لكم الأرضَ مَهْداً﴾ .

ج ـ ﴿خَلَقَ الأزواج كُلَّها﴾ .

٣ـ ما الدَّليلُ الذي ساقَتْهُ الآياتُ على بَعْثِنا وخُروجِنا من القبورِ ؟

٤ـ اذكُرْ أَرْبَعاً مِنَ الآياتِ الكَوْنِيَّةِ الدّالَّةِ على وُجودِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مُرَتَّبَةً كما جاءتْ في الآياتِ الكريمَةِ .



١ـ اكتبْ في دفترِكَ أَسْماءَ بعضِ وَسائلِ الرُّكوبِ البريَّةِ والبحريَّةِ والجويَّةِ التي أَنْعَمَ اللهُ بِها على عِبادِهِ .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ دُعاءَ الرُّكوبِ المستفادَ من هذهِ الآياتِ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابِعَ عشَرَ

سورةُ الزُّخْرُفِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

وَجَعلُوا لهُ مِنْ عبادِهِ جزءاً	: أي قالوا : الملائكةُ بناتُ اللهِ .
لَكفورٌ مبينٌ	: واضحُ الكفرِ .
وأصفاكمْ بالبنينَ	: اختصّكمْ بالذُّكورِ .
كَظيمٌ	: مَمْلوءٌ قلبُهُ بالغَيْظِ .
أَوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحِليةِ	: طبيعتُهُ أنْ يتربَّى في الزِّينةِ ، وَهُنَّ البَناتُ .
يخرُصونَ	: يكذِبونَ .
أُمَّةٍ	: على دينٍ وطريقةٍ .

التفسيرُ :

﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

تَتكلَّمُ الآياتُ عن الكافرينَ ، وكيفَ أنَّهم ادَّعَوا للهِ وَلَداً ، إذْ قالوا : الملائكةُ بناتُ اللهِ . وهذهِ شهادةٌ على أنَّ الإنسانَ القائلَ لهذا ظاهرُ الكفرِ بربِّهِ ، وكيفَ يَتَّخِذُ اللهُ الملائكةَ مِنَ البناتِ ويَدَعُ لكمُ البنينَ ؟ لماذا إذا أرادَ أنْ يتخذَ أولاداً لَمْ يَتَّخِذْهُم مِنَ الذُّكور ؟ وهذا إنكارٌ عليهم غايةَ الإنكارِ ، إن نسبة الوَلَدِ إلى اللهِ تُنافي كَمالَ اللهِ وجَلالَهُ وَعَظَمَتَهُ ، وعَدمَ حاجَتِهِ إلى غَيْرِه .

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

ثمَّ وَصَفَ حالَ الكُفّارِ إذا رُزِقَ أحدُهُمْ بِأُنْثى مَعَ أَنَّهُ يَدَّعيها للهِ ، وينسُبُها له ، فإنَّهُ يتعكَّرُ وَجْهُهُ منْ هذهِ البشارةِ ، وَيَمْتَلىءُ قلبُهُ بالغيظِ وبالسّخْطِ ، فكيفَ يتَّخذُ اللهُ بناتٍ ، وأنتمْ لا تَقْبَلونَ بها لِأنفسكم ؟ تَعالىٰ اللهُ عَنْ ذلكَ عُلُوّاً كبيراً ، ثم يُقيمُ القرآنُ حجةً أُخْرى لإبطالِ ادّعائِهم فيقولُ :

﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ .

إنَّ المعهودَ أنَّ البنتَ تُنشّأُ وَترَبّى في حُبِّ الزّينةِ ، فَهِيَ مُرَفَّهةٌ مُدَلَّلةٌ ، فإذا احتاجَ الإنسانُ أَحَداً في المُلِمّاتِ اختارَ البنينَ على البناتِ ، فلماذا تزعمونَ أَنَّ اللهَ اختارَ البناتِ وأَنْتمْ تَمْقُتونهنّ وَتَكْرَهُوهُنّ ؟ ثمَّ إنهنَّ في الحاجةِ والجدالِ قد يَغلِبُهُنَّ ضَعْفُ طبيعتهنَّ فلا يَصْمُدْنَ في احْتدامِ الحِجاجِ وشدَّةِ المواجهاتِ أمامَ خُصومِهنّ ، فكيف يختارُهنَّ اللهُ ؟

وكلُّ ذلكَ الحِجاجِ حَسْبَ مَنْطِقهِم ، وإلاَّ فإنَّ اللهَ تعالىٰ لا تَمْييزَ عندَهُ ، فكلُّ الخلقِ أمامَهُ في العُبوديَّةِ سواءٌ .

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

ثم عادَ ليؤكّدَ كُفْرَ هؤلاءِ ، إذ قالوا زوراً ودونَ علمٍ ، فجعلوا الملائكةَ الذينَ همْ عبادُ اللهِ المُصْطَفَوْنَ إناثاً ، والحالُ أَنَّ الملائكةَ لا يوصفونَ بذكورةٍ ولا بأنوثةٍ . ويحتجُّ عليهمُ القرآنُ فيقولُ : هل شهدتُم خلقَهُمْ ؟ إن اللهَ سيسجِّلُ هذهِ الشَّهادةَ الكاذبةَ ، ويسألُكُمْ عنها ، ويُحاسِبُكُمْ عليها .

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

ثم ذكرَ زعماً آخرَ لِلْكُفّارِ أنّهم قالوا يُدافعونَ عَنْ عِبادَةِ الملائكةِ ، وعبادةِ ما سوى اللهِ ، قالوا : لو شاءَ اللهُ ما عَبَدْنا المعبوداتِ التي عَبَدْناها ، وَهُمْ يَنْسبونَ كفرَهُم إلى اللهِ ، تعالىٰ اللهُ .

واللهُ لا يُحبُّ الكفرَ ، ولا يَرْضاهُ ، ولكنّه جعلَ الإنسانَ هوَ الذي يختارُ ، ولم يُلْزِمْهُ بالإيمانِ فلبَّسوا الأمورَ ، وتكلّموا بغيرِ عِلْمٍ ، وَكَذَبُوا على اللهِ ، وافترَوا .

﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

وَيُحاجُّهمُ القرآنُ في شُبْهتهمُ الجديدةِ فيقولُ : هل عندَكمْ كتابٌ منْ عندِ اللهِ نزلَ عليكمْ قبلَ القرآنِ ، يقولُ بهذا الذي تقولونَ وأنتمْ بهِ متمسكونَ ؟ سيجيبونَ : لا ، ولكنْ وجدْنا آباءَنا على مِلَّةٍ ، ولا مستندَ لهم ، ولكنْ نفعلُ الذي يفعلونَ ، ونحنُ على سُنَّتِهم ماضونَ ، وعلى آثارِهمْ سائرونَ ، وبنهجِهِم مستمسكونَ ، فنقلِّدُهُمْ تقليداً أَعْمى .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ قولُ الكفارِ بأَنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ قولٌ شنيعٌ لِما يَلي :

أ ـ أَنَّهُم نَسَبوا إلى اللهِ الوَلَدَ .

ب ـ أَنَّهُم نَسَبوا إليه البناتِ دُونَ البنينَ .

ج ـ أَنَّهُم حَكَموا على الملائكةِ المُكَرَّمينَ بالأُنوثَةِ بلا دَليلٍ ولا بُرهانٍ .

٢ـ ليسَ عندَ الكافرينَ حُجَّةٌ تُثبتُ قولَهمْ أو فِعْلَهُم سوى التَّقْليدِ الأَعْمى لآبائِهم الجَهَلَةِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿وجعلوا لهُ من عِبَاده جزءاً﴾ .

ب ـ ﴿أَوَ مَنْ يُنشَّأ في الحِلْية وهو في الخِصَام غيرُ مبين﴾ .

ج ـ ﴿إنا وَجَدنا آباءَنا على أُمَّة﴾

د ـ ﴿إن هم إلا يَخرُصون﴾ .

٢ـ بم احْتَجَّ القرآنُ على الذينَ زَعَموا للهِ البناتِ ؟

٣ـ أ ـ بمَ وصفَ المُشْركونَ الملائِكةَ ؟

ب ـ بمَ ردَّ اللهُ عليهمْ وَصْفَهُم للملائكةِ ؟

٤ـ أ ـ ماذا أَرادُوا بِقَوْلِهم : ﴿لو شاء الرَّحمـٰنُ ما عبدناهُم﴾ ؟

ب ـ بم تَردُّ عليهمْ ؟

نشاط :

١ـ جاءَ في سُورَةِ الإخلاصِ ردٌّ على هذا الافْتِراءِ ، اكْتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

٢ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً حَوْلَ التَّقليدِ الأَعْمى ، أيْ مُتابعةَ الإنسانِ غَيْرَهُ مِنْ غَيْرِ دَليلٍ ولا بُرْهانٍ ، وَبَيِّنْ أَخْطارهُ على المُسْلِمِ ، واقْرَأْهُ في الإذاعَةِ المَدْرَسيَّةِ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ

سُورَةُ الزُّخْرُفِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

مُتْرَفُوهَا : مُنعَّموها وهمُ الرُّؤَساءُ .

بَرَاءٌ : بريءٌ .

فَطَرَني : خَلَقَني وَأَوْجَدَني .

كَلِمَةً باقيةً : كلمةَ التَّوْحيدِ .

التفسيرُ :

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

بيَّنَتِ الآياتُ في الدَّرْسِ السّابِقِ ردَّ الكافرينَ على دَعْوَةِ الحقِّ ، وقولَهم إنَّا وجدْنا آباءَنا على طريقة ، أي على دِيْنٍ ، ونحنُ نتَّبِعُهُم في طريقتِهم .

وفي هذا الدَّرْسِ بيانُ أنَّ هذهِ عادةُ الأقوامِ على مَرِّ الأجيالِ ، لأنَّهُ ما أرسلَ اللهُ في أمَّةٍ مِنْ رَسُولٍ

ينذرُهُمْ ، إلاَّ قال المُتْرَفونَ المُنَعَّمونَ والرُّؤَساءُ الطاغونَ مُسْتَسْهِلينَ الرَّاحَةَ والاسْتِمرارَ فيما هُمْ عليهِ قولَ من سبقوهم : إنَّا وجدْنا آباءَنا على طريقةٍ ، ونحنُ نَقْتَدي بِهِمْ في طريقتِهِم .

﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

ويَردُّ الأنبياءُ عَلَيْهِم : أتقتدونَ بآبائِكُمْ ولو جاءَكُم منَ اللهِ دينٌ أَهْدى وأَصْوَبُ مِمّا وَجَدْتُموهم عَلَيْهِ مِنَ الضَّلالِ ؟ فَرَدَّ الكافِرونَ المقلِّدونَ على الأَنْبياءِ المُرْسَلينَ : « إنّا بالّذي أُرسِلْتُمْ بهِ كافرونَ » .

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

فكانَتِ النّتيجةُ أنّنا انْتَقمنا مِنْهُم ، فانْظُر كَيفَ كانَ عاقِبةُ هؤلاءِ المكذِّبينَ .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

ثمَّ انتقلَ إلى مِثالٍ مِنْ قِصَصِ الأنبياءِ مَعَ أَقْوامِهِم ، ليكونَ شاهدَ الصِّدقِ على مَواقفِ الأقوامِ مِنَ الأنبياءِ ، فهذا إبراهيمُ عليهِ الصَّلواتُ والتسليمُ يقولُ لأبيهِ ولقومِهِ : إنني بَريءٌ مِنَ الآلهةِ الباطلةِ التي تَعْبدونَ ، وَمِنْ عِبادَتِكُمْ ، ولكنِّي أعبدُ اللهَ الذي خَلقَني وَأَوْجَدَني على فِطْرةِ الإيمانِ ، فإنَّ اللهَ سَيَهْديني إلى الحقِّ والصَّوابِ . وجعلَ إبراهيمُ هذهِ الكلمةَ كلمةَ الإيمانِ والتَّوْحيدِ باقيةً خالدةً في ذرِّيتهِ إلى يَوْمِ القيامَةِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعونَ إِليها على الدَّوامِ ، أي كَما أَنَّ الآباءَ الضالّينَ تَبِعَهُم أبناؤهُمُ الضالّونَ عَنْ عَمىً ، فإِنَّ الآباءَ المُهْتدينَ سَيَتَّبِعُهُم أَبْناؤُهم المُؤْمِنونَ عَنْ رُشْدٍ وَبَصيرةٍ .

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

وَتَخْتِمُ هذهِ الآياتُ بِتَقْريرِ اللهِ تَعالىٰ أَنَّهُ مَتَّعَ هَؤْلاءِ الكافرينَ الذينَ عاصَرُوا دعوةَ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ كما متَّعَ آباءَهم مِنْ قَبْلُ ، فأترفهُمُ النَّعيمُ ، وَبَدَلَ أن يَشْكُروا النِّعَم بَطِروها ، وكَفَرُوا بِها ، وَقالُوا لِلرَّسولِ وَدَعْوَتِهِ : هذا سِحْرٌ ونحنُ كافرونَ بهِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ التَّقليدُ داءُ الأممِ السّابقةِ ، يجعلُ أصحابَهُ يُقلِّدونَ آباءَهم في ضَلالِهِم .

٢ـ الكافِرونَ يَرْفُضونَ دَعْوَةَ الأنبياءِ ، ويكفرونَ بها رغمَ أَنَّ الحقَّ مَعَ الأنبياءِ .

٣ـ إبراهيمُ عليهِ الصَّلاة والسلامُ يدعو إلى التَّوْحيدِ وَيَتَبَرّأُ مِنَ المشركينَ .

٤ـ جَعلَ إبراهيمُ كلمةَ التَّوْحيدِ باقيةً في ذُرّيَّتِهِ ، وهي لا إلهَ إلا اللهُ فلا يَزالُ في ذرّيَّتِهِ مَنْ يَقُولُها إلى يَوْمِ القِيامَةِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما السُّلوكُ الّذي عابَتْهُ الآياتُ ؟

٢ـ ماذا كانَ ردُّ كُلِّ قومٍ على نبيِّهم ؟

٣ـ ماذا كانَ ردُّ كلِّ نبيٍّ على قومِهِ ؟

٤ـ ماذا كانتْ عاقبةُ المكُذِّبينَ ؟

٥ـ مَنِ النَبِيُّ الذي ساقتِ الآياتُ قِصَّتَهُ ؟

٦ـ ماذا قالَ هذا النَّبيُّ لقومِهِ ؟

٧ـ ما الكَلمةُ الباقيةُ ؟ وكيفَ تكونُ من أصحابِها ؟

نشاط :

اكْتُبْ مَوْضوعاً لِمَجَلَّةِ الحائِطِ في المَدْرَسَةِ تُميِّزُ فيهِ بينَ التَّقْليدِ الأَعْمى والتَّقْليدِ البَصيرِ ، وسجِّلْ هذا في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ السّادسَ عشرَ

سورةُ الزُّخْرُفِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

معاني المُفْرداتِ :

لِيتَّخِذَ بعضُهُمْ بعضاً سُخرياً : لِيَسْتَخْدِمَ بعضُهم بَعْضاً في قَضاءِ حوائِجِهِم .

معارِجَ : مصاعِدَ .

يظهرونَ : يرتقونَ ويصعدونَ .

زُخرفاً : زينةً .

لمّا مَتاعُ : إلاّ مَتاعُ .

التَّفسيرُ :

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ .

تواصلُ هذهِ الآياتُ بيانَ موقفِ الكفارِ العربِ من دعوةِ النبيِّ ﷺ ، ففي الدَّرْسِ السّابقِ اعْتَرَضوا

عَلَيْه بِأَنَّ دعوَتَهُ سِحْرٌ ، وهنا اعْتَرَضُوا بِأَنَّ الرِّسالةَ كانَ ينبغي أن تنزَّلَ على رَجُلٍ عَظيمٍ ذي مالٍ وجاهٍ في مَكَّةَ أو الطَّائفِ ، فردَّ اللهُ عليهم بِأَنَّ النَّبوَّةَ والرِّسالةَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، فهلْ همْ يَتَحَكَّمونَ في رَحْمَةِ اللهِ ، وَيَقْسِمونَها على هَواهُم ؟ وَهَلْ هُمْ أَعْلمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّها مِنْ صاحبِ الرَّحْمةِ ؟ وردَّ اللهُ عليهم أنّنا كَما قَسَمْنا بَيْنَهُمُ الرِّزْقَ وأسبابَ المَعاشِ ، فكذلِكَ اخْتَصَصْنا بالنُّبوَّةِ مَنْ نَشاءُ ، وَرَفَعْنا بالرِّزقِ والمَعاشِ بعضَهُم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ومستوياتٍ ، حتى استخدمَ بعضُهم بعضاً في حوائجِهِم ، لِيُسَخِّرَ بعضُهم بعضاً في مهامِّهِمْ ، ولو كانوا جميعاً في الغِنى سواءً ما اشتغلَ أحدٌ عندَ أحدٍ ، وَلَفَسدتِ الحياةُ .

فإذا كنتمْ عاجزينَ عَنْ تدبيرِ أمورِ العيشِ ، أفتدبِّرونَ شأنَ النبوةِ ؟ أَأَنْتُمْ أَحْكَمُ مِنَ اللهِ في اخْتيارِ الرَّسولِ وأعلمُ بِمَنْ يستحقُّ النّبوّةَ ؟ والنّبوّةُ أعظمُ مَن المعايشِ ، فَكَما دَّبرَ اللهُ المعايشَ ، فَهُوَ الذي اختارَ الأصلحَ للنّبوَّةِ ، وَرَحْمَةُ اللهِ بالنُّبَوةِ خيرٌ وأعظمُ مِمّا يَجْمَعونَ مِنَ الدُّنيا .

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ بيَّنَ اللهُ تعالىٰ حَقارةَ الدُّنيا عِنْدَهُ سُبْحانَهُ ، فجاءَ في الآيةِ أَنَّهُ : لولا كراهةُ أنْ يكفرَ النّاسُ جَميعاً إذا رأوُا الكفارَ في سَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ بِسَبَبِ حُبِّ النّاسِ للدُّنيا لأَعْطَيْنا الكُفّارَ في الدُّنْيا مِنْ أَسْبابِ التَّنْعيمِ الكثيرَ ، وَلَجَعَلْنا لَهُمْ بُيوتاً سُقوفُها مِنَ الفِضَّةِ ، ولها مصاعدُ وأدراجٌ يَرْتَقونَ عَلَيْها إلى الأَدْوارِ العُلْيا ، وَجَعَلْنا لِلْبُيوتِ أبواباً عظيمةً وسُرُراً مريحةً وزينةً ورياشاً وذهباً وأموالاً ، وهذا كلُّهُ لِهَوانِ الدُّنيا على اللهِ ، ولكنَّ الحِكْمَةَ اقتضتْ أنْ يكونَ في الدُّنيا الغنيُّ والفقيرُ ، والمؤمنُ والكافرُ .

وكلُّ الذي ذكرناهُ مِنْ نعيمٍ إنّما هوَ متاعُ الدُّنيا الزائلةِ ، فَهُوَ نعيمٌ زائلٌ ، أمَّا النَّعيمُ الباقي فهوَ الذي أعدَّهُ اللهُ في الآخرةِ للمُتَّقينَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ النُّبوَّة مِنْحة إلهيَّة يَهَبُها اللهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّها مِنْ خَلْقِهِ ، واللهُ أعلمُ مَنْ أَحَقُّ بها ، وليسَ للبشَرِ أن يَتَصرَّفوا فيها وَفْقَ مقاييسهِمْ في الجاهِ والمَالِ .

٢ـ لَمْ يُسَوِّ اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ في المالِ والقُدُراتِ العَقْلِيَّةِ ، لِيَحْتاجَ النّاسُ بَعْضُهم إلى بَعْضٍ .

٣ـ الرَّجُلُ العظيمُ هو الذي يكونُ عظيماً بميزانِ اللهِ وليسَ بميزانِ البَشرِ الدُّنْيَويِّ .

٤ـ ورحمةُ ربِّكَ خيرٌ مما يَجْمعونَ . ما أعطاهُ اللهُ لكَ من الدِّينِ ، وما أعدَّهُ اللهُ لكَ في الآخرةِ ، خيرٌ من مَتاعِ الدُّنيا الزائِلِ .

٥ـ لولا فتنةُ الناسِ للنّاسِ ـ فإنَّهم إذا رأوا الكافرَ في سَعةٍ مِنَ الرِّزْقِ رَغِبوا في الكُفْرِ وصاروا أمةً واحدةً فيه ـ لَخَصَّصَ اللهُ هذهِ الدُّنيا الزائِلَةَ للكفّارِ بكلِّ زخرفِها وزينتِها ورفاهيتِها ، وذلكَ لهوانِها وحَقارتِها عندَ اللهِ .

٦ـ متاعُ الدنيا زائلٌ ، ومتاعُ الآخرةِ باقٍ أعدَّهُ اللهُ للمؤمنينَ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ لماذا اعْتَرضَ الكفّارُ العَرَبُ على نُبوَّةِ النبيِّ ﷺ ؟

ب ـ بِمَ ردَّ اللهُ عَلَيْهِم ؟

ج ـ ما القَرْيَتانِ الَّلتانِ طَلبَ المُشْركونَ بَعْثَ النبيِّ مِنْهما ؟ ومَنِ الرَّجُلانِ اللذانِ اقترحَ المُشْركونَ أن تَنْزِلَ النُّبوَّةُ على أَحَدِهِما ؟

٢ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿لِيتَّخِذَ بَعْضُهم بَعْضاً سُخرياً﴾ . وكيفَ يكونُ ذلكَ ؟

ب ـ ﴿ولولا أن يكونَ الناسُ أُمّةً واحِدةً﴾ .

ج ـ ﴿وإِنْ كلُّ ذلك لمّا متاعُ الحياة الدُّنيا﴾ .

٣ـ بم دلَّنا القرآن على هوانِ الدنيا ؟

٤ـ ما مَعْنى « الزُّخْرُفِ » ؟

٥ـ جاءَ في الآياتِ الكَريمةِ وصفٌ للبيوتِ التي يمكنُ أن تكونَ للكافرينَ في الدُّنيا :

أ ـ بيِّنْ هذا الوَصْفَ .

ب ـ اذْكُرِ الدَّليلَ عليهِ من الآياتِ الكريمةِ .



نشاط :

١ـ كيفَ يكونُ الغنيُّ مُسَخَّراً لِلْفَقيرِ . اكْتُبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ حديثاً نبويّاً شريفاً يدلُّ على حَقارةِ الدُّنْيا في ميزانِ اللهِ تعالىٰ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ الزُّخْرُفِ ـ القِسْمُ السّادسُ

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

معانِي المُفْرداتِ :

يَعْشُ	: الّذي يَتعامى ويُعرضُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ .
نُقَيِّض	: نُهيِّىء ونُتِح .
قرينٌ	: مصاحبٌ له لا يفارقُهُ .
لَيَصُدُّونَهُم عن السَّبيل	: يُضِلُّونَهُمْ عنِ الإسلامِ .
صراطٍ مستقيمٍ	: دينِ اللهِ الإسْلامِ .
لَذِكرٌ	: لَشَرَفٌ عظيمٌ .

التفسيرُ :

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾

تبينُ الآياتُ الكريمةُ أَنَّ الذي يَتعامى عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، ويتجاهلُ دلائلَ الحَقِّ في الوُجودِ وفي

القرآنِ ، فلا يعظِّمُ ربَّهُ ويتّبعُ المبطلينَ ، فإنَّ اللهَ يُهيِّىءُ ويتيحُ لهُ شيطاناً يَسْتَولي عَلَيْهِ ويلازمُهُ ويزيدُهُ ضلالاً على ضلالٍ ، وذلك كَمَن يُمَكِّنُ عَدُوّاً مِنْ خصمِهِ فينتقمُ منهُ .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وإنَّ الشياطينَ لَيَصُدُّونَ أتباعَهم وأولياءَهُم مِنَ الكفارِ عَنْ سبيلِ الحقِّ ، ويحسَبُ هؤلاءِ أَنَّهم مُهْتدونَ ، وأَنَّهمْ على شيءٍ من الدِّينِ ، وما دَرَوْا أَنَّهُم في الضَّلالِ المُبينِ ، وَسَيَظَلُّون فيه إلى أن يُفاجَؤوا بالمَوْتِ ، ثُمَّ البعثِ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

يُحدِّثُنا رَبُّنا أَنَّ كُلَّ كافرٍ يَتمنّى يومَ القيامَةِ عِنْدَما يبعثُه اللهُ أن يكونَ بينَهُ وبينَ قَرينِه بُعْدُ المَشْرِقَيْنِ ، وَيَقولونَ لِقُرَنائهم : يا لَيْتَنا لم نَعْرِفْكُم ولم تَعْرِفونا ، ولم نَرَكُمْ ولم تروْنا ، فَبِئْسَ الصَّدِيقُ المقارنُ . ولنْ ينفعَكُمْ أو يُخَفِّفَ عَنْكمْ أنكمُ اليومَ جَميعاً مُشْتَركونَ في العذابِ . وقد ظَلَمْتُمْ أنفسَكُمْ فاستحقَّ كلٌّ منكمُ العذابَ .

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

ثُمَّ يَتوجَّهُ الخِطابُ إلى النَّبيِّ ﷺ ، فيسألُهُ ربُّهُ : هَلْ في اسْتِطاعَتِكَ أنْ تُسمِعَ الصُّمَّ الذينَ لا يستطيعونَ السَّمْعَ ؟ أو تجعلَ العُميانَ يُبْصرونَ ؟ أَوْ تهدي الغارقينَ في الضّلالِ المبينِ ؟ إنَّ كلَّ ذلكَ ليسَ في قدرتِكَ ، إنَّما أنتَ رسولٌ مبلِّغٌ ومنذرٌ لِمَنْ شاءَ أن يُنقذَ نفسَهُ من النّارِ .

وإنّا ـ أيُّها النبيُّ ـ إنْ شِئْنَا ذَهَبْنا بكَ بالوفاةِ ، أو بالرَّفْعِ إلينا ، وعندئذٍ فإنَّنا سننتقمُ منهم بالعذابِ والإبادَةِ . إنَّكَ رَسُولٌ عبدٌ لا شيءَ لكَ منَ الأمرِ ، فالأمرُ كُلُّهُ للهِ إنْ شاءَ عَذَّبَهُم ، وإنْ شاءَ انتقمَ منهمْ ، وإنْ شاءَ مَدَّ فِي أجَلِكَ حَتّى تَرى ما وَعَدَكَ رَبُّكَ مِنَ النَّصرِ والظَّفرِ وَقَهْرِ عَدُوِّكَ ، فإنَّا قادرونَ على كلِّ ذلكَ .

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

فَتَمَسَّكْ بالكِتابِ الحقِّ الذي أَوْحَيْناهُ إليكَ ، لأنَّكَ على طريقِ الهُدى البيِّنِ ، وإنَّ القُرْآنَ الذي أَوْحَيْنا إليكَ شرفٌ عَظيمٌ لكَ ولقومِكَ وأُمَّتِكَ ، وسوفَ تُسْألونَ عنهُ يومَ القِيامَةِ ، وَعَنْ أَداءِ حَقِّهِ مِنْ فَهْمِهِ ، وَتَفْسيرِهِ ، واسْتِخراجِ عُلومِهِ ، والدَّعْوَةِ إليهِ ، وإقامةِ الحياةِ على هَدْيِهِ .

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ .

وَاسْأَلِ الّذينَ أَرْسَلْناهم وَأَرْسَلْنا إليهمْ مِنْ قبلِكَ : هَلْ كانَ في دَعْوَتِهم ، وهلْ جَعلَ اللهُ في كُتبِهم عبادةَ آلهةٍ سوى الرَّحمنِ ؟

والجوابُ قطعاً معروفٌ ، أَنَّ الرِّسالاتِ جَميعاً تقرِّرُ أَنَّه لا معبودَ بحقٍّ إلاَّ اللهُ ، وكلُّ الأنبياءِ بَشَّروا بهذهِ الكَلِمَةِ ، فما دَعا نبيٌّ إلى شِرْكٍ ، معاذَ اللهِ ، ولا دَعا كِتابٌ سماوِيٌّ إلى غيرِ تَوْحيدِ اللهِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مَنْ يعرضْ عن القرآنِ ويتَعَامَ عنهُ يعاقبْهُ اللهُ ؛ بِأَنْ يُهيّيءَ لهُ شَيْطاناً مُلازِماً له يَسْتَوْلي عليهِ استيلاءً كامِلاً ، فَيَشْقى في الدُّنْيا والآخرةِ .

٢ـ الكَفَرَةُ على باطلٍ ، وهم يَظُنونَ أَنَّهم مُهْتدونَ .

٣ـ يجبُ التَّمسُّكُ بالقرآنِ الكريمِ ، لأنَّهُ الطريقُ المستقيمُ الحقُّ الموصِلُ لسعادةِ الدُّنيا والآخرةِ .

٤ـ اتّباعُ القرآنِ شَرَفٌ لِمَنْ تَبِعَهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ؛ بدليلِ أَنَّ العربَ أصبحَ لهمْ قيمةٌ بعدَ نُزولِهِ ﴿وإِنّه لَذِكْرٌ لَكَ ولِقَومِكَ﴾ .

٥ـ دعوةُ مُحَمَّدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى التَّوْحيدِ الخالِصِ هي دَعْوةُ الأنبياءِ السّابقينَ أجمعينَ نفسُها .

٦ـ في يوم القيامةِ يعلمُ النّاسُ الحقيقةَ ، ويعلمُ الكَفَرةُ أنَّهم كانوا ضالّين .

٧ـ دينُ الرُّسلِ جميعاً التّوحيدُ بعبادةِ اللهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما جَزاءُ مَنْ يتعامىٰ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تعالىٰ ؟

٢ـ ماذا تَصْنعُ الشياطينُ لأَتْباعِها ؟

٣ـ ماذا يقولُ التّابعونَ للمتَّبَعينَ يومَ القيامةِ ؟

٤ـ ما الذي نَفاهُ النصُّ القرآنيُّ عنِ النبيِّ مُحَمَّدٍ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ ؟

٥ـ وما الذي طلبَهُ النصُّ من النّبيِّ ﷺ ؟

٦ـ ما مَعْنى ﴿وإِنه لَذِكْرٌ لك ولقومِكَ وسوف تُسألون﴾ ؟

٧ـ دعوةُ الرُّسُلِ واحدةٌ . ما هذهِ الدَّعْوةُ ؟ وما دليلُ ذلكَ من الآياتِ ؟

نَشاط :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الكريمةَ التي في سُورةِ البَقَرَةِ مِمّا لَها شَبَهٌ بهذهِ الآياتِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورةُ الزُّخْرُفِ - القِسْمُ السّابعُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

معاني المفردات

آياتنا : المعجزاتُ وهي: الدّلائلُ الدَّالةُ على صِدْقِ موسىٰ كالعصا التي تَحَوَّلَتْ إلى ثعبانٍ مبينٍ.

ومَلَئِهِ : ملأُ فرعون الّذين تَمالَؤوا مَعَهُ على باطِلِهِ ، وَهُمْ عِلْيَةُ القَوْمِ .

ينكثونَ : ينقضونَ عهدَهم .

مَهينٌ : ضعيفٌ .

ولا يكادُ يبينُ : ولا يكادُ يبينُ كلامَهُ ويوضِّحُ ما يقولُ .

أَسْوِرَةٌ : جمع سِوَار .

مُقْتَرِنين : مقرونينَ بهِ ، مرافقينَ لهُ ، يُصَدّقونَهُ .

آسَفُونا : أغضبونا أشدَّ الغضبِ .

سَلَفاً : قدوةً لمن بعدَهُمْ من الكفَّارِ في استحقاقِ العذابِ والدّمارِ .

وَمَثلاً : عظةً وعِبْرَةً .



﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (٥٠) ﴾ .

هذا الدَّرْسُ كلُّهُ في قِصَّةِ موسى عليهِ السّلامُ وَفِرْعَونَ . تَبتدىءُ الآياتُ بتقريرِ أَنَّ اللهَ تعالىٰ أرسلَ موسى ـ عليهِ السّلامُ ـ بالمعجزاتِ الكثيرةِ إلى فرعونَ وأعوانهِ وأتباعِهِ ، فقالَ لَهُم مُوسىٰ : إني رَسُولٌ مرسَلٌ مِنْ ربِّ العالمينَ ، ولمّا جاءَ موسى بالآياتِ والْمُعْجزاتِ لِيُدَلِّلَ على أَنَّهُ رسولُ اللهِ ، سَخِرَ منهُ فرعونُ وقومُهُ وضحِكوا من ذلكَ ، وقد أَرَيْناهُمْ معجزاتٍ ، كلُّ واحدةٍ أكبرُ من أختِهَا ، لِيَنْتَهوا عَنْ كُفرِهِم ، فما انتَهَوا ، فسلَّطَ اللهُ عَلَيْهِم عذاباً دونَ أَنْ يُهلِكَهُم ، لعلَّهم ينتهونَ ، ويرجعونَ إلى الصوابِ . لكنَّهُم استمروا في ضَلالِهم وتكذيبِهم ، وقالوا لِموسى : يا أيُّها السّاحرُ ادْعُ لنا من تدَّعي أَنَّهُ أرسَلَكَ ، وهوَ ربُّكَ ، بما عَهِدَ عِنْدَكَ أَنْ يستجيبَ دُعاءَكَ ، وإِنّنا سَنُؤْمِنُ إذا كشفَ عنّا البلاءَ والعذابَ ، فَدَعا موسى ربَّهُ أن يكشفَ عنهمُ العذابَ ، فتمَّ لهم ما طَلَبوا ، ورفعَ اللهُ عنهمُ العذابَ بدعوةِ موسى عليهِ السَّلامُ ، لكنَّهمْ نَقَضوا العهدَ ، وأصرُّوا على الكفرِ والعصيانِ .

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ (٥٦) ﴾ .

ونادى فرعونُ وُجَهاءَ قومِهِ ، فقال لهم : أَليستْ مِصْرُ ومدنُها وقُراها وأرضُها مُلْكاً لي ، وهذا النيلُ وفروعُهُ تَجْري مِنْ تَحْتي ، وفي أَرْضي وَتَحْتَ قُصوري ؟ أفلا ترونَ عَظَمتي وَعَظمةَ مُلكي ؟

إنّني أَفْضَلُ مِنْ هذا الضَّعيفِ ـ يَقْصِدُ موسى ـ الذي لا عِزَّةَ لهُ ولا جاهَ ولا مالَ ، وهو ـ مَعَ ذلكَ ـ لا يكادُ يفصحُ عن نفسِهِ لِعُقْدةٍ في لسانِهِ ، فإذا كانَ رسولاً فَلِمَ لا تُلقى عليهِ الأساوِرُ إشارةً إلى العَظَمَةِ ؟ ولِماذا لا تُنزَّلُ الملائِكةُ فتكونَ مُرافقةً له كَما أَسيرُ أنا في حَاشِيَتي وَأُبَّهتي ؟

فكانتِ النتيجةُ أَنْ شَعَرَ فرعونُ بخفَّةِ قومِهِ ، فامتهَنَهُم واحتقرَهُم ، فأطاعوهُ في تألُّهِهِ واستكبارِهِ وطغيانِهِ فيهم ، لأنَّهم كانوا قوماً فاسقينَ عاصينَ ، ففسقُهُم جعلَهُم مطيعينَ لفرعونَ بعيدينَ عنِ

الحقِّ ، فلمّا أَغْضَبوا اللهَ باتّخاذِهِمْ فرعونَ إِلهاً وكفرِهِم باللهِ انتقمَ اللهُ منهم فَأَغْرَقَهُمْ في البَحْر جَميعاً ، وَجَعَلَهُم قُدْوةً سيّئةً لمنْ بعدَهُم ، ومثلاً يُعْتَبرونَ بِهِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إِلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الرُّسلُ على مرِّ التّاريخِ يُواجهونَ الطغُّيانَ وَالْفَسادَ كما فعلَ موسى مع فرعونَ ، وكذلك أَتْباعُ الرُّسُلِ .

٢ـ يؤيِّدُ اللهُ رسلَهُ وأتباعَهُم بالأدلَّةِ الدالَّةِ على صِدْقِهِم .

٣ـ الفَراعِنَةُ قديماً وحديثاً عِنْدَهُم مَرَضُ التكبُّرِ والتجبُّرِ بِسَببِ المالِ والسُّلْطانِ الذي ينبغي أنْ يكونَ سَبَباً لطاعةِ الرحمنِ بدلَ عِصيانِهِ .

٤ـ الكفارُ لا يُصَدِّقونَ عُهودَهُم ومواثيقَهُم ، فهمْ ينقضونَها بعدَ زوالِ الأزماتِ التي عقدوها فيها ، هذهِ صفتُهم : الكذبُ وَنَقْضُ العهودِ .

٥ـ الذي جعلَ الناسَ لا قيمةَ لهمْ عندَ الفراعنةِ ، أَنَّهم يأمُرونَهم فيطيعونَهُمْ ، ولا يُقاوِمونَ فسَادَهُم وضَلالَهُم .

٦ـ مصيرُ الفَراعِنَةِ وأتباعِهم في كلِّ عصرٍ هوَ الهلاكُ في الدُّنيا والآخرةِ ، وهذا تسليةٌ لِلْمُؤمنينَ والمَظْلومينَ ، لأنَّ زوالَ الظالمينَ سُنّةٌ وقانونٌ إلهيٌّ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّن مَعْنى كُلٍّ مِنَ الآياتِ التاليةِ :

أ ـ ﴿وَأَخَذْناهُم بالعَذاب لَعَلَّهم يَرْجِعون﴾ .

ب ـ ﴿ادعُ لَنا ربَّك بِما عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ .

ج ـ ﴿أم أنا خيرٌ مِنْ هذا الذي هو مَهِينٌ ولا يَكاد يُبِين﴾ .

د ـ ﴿فاسْتَخَفَّ قومَه فَأَطاعُوه ، إِنّهم كانوا قوماً فاسِقين﴾ .

هـ ـ ﴿فَلَمّا آسَفُونا انتقَمْنا منهم﴾ ؟

و ـ ﴿فَجَعَلْناهُم سَلَفاً ومَثَلاً للآخِرين﴾ ؟

٢ـ أ ـ بماذا أفْتَخرَ فرعونُ ؟

ب ـ وبماذا أهلَكَهُ اللهُ وجنودَهُ ؟

٣ـ ما الّذي عابَهُ فِرْعَونُ على موسى عليهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما الّذي اقْتَرَحَهُ فِرْعَونُ على موسى عليهِ السَّلامُ ؟

للتأمُّلِ :

(من اعتزَّ بغيرِ اللهِ أذلَّهُ اللهُ بِهِ) .

هل لاحَظْتَ أَنَّ فِرْعَوْنَ استكبرَ وافتخرَ بالأنهارِ فأغرقَهُ اللهُ بالسَّبَبِ الذي استكبرَ بِهِ . . فماتَ غَرَقاً ؟

نشاط :

اكتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ آياتٍ جاءَ بها مُوسى عليهِ السَّلامُ .

* * *

الدرس التاسع عشر

سُورَةُ الزُّخْرُفِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

معاني المفردات :

ما ضَرَبُوهُ لكَ إلاّ جَدَلاً : أَيْ لِأَجْلِ الجَدَلِ بالباطلِ .

خَصِمونَ : شَدِيدو الخُصومةِ .

لجعلنا منكُمْ : بدلاً منكُمْ .

وإِنَّهُ لعِلْمٌ للسّاعَةِ : أي نُزولُ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ علامةٌ تَدُلُّ على قُرْبِ وُقوعِ السّاعَةِ .

فلا تمترُنَّ : فلا تشكُنَّ في قيامها .

الأَحْزابُ : الفِرَق التي انقسمَ إليها النَّصارى في حقيقةِ عيسى .

التفسير :

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ .

هذه المجموعةُ من الآياتِ كلُّها تَتَحَدّثُ عَنْ عيسى عليهِ السّلامُ ، وسابقاتُها كانتْ تتكلّمُ عَنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

ابتدأتِ الآياتُ هنا بالحديثِ عن موقفِ العربِ إذ جادَلوا بالباطلِ في عيسى عليهِ السَّلامُ ، وعَقَدوا موازنةً بينهُ وبينَ آلهتِهِم سائلينَ : مَنْ أَفْضَلُ ؟ آلهتنا أم عيسى ؟ فردَّ القرآنُ بأَنَّ هذا الجدالَ منهم ليسَ إلا منَ الباطلِ ، يريدونَ مغالبةَ الحقِّ ، وهمْ قومٌ شديدونَ في خُصومتِهِمْ ، مَجْبولونَ على اللِّجاجِ في الباطلِ . وما المسيحُ إلا عبدٌ منْ عبادِ اللهِ أنعمَ اللهُ عليهِ بالنبُوَّةِ ، ولم يَقُلِ القرآنُ إنَّهُ إلهٌ حتى يوازنَ بينهُ وبينَ آلهتِهِم ، وجعلَ اللهُ المسيحَ عِبْرَةً لبني إسرائيلَ حينَ أوجدَهُ بلا أبٍ ، ليكونَ لهمْ آيةً .

ولو شاءَ اللهُ لجعلَ بدلاً من الكافرينَ ملائكةً في الأرضِ يحلّونَ محلَّ الكافرينَ لا يعصونَ اللهَ .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

وإنَّ نزولَ المسيحِ عليهِ السّلامُ في آخرِ الزمانِ علامةٌ وأمارةٌ على قربِ قيامِ الساعةِ ، وَهُوَ أعظمُ أماراتِ السّاعةِ فلا تَشكّوا ، أيُّها المؤمنونَ ، في السّاعةِ ، فإن أشراطَها قادمةٌ ، وهيَ كذلكَ قادمةٌ ، فاتبعوا النَّبيَّ الأمينَ ؛ لأنَّهُ يَهْدي إلى الصِّراطِ المستقيمِ .

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

ولا يَصْرِفنَّكُمُ الشيطانُ عنِ الإيمانِ ، إنَّهُ عدوٌ واضحُ العداوةِ لكُم .

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾

ثُمَّ ذكرَ القرآنُ أَنَّ عيسى ـ عليهِ السّلامُ ـ عِندَما جاءَ بني إسرائيلَ قالَ لهم : قد أتيتُكُمْ بالحِكْمَةِ والفَهْمِ الصَّحيحِ الجَيِّدِ ، وجئتُ لأُبيِّنَ لكُمْ بعضَ المواضعِ التي تختلفونَ فيها ، فاتَّقُوا اللهَ ، وَأطِيعوا أَمْري .

إنَّ اللهَ هُوَ وَحْدَهُ رَبِّي وربُّكُمْ وربُّ الوجودِ فاعبدوهُ ، هذا هوَ الطَّريقُ المُسْتَقيمُ .

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾

فكانت النتيجةُ أنّ فِرَقَ النَّصارى اخْتَلَفَتْ في المَسيحِ ، فكلٌّ نظرَ إليهِ نظرةً مختلفةً ، فَمِنْهُم مَنْ قالَ : إنَّهُ اللهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قالَ : ابنُ اللهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قالَ : فيهِ شيءٌ مِنَ اللهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قالَ : عبدُ اللهِ ، فكانوا طرائقَ وفِرَقاً . . فويلٌ للظالمينَ مِنْ عذابِ يومٍ أليمٍ عذابُهُ .



تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ نُزولُ المسيحِ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ آخِرَ الزَّمانِ مِنْ عَلاماتِ السَّاعةِ ، فَعِنْدَما يعودُ إلى الأرضِ مَرَّةً ثانيةً تكونُ القيامةُ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى .

٢ـ العَرَبُ المُشْرِكونَ كانوا يُجادِلونَ بِالْباطِلِ لِيتغلَّبُوا على الحَقِّ ، وهذا حالُ المُشْرِكينَ دائِماً .

٣ـ المَسيحُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ جاءَ بالحِكْمَةِ وبيانِ الدِّينِ ، وَحَلِّ الخِلافِ بينَ بني إسرائيلَ .

٤ـ اختلفَ النَّصارى في المَسيحِ على أقوالٍ كثيرةٍ ، والحقُّ أَنَّهُ عبدُ اللهِ ورسولُهُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما أعظمُ عَلاماتِ السَّاعةِ الكُبْرى ؟ اذْكُرْ ثَلاثاً مِنْها .

٢ـ ما مَعْنى : أ ـ ﴿ءآلهتنا خيرٌ أم هو﴾ .

ب ـ ﴿ما ضربوه لك إلا جَدَلاً﴾ .

ج ـ ﴿فلا تَمْتَرُنَّ بها﴾ .

٣ـ اذكُرْ بَعْضَ ما قالَهُ النَّصارى في المسيحِ عليهِ السّلام .

٤ـ هاتِ مِنْ آياتِ الدَّرسِ دليلاً على كلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ عبدٌ مِنْ عبادِ اللهِ ، وليس بإلهٍ .

ب ـ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ أمارةٌ على قربِ الساعةِ .

ج ـ اللهُ تعالىٰ هُوَ رَبُّ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ ، وربُّ النّاسِ جميعاً .

نشاط :

مِنْ فَهْمِكَ لسُورَةِ الإخلاصِ كيفَ تَرُدُّ على افتراءِ النَّصارى ؟ اكتبْ ذلكَ فِي دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ العِشرونَ

سورةُ الزُّخْرُفِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

هل ينظرونَ : هَلْ هُمْ منتظرونَ .

بغتةً : فجأةً .

الأخلاَّءُ : الأصدقاءُ الذين بَلَغوا الغايَة في التّوادّ والمَحَبَّة .

تُحبَرونَ : تَفرحونَ .

بصِحَافٍ : بأطعمةٍ في آنيةٍ وأوعيةٍ .

التفسيرُ :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

هذه الآياتُ فيها مشهدٌ من مشاهدِ القيامةِ ، وهيَ تتكلمُ عن جزاءِ أهلِ النّارِ وجزاءِ أهلِ الجنَّةِ .

تَبتدىءُ بِسُؤالٍ : هل ينتظرُ الكافرونَ إلا السّاعةَ أن تأتيَهُم فجأةً وهمْ لا يحسبونَ لها حساباً ، ولا يُعِدُّونَ لها عملاً ؟

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

في ذلكَ اليومِ سيكونُ الأصدقاءُ الذينَ كانوا في الدُّنْيا مُتَحابِّينَ ومجتمعينَ على غيرِ منهجِ اللهِ أعداءً متقاطعينَ ، فبعدَ المحبَّةِ التي تتخلَّلُ القلوبَ ، انقلبتْ محبَّتُهُم إلى عداوةٍ ، أمَّا الأصدقاءُ المُتَّقونَ المُتَحابّون في اللهِ سبحانهُ ، فإنَّ محبَّتَهُم ستبقى وصداقَتهُم سَتَسْتَمِرُّ وتدومُ .

﴿ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

هؤلاءِ هُمُ المُتَّقونَ ، يناديهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ بوصفِ العبوديةِ ، فيقولُ لهم : يا عبادِ إنكم لا تخافونَ اليومَ ، ولا تحزنونَ ، في الوقتِ الذي فيهِ كُلُّ الناسِ خائفونَ ومحزونونَ .

وكيفَ يخافونَ ، وهمْ كانوا مؤمنينَ بآياتِ اللهِ ، وكانوا مسلمينَ للهِ ربِّ العالمينَ ، اليومَ يقالُ لَهُم : ادْخُلوا الجنَّةَ أنتم وأزواجكُم تفرحونَ وتُسْعَدُونَ .

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

في هذهِ الجنَّةِ يطوفُ عليهم الطَّعامُ في أوانٍ من ذهبٍ ، وكذلكَ الشَّرابُ يدورُ عليهِم في أكوابٍ ذهبيةٍ .

وفي الجنَّةِ كُلُّ ما تشتهيهِ الأنفسُ وتتمنّاهُ ، وكلُّ ما يَسرُّ العيونَ وتلذُّ بهِ ، وأنتم ، أيُّها المؤمنونَ ، خالدونَ فيها .

تلكَ الجنَّةُ التي أورثَكُمُ اللهُ ، وأعطاكُم إياها جزاءَ ما كنتُم تعملونَ من صالحِ الأعمالِ ، لكم فيها الفواكهُ الكثيرةُ تأكلونَ منها وتنعمونَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الأصدقاءُ والأحبابُ يَتَحوَّلونَ يومَ القيامةِ إلى أعداءٍ ؛ إذْ كانتْ صداقتُهُم لغيرِ اللهِ ، أما المؤمنونَ فإنَّ محبتَهُم تدومُ بدوامِ اللهِ .

٢ـ الذي آمنَ باللهِ ، واستسلمَ لحكمِهِ ، فإنَّ لَهُ الأمنَ يومَ القيامةِ ؛ فلا يخافُ إذا خافَ النّاسُ .

٣ـ نَعيمُ الجَنَّةِ تامٌّ يومَ القيامةِ ودائمٌ ، فيها ما تشتهيهِ الأنفسُ ، وتلذُّ الأعينُ ، وما لا يَخْطُرُ على بالِ أحدٍ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ مَنِ الأصدقاءُ الذينَ تدومُ صداقَتُهم ؟

٢ـ ماذا يحصلُ لصداقةِ الأخِلاَّءِ غيرِ المتَّقينَ ؟

٣ـ اذكُرْ بعضَ ألوانِ النَّعيمِ التي ذكرتْها الآياتُ للمؤمنينَ في الجنَّةِ .

٤ـ ما مَعْنى ﴿تُحْبَرون﴾ ؟

٥ـ فَسِّر كُلاً مِنَ الآياتِ التاليةِ :

أ ـ ﴿هل ينظرون إلا الساعةَ أن تأتِيهَمُ بغتةً﴾ .

ب ـ ﴿أنتم وأزواجُكم تُحْبَرون﴾ .

ج ـ ﴿وتلك الجنّةُ أورِثْتُموها بما كنتم تعملون﴾ .

* * *

الدَّرسُ الحادي والعشرون

سورةُ الزُّخرُفِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

لا يُفتَّرُ	: لا يُخَفَّفُ .
مُبْلِسونَ	: آيسون (يائسون) مِنْ شِدَّةِ الْيَأْسِ فَهُمْ يائِسونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ .
مالك	: اسْمُ المَلَكِ الخازنِ للنّارِ .
لِيَقْضِ علينا	: لِيُمِتْنَا لِنَسْتَرِيحَ .
ماكِثونَ	: أي باقونَ خالدونَ في النارِ .
أَبْرَموا	: دبَّروا .
سِرَّهم ونجواهم	: سرَّهم أي : ما يُسِرُّونَه في أنفسهم ، ولا يُطْلِعُون عليه أحداً ، ونجواهم : ما يُسِرُّ بِهِ بعضهُم لبعضٍ ، ولم يطَّلعْ عليهِ سواهُم .
يصفونَ	: يدَّعونَ الولدَ للهِ .



﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟

هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ .

تبتدىءُ هذه الآياتُ بتفصيلِ عَذابِ المجرمينَ في جهنَّمَ بعد أن انتهتِ الآياتُ السّابقةُ بالحديثِ عنْ نعيمِ المؤمنينَ . تقولُ الآياتُ الّتي مَعَنا في هذا الدَّرْسِ : إنَّ المجرمينَ المحاربينَ للهِ ورسلِهِ ودعوتِهِ سيكونونَ خالدينَ في عذابِ جهنَّمَ ، لا يخفَّفُ عنهم ، وهمْ معَ عذابِهم في شدّةِ اليأسِ من تغييرِ وضعِهِمْ ، لأنَّهمْ يعلمونَ ما فعلوا وما أَجْرَموا ، واللهُ تعالىٰ لم يَظْلِمْهُمْ ولكنْ هُمُ الظالمونَ لأنفسِهِم .

وينادي الكفّارُ ، وَهُمْ في جهنَّمَ ، خازنَ النارِ فيقولونَ لَهُ : يا مالكُ لِيُمِتْنا رَبُّكَ ، ويُهلِكْنا حتى نستريحَ من هذا العذابِ ، فيجيبُهُم مالكٌ : إنَّكم باقونَ في العذابِ .

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ .

ثُمَّ يوبِّخُهُم النصُّ الكريمُ : لقد جاءتكمُ الرُّسلُ بالحقِّ ، وبعثَ اللهُ إليكم كُتُبَهُ بالحقِّ ، لِيُحذِّرَكُم من هذا المصيرِ ، فكانَ أكثرُكُم للحقِّ كارهينَ ، وله معاندينَ . ثم يعودُ بهمْ إلى الدُّنيا ، ويستحضرُ لنا صورةً من إجرامِهِم وهمْ يُبيِّتونَ ويُدبِّرونَ ويخطِّطونَ لمقاومةِ الدِّينِ بكلِّ المكرِ والكيدِ ، ولكنَّ تدبيرَ اللهِ هوَ الظاهرُ ، وتدبيرهُم إلى زوالٍ .

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ .

وهلْ كانَ يظنُّ أولئكَ الكافرونَ أنَّا لا نسمعُ أسرارَهُم ومناجاتهم التي تدورُ بينهم ولا يُطْلِعونَ عليها أحداً سوى أنفسهمْ ومن يثقونَ بهِ ؟ فاللهُ سبحانَهُ اطَّلَعَ على كلِّ ذلكَ ، والرُّسلُ الملائكةُ يُسَجِّلونَ كُلَّ ذلكَ حتى يأتيَ يومُ حسابِهم .

ثمَّ ذكرَ من مزاعِمِهِم الباطلةِ وإجرامِهم ادّعاءَهم بأَنَّ للهِ وَلَداً ، ويَردُّ عليهم : إنْ كانَ للهِ ولدٌ وأثبتُّم ذلكَ فأنا أولُ العابدينَ للهِ ، ثم سبَّحَ نفسهُ تباركَ وتعالىٰ عما يصفهُ بهِ الظالمونَ من الصّاحبةِ والولدِ ، فالجميعُ خَلْقَهُ ومُلْكُهُ ، وليسَ من إلهٍ في السّماواتِ والأرضِ غيرُهُ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ عذابُ الكفَّارِ في جهنَّمَ دائمٌ ومستمرٌ لا يُخَفَّفُ عنهمْ لحظةً ولا ينتهي أبداً .

٢ـ عَدْلُ اللهِ مطلقٌ في الجزاءِ والحسابِ ، فلمْ يُظْلَمْ مَنْ في النارِ إنَّما هذا جزاءُ إجرامِهِم .

٣ـ الإعراضُ عنِ الحقِّ والاستكبارُ مُؤدٍّ بصاحبِهِ إلى النَّارِ .

٤ـ عِلْمُ اللهِ عِلْمٌ محيطٌ شاملٌ لا يَخْفى عليهِ شيءٌ منَ العبادِ وأسرارِهِم .

٥ـ تنزَّهَ اللهُ عنِ الشُّركاءِ وعنِ الولدِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ مَنْ خازِنُ النّارِ ؟

ب ـ ماذا يَطْلُبُ منهُ أهلُ النَّارِ ؟

ج ـ ما جوابُهُ لهم ؟

٢ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿لا يُفتَّرُ﴾ .

ب ـ ﴿مُبْلِسُون﴾ .

٣ـ اكتبْ في الفراغاتِ التاليةِ ما يناسبُها من الآياتِ .

أ ـ إنّ المجرمينَ في عذابِ جَهَنَّمَ ....

ب ـ لا يُفَتَّرُ عنهمُ وهمْ فيهِ ....

ج ـ ولكنَّ أكثرَهم للحقِّ ....

د ـ قل إنْ كانَ للرحمنِ ولدٌ فأنا أولُ ....

نشاط :

اكتب في دفترِكَ كيفَ دبَّرَ المشركونَ لقتلِ رسولِ اللهِ ﷺ يومَ الهجرةِ ؟ وكيفَ نجّاهُ اللهُ منهم ؟

* * *

الدَّرسُ الثَّاني وَالعِشرونَ

سورةُ الزُّخرُفِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)﴾

معاني المُفْرداتِ :

حتّى يلاقُوا يَوْمَهُم : يومَ القيامةِ

الّذي في السّماءِ إلهٌ وفي الأرضِ إلهٌ : أي المعبودُ بحقٍّ في السّماءِ وفي الأرضِ .

تباركَ : تقدّسَ وَتَنَزَّه عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .

يُؤْفكون : يُصْرَفونَ .

التفسيرُ :

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) ﴾ .

في الآياتِ خطابٌ للنبيِّ ﷺ بأنْ يترُكَ هؤلاءِ الكافرينَ يخوضونَ في باطِلِهم ، كما يخوضُ الإِنسانُ في مستنقعٍ ، فهمْ يقضونَ دُنياهم وحياتَهم لَعِباً حتى يأتيَهُم يومُ القيامةِ الّذي وَعَدَهُم بهِ اللهُ ، هذا الإِلهُ هوَ المعبودُ بحقٍّ في السماءِ ، والمعبودُ بحقٍّ في الأرضِ ، وهوَ الحكيمُ الذي يَضَعُ كُلَّ شيءٍ في موضِعِهِ ، والعليمُ الذي لا تخفى عليهِ في الكونِ خافيةٌ .

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

وتباركَ اللهُ ، وتعظَّمَ هذا الإلهُ الذي لهُ مُلكُ السّماواتِ والأرضِ ، ومُلْكُ ما بَيْنهمَا ، وعلْمُ الساعةِ إليهِ وَحْدهُ ، وإليهِ يَرجْعُ الناسُ يومَ القيامةِ .

﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

وأمَّا مَنْ يدَّعيهمُ الناسُ آلهةً مِنْ دُونِ اللهِ فلا يملكونَ شفاعةً ، ولكنَّ اللهَ يأذَنُ لمنْ يَشاءُ كالنبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بالشَّفاعَةِ ، فهوَ ﷺ ومَنْ أذِنَ اللهُ لهُ يَشْفَعونَ بالحقِّ ، ويشهدونَ بالحقِّ ، وهمْ يعلمونَ ما أرادَ اللهُ ، وفيما يَشْفَعونَ .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

ثُمَّ يُوجِّهُ السِّياقُ السُّؤالَ إلى الكافرينَ ، ويأمرُ النبيَّ ﷺ أنْ يَسْألَهُمْ ، فقالَ : إنكَ إنْ سألتَهُم منْ خلَقَهُم ؟ فإنَّ جوابَهم سيكونُ : اللهُ ، فكيفَ معَ هذا العلْمِ والإقرارِ بأَنَّ اللهَ هُوَ الخالقُ ، يُصرَفونَ عَنْ عبادةِ اللهِ ؟

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

ثم رَجعَ السِّياقُ الكريمُ ليتحدّثَ عَنْ عِلْمِ اللهِ ، فهوَ يعلمُ دعاءَ الرسولِ ﷺ وقولَهُ : يا رَبِّ إنَّ هؤلاءِ قومٌ لا يؤمنونَ ، وأنا أنتظرُ أمرَكَ فيهم ، فيقولُ اللهُ له : فأعرِضْ عنهم ، وقلْ سلامٌ فسوفَ يعلمُ هؤلاءِ الكافرونَ أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبونَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافرونَ يقضونَ أعمارَهُمْ في الخوضِ في الباطلِ واللّهوِ واللّعبِ .

٢ـ اللهُ وَحْدَهُ المَعْبودُ الواحدُ في السَّماءِ وفي الأَرْضِ .

٣ـ وهو مَالكُ السماواتِ والأرضِ وما بينهُما وإليهِ عِلْمُ السَّاعةِ وإليهِ الناسُ يُرْجَعُونَ .

٤ـ عِلمُ اللهِ شاملٌ ، وَمِنْ عِلْمِهِ عِلْمُ السّاعةِ التي لا يعلمُها إلا هوَ سبحانَهُ .

٥ـ الكافرونَ يقرّونَ بأَنَّ اللهَ خَلقَهُمْ ، ويُعرِضونَ عَنْ عبادتِهِ .

٦ـ عَلى المُؤْمِنين الاشتغالُ بطاعَةِ الله ، والصَّفحُ والإِعراضُ عنِ الجاهلينَ منْ أخْلاقِ الدّاعينَ إلى اللهِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿وهُوَ الذيْ في السَّماءِ إِلٰهٌ وفي الأَرْضِ إِلٰه﴾ .

ب ـ ﴿تبارك﴾ .

٢ـ ما الفرقُ بين الخَوْضِ واللَّعبِ ؟

٣ـ ما جوابُ الكافرينَ إن سألناهم : منْ خَلَقَهم ؟

٤ـ ما المَوْقِفُ الّذي أَمَرَ اللهُ رَسولَهُ ﷺ أن يَقِفَهُ مِنَ المُشْرِكينَ ؟

٥ـ صِلْ بِخَطٍّ بَيْنَ رقَمِ الآيةِ والكَلِمةِ التي خُتَمِتْ بها ، كما في الجَدْولِ الآتي :

رقَم الآية	الكلمة التي ختمت بها
٨٣	يؤفَكونَ
٨٤	يَعلَمونَ
٨٥	يوعَدونَ
٨٦	تُرجعَونَ
٨٧	يكتبونَ
٨٨	العليم
٨٩	يؤمنونَ
	مبرمون

نشاط :

اكتبْ في دفترِكَ فِئَتيْنِ أُخْرَيَيْنِ أَذِنَ اللهُ لهما بالشَّفاعةِ يومَ القيامةِ .

* * *

الدرس الثالث والعشرون

سورة الدُّخانِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

تعريفٌ بالسُّورة :

هذهِ هيَ السُّورةُ الرابعةُ والأربعونَ في ترتيبِ المصحفِ ، وهي مكيَّةٌ ، وعددُ آياتِها تسعٌ وخمسونَ آيةً ، وموضوعُها التَّوحيدُ والرِّسالةُ والبعثُ ، وما ينتظرُ الكافرينَ المتكبِّرينَ من عذابِ اللهِ في الدُّنيا ويَوْمِ الدِّينِ ، ذاكَ العذابُ الذي لا يُنَجِّيهم منهُ أحدٌ . وسمِّيتْ بهذا الاسمِ لأنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ الدُّخانَ آيةً لتخويفِ الكفَّارِ .

معاني المُفرداتِ :

والكتابِ المُبينِ : قَسَمٌ بالقرآنِ البيِّنِ الواضحِ .

أنزلناهُ : ابتدأنا إنزالَهُ .

ليلَةٍ مباركةٍ : ليلةِ القدرِ التي باركَها اللهُ تعالىٰ .

منذرينَ : مُحذِّرينَ من العذابِ .

يُفْرَقُ : يُفصَّلُ .
يَغْشى النّاسَ : يُحيطُ بهم .

التفسيرُ :

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾ .

تبتدِىءُ السُّورةُ الكريمةُ بالحروفِ المقطَّعةِ التي تُقرأُ مفرَّقةً حرفاً حَرْفاً ، هكذا . (حا ميم) وهيَ ترمزُ إلى الإعجازِ كما سلفَ .

ثُمَّ بعدَ الحروفِ المشيرةِ إلى الكتابِ وإعجازِهِ يأتي القَسَمُ منَ اللهِ بهذا الكتابِ المبينِ الواضحِ الموضِّحِ للحقائقِ ، يُقسِمُ اللهُ على أنّه أنزلَ هذا الكتابَ في ليلةِ القدرِ المباركةِ العظيمِ خيرُهَا ، والكثيرةِ بَرَكاتُها ، منْ أجلِ أن يُنذِرَ الناسَ ما ينتظرُهُم من العذابِ إنْ هم كذَّبوا .

﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ ﴾ .

في هذهِ الليلةِ يُفصَّلُ ويبيَّنُ كُلُّ أمرٍ حكيمٍ ، أيْ إنَّ تدبيرَ اللهِ كلَّهُ حكمةٌ ، وهذا التدبيرُ يفصَّلُ في هذهِ الليلةِ ، فهيَ ليلةٌ مباركةٌ كريمةٌ ، نزلتْ فيها آياتٌ حكيمةٌ وكتابٌ حكيمٌ من ربٍّ حكيمٍ ، يُفصِّلُ لنا كلَّ أمرٍ حكيمٍ .

وهذا الأمرُ الذي فُصِّلَ صادرٌ منْ عندِ اللهِ ، جاءَ على حسبِ علمِهِ وتدبيرِهِ ، وكنَّا مرسلينَ رُسلَنا لعبادِنا لهدايتِهِم وإرشادِهم ، وهذهِ رحمةٌ منَّا بعبادِنا ، أنْ نُرسِلَ إليهمُ الرُّسلَ بالكتبِ من أجلِ إنقاذِهمْ وسعادتِهم ، وهوَ سبحانَهُ السَّميعُ ، يسمعُ ما يطلبُهُ عبادُهُ ويسمعُ دعاءَهُم ، وهوَ العليمُ بأمورِهِم وما يُصلِحُهُم ، كيفَ لا وهوَ ـ سبحانَهُ ـ ربُّ السَّماواتِ والأرضِ ، وربُّ ما بينَهما ، لو أَنَّ الناسَ كانوا يُصَدِّقونَ . .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ۝٩ ﴾ .

هذا الإلهُ العظيمُ لا شريكَ لهُ في ملكِهِ وتدبيرِهِ ، فلا إلَهَ إلا هوَ ، وهوَ ـ سبحانَهُ ـ يُحيي ويميتُ ، وهوَ ـ تعالىٰ ـ ربُّكُمْ أيُّها المخاطبونَ ، وربُّ آبائِكم منْ قبلُ ، ولكنَّ الناسَ ، بدلَ أنْ يتنبَّهوا إلى هذهِ الحقائقِ الواضحةِ والأمورِ المهمَّةِ ، عاشوا في الشَّكِّ ، فلم يُصدّقوا ، وظلّوا في حياتهم لاهينَ لاعبينَ .

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وإنَّ الله تعالىٰ يتوعَّدُ هؤلاءِ الكافرينَ اللاهينَ بعذابٍ شديدٍ ، فارتقبْ وانتظرْ ، ولْيَنتَظِروا همْ أيضاً ، يومَ نُرسلُ عليهمْ منَ السَّماءِ عذاباً شديداً أليماً ، ودخاناً واضحاً ظاهراً يَغشى الناسَ بحرِّهِ وشدَّةِ عذابِهِ .

عندئذٍ يصرُخُ الناسُ ويتضرَّعونَ إلى اللهِ بالدُّعاءِ أنْ يكشفَ عنهمُ العذابَ ، لأنَّهمْ آمنوا باللهِ واليومِ الآخرِ ، ولكن لا ينفعُ الإيمانُ عندَ وقوعِ العذابِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الحُروفُ المُقطَّعةُ في أوائلِ السُّورِ دَلالةٌ على التَّحدِّي والإعجازِ .

٢ـ يقسمُ اللهُ بالكتابِ المبينِ تعظيماً لشأنِهِ .

٣ـ القرآنُ أُنزلَ في ليلةِ القدرِ المباركةِ التي فيها يُقرُّ ويُبيَّنُ كُلُّ أمرٍ حكيمٍ .

٤ـ مِنْ سُنَّةِ اللهِ في الخلقِ إرسالُ الرُّسلِ وإنزالُ الكتبِ ، وهيَ منْ أعظمِ مظاهرِ رحمةِ اللهِ .

٥ـ لا ينفعُ الإيمانُ عندَ رؤيةِ العذابِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليَةِ :

١ـ ما دَلالةُ الحروفِ المُقطَّعةِ في أوائلِ السُّوَرِ ؟

٢ـ ما مَعْنى « حُروفٌ مُقطَّعةٌ » ؟

٣ـ لِمَ أقسمَ اللهُ بالقرآنِ ؟

٤ـ فَسِّرْ كُلاًّ مِنَ الآياتِ التّاليَةِ :

أ ـ ﴿فيها يُفرَقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ﴾ .

ب ـ ﴿إنّا كنّا منذِرين﴾ .

جـ ـ ﴿بل هُمْ في شَكٍّ يَلْعَبون﴾ .

د ـ ﴿يَوْمَ تأْتي السَّماءُ بدُخانٍ مُبين﴾ .

هـ ـ ﴿ربنا اكشفْ عنّا العذابَ إنا مُوقِنون﴾ .

٥ـ ماذا يقولُ الناسُ عندَ رؤيةِ الدُّخانِ ؟

تَعلَّمْ :

سببُ النُّزولِ للآياتِ من (١٠ـ١٥) من سُورَةِ الدُّخانِ :

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ : إنَّ قريشاً لمَّا استعصتْ على النبيِّ ﷺ دعا عليهِمْ بِسِنينَ كَسِني يُوسُفَ ، فأصابهم قحْطٌ وجَهدٌ حتى أكلوا العظامَ ، فجعلَ الرجلُ ينظرُ إلى السَّماءِ فيرى ما بينَهُ وبينَها كهيئةِ الدخانِ من الجَهدِ ، فأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ فأُتي رَسُولُ الله ﷺ فقيلَ : يا رسولَ اللهِ : اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ فإنَّها قد هَلَكَتْ ، فاسْتَسْقى فسُقوا فنزلت : ﴿إنّا كاشِفوا العذابِ قلَيلاً إنّكَمْ عائِدون﴾ فلما أَصابَهُمْ الرّفاهيةُ عادوا إلى حالتهم فأنزلَ اللهُ : ﴿يوم نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرى إنّا مُنْتَقِمون﴾[١] .

نشاط :

اكتب الآيَةَ التي تبينُ ما قالهُ فرعونُ عندَ غرقِهِ ، والردَّ عليهِ ، لتبيّنَ عدمَ انتفاعِ الكافرِ بالإيمانِ عندَ فواتِ الأوانِ .

* * *

(١) الحديثُ صحيحٌ رواهُ الإمامُ البخاريُّ في الجزءِ الأولِ صفحة ١٩٢ .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ

سُورَةُ الدُّخانِ ـ القسْمُ الثّاني

وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

معاني المفردات :

ى : أينَ .
مُعلَّمٌ : يُعلِّمُهُ بشرٌ .
بطشةَ الكبرى : يومَ القيامةِ .
فتنًا : امتحنًا .

أدُّوا	: ادْفعوا حقَّ اللهِ .	تَعْلُوا	: تتكبَّروا .
بِسُلْطانٍ	: بحجَّةٍ وبرهانٍ .	عُذتُ	: لجأتُ واستجرْتُ .
تَرجُمون	: تقتلونَ عن طريقِ الضَّرْبِ بالِحجارَةِ .	فأسْرِ	: سِر بالليلِ .
مُتَّبَعُونَ	: يلحقُكُم فرعونُ .	رَهْواً	: ساكناً .



﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾ .

تَستبعِدُ الآياتُ الكريمةُ إيمانَ أولئكَ الكافرينَ ، وتذكّرُهم ، معَ أنَّهُ قد أتاهم رسولٌ بدليلٍ واضحٍ بيِّنٍ ، ثم انصرفوا عنهُ ، واتَّهموهُ بأنَّهُ يُعلِّمُهُ بَشَرٌ وأنَّهُ مجنونٌ ، والرسولُ المقصودُ هنا هوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وقدْ كانَ المشركونَ يتّهمونَهُ زُوراً بالجُنونِ .

﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

ثُم أخبرَ اللهُ أَنَّهُ سيرفعُ عنهمُ الشدّةَ قليلاً ، لكنهمْ سيعودونَ بعدَ ذلكَ إلى كفرِهِمْ منْ جديدٍ ، وهكذا الكافرُ يخضعُ عندَ الشدائدِ ، ثمَّ إذا رفعتْ عادَ إلى ما كانَ عليهِ من جديدٍ .

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

وحذَّرَهُمُ اللهُ من بَطْشتِهِ الكُبْرى وانتقامِهِ الشديدِ يومَ القيامةِ ، وهو عذابٌ لا مفرَّ منهُ سَيُصيبُ الكافرينَ .

﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ ﴾ .

ثم عادَ السِّياقُ إلى القصصِ ، فأخبرَ تعالىٰ أَنَّهُ امتحنَ قبلَ العربِ قومَ فرعونَ ، إذْ أرسلَ إليهم موسى ـ عليهِ السّلامُ ـ وهوَ رسولٌ كريمٌ ، وقد طلبَ منهمْ أن يؤدُّوا حقَّ اللهِ ، ويؤمنوا بهِ ، وبالرِّسالةِ التي جاءَهمْ بها مِنْ عندِ اللهِ ، وأن يَنْقادوا للحقِّ الذي جاءَهم مِنْ عندِ اللهِ .

﴿ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ .

وإني تَحصَّنْتُ بربي ، واستجرتُ بِهِ مِنْ أنْ تقتلوني رجماً بالحجارةِ ، وقدْ كانوا هدّدوهُ بذلكَ ، وإنَّهُ بإمكانِكم إنْ لم تُؤمنوا لي أنْ تتركوني وشأني ، وتعتزلوني فلا تقتلوني .

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

فدعا موسى ربَّهُ : يا ربِّ إنَّ هؤلاءِ القومَ مجرمونَ عتاةٌ ، فأوحى اللهُ إليهِ أنْ سِرْ ليلاً أنتَ ومن آمنَ معكَ مِنْ بني إسرائيلَ ، واخرجْ مِنْ مِصْرَ ، وسيتَّبِعُكَ فرعونُ معَ جُنْدِهِ ، واضربِ البحرَ بعصاكَ ، واتركهُ ساكِناً ، واعبرْ أنتَ ومنْ معكَ ،،وسيعبُرُ خَلْفَكَ الطاغيةُ فرعونُ وأتباعُهُ ، ليكونَ مصيرُهُم الغرقَ والهلاكَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافرونَ لا يتذكَّرونَ ولا يَعْتبرونَ ، لِقَسْوَةِ قُلوبِهم واستكبارِهِمْ .

٢ـ اتّهامُ الكافرينَ للرَّسولِ ﷺ بأنَّهُ يُعلِّمُهُ بشرٌ وأنهُ مجنونٌ .

٣ـ قد يرفعُ اللهُ العذابَ عن الكافرينَ إلى أجلٍ مُسَمّى .

٤ـ امتحنَ اللهُ قومَ فرعونَ برسالةِ موسى فهدَّدوهُ بالقتلِ وتآمروا عليهِ .

٥ـ اللهُ تعالىٰ يُنَجّي أولياءَهُ وأحبابَهُ ، وقدْ يَخْرُقُ لهمُ النواميسَ الكونيَّةَ والسُّنَنَ ، فهذا هُوَ اللهُ تعالىٰ يشقُّ البحرَ لموسى كأنَّهُ طرقٌ معبَّدةٌ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿أنّىٰ لهُمُ الذِّكرى﴾ .

ب ـ ﴿إنَّكُم عائِدُون﴾ .

ج ـ ﴿اترُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾ .

٢ـ ما البَطْشَةُ الكُبْرىٰ ؟

٣ـ بماذا امتُحِنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ معَهُ ؟

٤ـ ماذا قالَ لَهُم مُوسى عَلَيْهِ السّلامُ ؟

٥ـ ماذا قالَ اللهُ لموسى عَلَيْهِ السّلامُ ؟

٦ـ ماذا جَرى لِفِرْعَوْنَ وجُنْدِهِ ؟

٧ـ مِنْ سُنَنِ اللهِ الثابتةِ أَنَّهُ ينصرُ رُسُلَهُ والمؤمنينَ ويُهْلِكُ الكَفَرةَ المكذبينَ ، وضِّحْ ذلكَ مِنْ خِلالِ فَهْمِكَ لأحداثِ قِصَّةِ موسى عليهِ السّلامُ .

نشاط :

١ـ اكْتُبْ ما يشيرُ إلى هذا الأمرِ من قصَّةِ موسى عليهِ السلامُ وفرعونَ كما جاءَ في السُّورَةِ السّابقَةِ .

٢ـ اكتب موضوعاً عن أحداثِ قصَّةِ موسى عليهِ السلامُ مَعَ فرعونَ ، وزيِّنْ بهِ مجلةَ الحائطِ في مَدْرَستِكَ .

* * *

الدَّرسُ الخامسُ والعشرونَ

سورةُ الدُّخانِ ـ القِسْمُ الثّالثُ

كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

ومقامٍ كريمٍ	: منازلَ حسنةٍ .	فاكهين	: مُتَنعِّمينَ .
مُنْظَرِين	: مُؤَخَّرين .	عالياً	: متكبِّراً .
بلاءٌ مبينٌ	: اختبارٌ ظاهرٌ .	بمنْشَرِينَ	: بِمَبْعوثين .
تُبَّعٍ	: أحدُ ملوكِ اليمنِ .		

التفسيرُ :

﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

في هذا الدَّرْسِ تَتِمَّةُ قِصَّةِ موسى وفِرْعَوْن ، ففي الدَّرسِ السّابقِ كانتِ النّهايةُ بغرقِ فرعونَ وجنودِهِ ، ونَجاةِ موسى عليهِ السّلامُ ومَنْ مَعَهُ . وفي هذا الدَّرْسِ يبيِّنُ أنَّهم تركوا وَراءَهم في مِصْرَ بساتينَ عظيمةً ، وجنّاتٍ وفيرةً ، وعيوناً غزيرةً ، وزروعاً متنوّعةً ، ومنازلَ مريحةً ، ونِعَماً كثيرةً ،

كانوا فيها متنعّمينَ ، تركوا كلَّ ذلكَ وجاءوا للمصيرِ المَحْتوم ، والغَرَقِ في اليَمِّ ؛ ذلكَ لِأنَّهم أبَوْا إلاَّ أن يُحارِبوا دعوةَ اللهِ فأخذَهُمُ اللهُ ، وأورثْنا تلكَ الجنّاتِ قوماً آخرينَ جاءوا بعدَهم .

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

لقد مضى فرعونُ وقومُهُ دونَ أن تقيمَ السَّماءُ عليهمْ مأتماً ، أو تبكي لموتِهم وفراقِهِمُ الأرضُ ، لقد كانوا أَهْوَنَ من ذلكَ ؛ فها قد مضى هوَ ومَنْ معَهُ منَ الكافرينَ دونَ أن يتأَخَّرَ عذابُهُم لحظةً واحدةً .

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

وفي المقابلِ لقد مَننّا بالنَّجاةِ على المستضعفينَ من بني إسرائيلَ وأنقذناهُم ، وخلّصناهُمْ من العذابِ المُذِلِّ المهينِ الذي كانَ يمارسُهُ فرعونُ عليهِمْ ، إنَّ فرعونَ كانَ مستكبراً جباراً متجاوِزاً كلَّ حدٍّ ، وكلَّ اعتدالٍ في تعاملِهِ مَعَهم .

﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

ولقد اخْتَرْنا بَني إسرائيلَ في ذلكَ الوقتِ على عِلْمٍ منَّا ، لأنهم كانوا أفضلَ العالَمينَ في زمانِهم ذاكَ ، فقد آمنوا باللهِ تعالىٰ ، واتَّبعوا رُسُلَهُ عليهمُ السّلامُ ، وأعطيناهم آياتٍ كثيرةً ومعجزاتٍ ظاهرةً ، وفي هذا اختبارٌ لهمْ وامتحانٌ واضحٌ ظاهرٌ ، أَيَشْكُرونَ ربَّهُم الذي أنعمَ عليهمْ أم يكفرونَ ؟ ولكنَّهم فيما بعدُ لم يَنْجَحوا في الاختبارِ . . وتلكَ قصةٌ أخرى .

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

ثمَّ انتقلَ السّياقُ الكريمُ من التاريخِ وقصصِ الماضينَ الغابرينَ إلى الحديثِ عن الحاضرينَ ، وهم قريشٌ الكافِرُونَ الّذين قالُوا : ما مِنْ حَياةٍ إلا هذهِ الحياةُ ، وما من مَوْتَةٍ إلا هذهِ المَوْتَةُ ، ولا بعثٌ ولا نشورٌ ، هكذا زعموا ، فإنْ كانَ ثَمَّةَ بعثٌ فأَحْضِروا آباءَنا ، وابْعَثُوهم مِنَ القبورِ ، فإنْ جئتُم بهمْ نؤمنْ بالنُّشورِ وإلاّ فَلا .

ويُعْرِضُ القرآنُ عنهم لِيُوازِيَهم مَرَّةً أخرى بصورةٍ مضتْ في التاريخِ وتكذيبٍ سابق ، إنهم هذه المَّرةَ مُكَذِّبونَ ، عَرَبٌ من حِميَرَ في اليمنِ ، فيسألُ القرآنُ : هل كُفّارُ مَكَّةَ خيرٌ من كُفَّارِ قَوْمِ تُبَّعٍ ؟ لقد أهلكناهُم لأنَّهم كانوا مُجْرِمين .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفَّار بكفرِهِمْ يسعَونَ إلى تدميرِ أَنْفُسِهِمْ ، كما فعلَ فرعونُ وقومهُ .

٢ـ التّاريخُ مدرسةٌ كبيرةٌ ، ولذلكَ قصّتْ هذهِ الآياتُ قصَّةَ فرعونَ ، وذكرتْ قومَ تُبَّعٍ ، لنأخذَ منهمُ العِبْرَةَ .

٣ـ الاستكبارُ ينتهي بصاحبهِ في الدُّنيا إلى الدَّمارِ ، وفي الآخرةِ إلى دُخولِ النّارِ .

٤ـ الكافرُ لا تبكي السَّماءُ ولا الأرضُ لِمَوْتِهِ ؛ بخلافِ المؤمنِ فَيَبْكِيْ عليه مُصَلاّهُ من الأرضِ ، ومَصْعَدُ عملِهِ من السَّماءِ .

٥ـ كان في قومِ موسى صالحونَ اختارَهُمُ اللهُ واصْطَفَاهُمْ .

٦ـ سُنَّةُ اللهِ في خلقِهِ أن يمتحنَ الشّعوبَ ، فمنْ لم ينجَحْ يُذْهبهُ اللهُ تعالىٰ ، ويأتي بآخرينَ .

٧ـ كفارُ العربِ كانوا ينكرونَ البعثَ والنُّشورَ ، وقاسُوا قدرةَ الخالقِ على قدرتِهم .

التقويمُ :

أجبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَمْ قَوْماً مِنَ الأُمَمِ الغابرةِ ذكرتِ الآياتُ ؟

٢ـ ما الّذي خَلَّفه فرعونُ وراءَهُ ؟

٣ـ لماذا عوقبَ فرعونُ ؟

٤ـ ماذا كانَ يقولُ كُفّارُ مكةَ عنِ البعثِ والنُّشورِ ؟

٥ـ بِمَنْ وازنَ اللهُ كُفّارَ مَكَّةَ ؟

٦ـ في حقِّ مَنْ نزلتْ كلٌّ مِنَ الآياتِ التاليةِ :

أ ـ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جنَّاتٍ وعُيون﴾ .

ب ـ ﴿إنّه كان عَالياً من المُسرفين﴾ .

ج ـ ﴿ولقد اخْتَرْنَاهم على عِلْمٍ على العَالَمِين﴾ .

د ـ ﴿إن هيَ إلا موتَتُنا الأولى وما نحن بمُنْشَرِين﴾ .

* * *

الدرس السادس والعشرون

سورةُ الدُّخانِ ـ القِسْمُ الرّابعُ

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

معاني المُفْرداتِ :

يَوْمَ الفصلِ : يَوْمَ القيامةِ يُفْصَلُ فيهِ بينَ الخلائقِ .

لا يُغني مولىً عنْ مولىً : لا يَدفَعُ قريبٌ عن قريبٍ أذىً .

شَجَرةَ الزَّقّومِ : شجرةٌ يُخْرِجُها الله في النّارِ . الأثيم : الكافرِ الكثيرِ الآثامِ .

كالمُهْلِ : كالنُّحاسِ المذابِ المَصْهورِ . الحَميمِ : الماءِ البالغِ الحرارةِ .

فاعْتلُوه : جُرُّوهُ بقهرٍ وسوقوهُ بعنْفٍ . تمترون : تَشُكّونَ وتجادِلونَ .

التفسيرُ :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

تَرِدُ الآياتُ في هذا الدَّرْسِ على الكُفّارِ الذينَ كفروا بالنُّشورِ ، فيقولُ اللهُ لهم : إنّني ما خلقتُ

السّماواتِ والأرضَ وما بينهما من أجلِ اللَّعِبِ ، وما خلقتُ كُلَّ ذلكَ إلاّ بالحَقِّ ، ولكنَّ أكثرَ أولئكَ الكُفّار لا يعلمونَ ؛ فهمْ حينَ يكفرونَ بالبعثِ ، يظنونَ أَنَّ الكونَ خُلِقَ للعبثِ ، وليسَ كذلكَ ، والحقُّ الذي خلق السّماواتِ والأرضَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُعْبَدَ ويَطاعَ ، ثم يحاسِبُ اللهُ عِبادَهُ على ما قَدَّموه ، فَيَجْزِي المُؤمنينَ بالنَّعيمِ والكفَّارَ بالعذابِ المقيمِ .

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

إنَّ يومَ الفصلِ الذي يُقْضَى فيهِ بينَ الخلائقِ ، ويُفْصَلُ بينَهُمْ فَيُعْرَفُ المحقُّ مِنَ المُبْطِلِ ، هذا اليومُ موعِدُهُمْ أجمعينَ ، وفي ذلكَ اليوم لا يدفعُ قريبٌ عن قريبٍ ، ولا ينفعُ صديقٌ صديقاً ، ولا همْ يُنصرونَ إلاَّ من كتبَ اللهُ أَنَّهُ مِنَ النَاجينَ ، وأَدْخَلَهُ في رحمتِهِ ، إنَّهُ سبحانَهُ هُوَ العزيزُ في حُكمِهِ ومُلكِهِ ، الرَّحيمُ بخَلْقِهِ ، ولكنَّ الذي استحقَّ العذابَ استحقَّهُ بإِصرارِهِ واختيارِهِ ، وأخرجَ نفسَهُ بعنادٍ من رحمةِ اللهِ حينَ خَرَجَ من دينِ اللهِ وهدْيِ اللهِ .

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

ثُمَّ فصَّلَ في عذابِ أولئكَ المحرومينَ مِنَ الرَّحْمةِ ، لأنَّهمْ كفروا وكذَّبوا ، فذكَرَ أَنَّ طعامَهُم من شجرةِ الزَّقّوم ، وما أدراكَ ما شجرةُ الزّقّوم ، إنَّها طعامٌ أُعِدَّ للكافرِ الكثيرِ الذُّنوب ، وهذا الطَّعامُ نارٌ مُحرِقَةٌ كأَنَّهُ نُحاسٌ مذابٌ وماءٌ مغليٌّ ، وَصَلتْ حرارتُهُ مُنتهاها ، ويقالُ للكافرِ هناكَ : ذقْ هذا الطعامَ ، إنَّكَ كنتَ في الدُّنيا مِنَ المُعَزَّزينَ المُكرَّمينَ ، هذا طعامه ، أمَّا معاملةُ الملائكةِ لَهُ فإنَّها تجرُّهُ بعنفٍ وتسحبُهُ مقهوراً إلى وَسطِ جهنمَ ، ولم ينتهِ الأمرُ هنا بل يَصُبُّون فوق رأسهِ الماءَ المغليَّ ليزدادَ عذاباً . ومن العذابِ كذلك أنْ يقالَ لَهُ على وجه السُّخْرِيَةِ به : ذُقْ مِنْ العَذابِ ، فأنتَ العزيزُ في قومِكَ ، الكريمُ في دُنياكَ ، ما نَفَعَكَ ذَلكَ بشيءٍ ، فإِنَّ هذا ما كنتمْ تجادلونَ فيهِ ، ولا تصدِّقونَ ، فهلْ بعدَ ما رأيتموهُ ، هل أنتم بهِ مؤمنونَ ؟

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ الكونُ مَخلوقٌ لَنا كَيْ نَعْرِفَ اللهَ ونعبدَهُ ، وهذا هو الحقُّ الذي خَلَقَ اللهُ الكونَ من أَجْلهِ .

٢ـ اعتقادُ الكُفّارِ بعدَمِ البَعْثِ ناشىءٌ عَنْ تَصوُّرِهم أَنَّ الكونَ عبثٌ .

٣ـ في يوم القيامةِ يَفْصِلُ اللهُ بينَ الخلائقِ ، وينتصرُ للمظلومِ ، وينتقمُ منَ الظالمِ .

٤ـ في الآياتِ ترهيبٌ عظيمٌ بذكر صورةٍ من صُوَرِ عذابِ أهلِ النارِ ، وذِكْرِ طعامِهِم وشرابِهِم ، وما يُفْعَلُ بِهِمْ ، ويُقَال لَهُمْ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿يوم الفصل﴾ .

ب ـ ﴿خذوه فَاعْتِلُوه إلى سَواء الجحيم﴾ .

ج ـ ﴿ذُقْ إنّكَ أَنْتَ العزيزُ الكَريمُ﴾ .

د ـ ﴿إنّ هذا ما كنتم به تَمْتَرون﴾ .

٢ـ ما شَجَرَةُ الزّقُّوم ؟

٣ـ ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ ألواناً من عذابِ الكافرينَ يومَ القيامةِ ، اكتبِ الآيةَ الدّالّةَ على كلِّ لونٍ مِمّا يأتي :

أ ـ طعامِ الكافرينَ .

ب ـ مُعامَلَةِ الملائكَةِ لهم .

ج ـ ما يُصَبُّ على رأسِ الكافِرِ .

د ـ الاسْتِهزاء بهِ والسُّخْرِيةِ منهُ .

نشاط :

١ـ اكتب الآياتِ (١٦ ـ ١٨) مِنْ سُورَةِ الأنبياءِ ، وبيِّنْ وجهَ الشَّبَهِ بينها وبينَ آياتِ الدَّرْسِ .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ الآياتِ (١١ ـ ١٤) مِنْ سُورَةِ المَعارِجِ ، وبيِّنْ وجهَ الشَّبَهِ بينهَا وبينَ آياتِ الدَّرْسِ .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعُ والعِشرونَ

سُورَةُ الدُّخانِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

مَقامٍ أمينٍ : في ديارٍ آمنةٍ ، ليس فيها خوفٌ ولا فَزَعٌ .

سُنْدُسٍ : حريرٍ رقيقٍ .

إستبرقٍ : حريرٍ سميكٍ .

حورٍ عينٍ : نساءٍ جميلاتٍ بيضٍ واسعاتِ العيُونِ .

يَدْعُونَ : يَطْلبُونَ .

فارْتَقِبْ : فانْتَظِرْ .

فإنما يسّرناه بلسانِكَ : سهَّلَ اللهُ على النّاسِ تلاوةَ القرآنِ بِلُغَةِ العَرَبِ .

التفسيرُ :

بيّنَتِ الآياتُ السّابقةُ ألواناً مِنَ العذابِ أعدَّهُ اللهُ للكافرينَ ، وفي هذهِ الآياتِ بيانٌ للنَّعيمِ الذي أعدَّهُ اللهُ تعالىٰ لِلْمُؤمنينَ المُتَّقينَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ في الآياتِ (٥١ـ٥٧) :

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

﴿ مُتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧ ﴾ .

يقولُ هنا : إنَّ المُتَّقينَ عندَ ربِّهم يُقيمونَ آمنينَ في الجنّاتِ التي تجري فيها العيونُ ، يَلْبَسونَ ثيابَ الحَريرِ بنوعيهِ الناعمِ الرّقيقِ والسَّميكِ ، ويجلسونَ مُتَقابلينَ ، وقد زوَّجناهمْ بنساءٍ من الجنَّةِ بيضٍ بَشَرَاتُهُنَّ ، واسعاتٍ عيونُهُنَّ ، يطلبونَ الفواكهَ مِنْ كُلِّ نوعٍ ، فيأتيهم ما يَطْلبونَ وهمْ آمنونَ في مقامِهِمْ ، لا يرونَ الموتَ ولا يذوقونَهُ إلاَّ الموتةَ الأولى التي ماتُوها في الدُّنيا ، أمَّا هنا فخلودٌ دائمٌ ، وقد نجَّاهمْ ربُّهم مِنْ عذابِ الجحيمِ فضلاً منه سبحانَهُ ، وهذا هو الفوزُ العظيمُ .

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩ ﴾ .

وتختمُ الآياتُ بتقريرِ أَنَّ القرآنَ قد يسَّرَهُ اللهُ بلسانِ النبيِّ ﷺ ، أي بالعربيّةِ لُغَةِ قومِهِ لِيَسْهُلَ عليهِم فهمُهُ والإيمانُ بهِ ، ومنْ أجلِ أنْ يتذكَّروا ، لكنَّهمْ لم يُؤمِنوا ، فانتظرِ المصيرَ الذي ينتظرُ أولئكَ الكافرينَ .

معاني المفردات :

تُرْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ ذِكرُ لَونٍ مِنْ أَلوانِ النّعيمِ الّتي يَتَنَعَّمُ بها المُؤْمِنونَ في الجَنَّةِ ، في مُقابِلِ ما سَبَقَ ذِكرُه من ألوانِ عذابِ الكافِرينَ .

٢ـ نعيمُ أهلِ الجنَّةِ في الجنَّاتِ والعيونِ والأمنِ يَحفِزُ الناسَ في الدُّنْيا إلى العَمَلِ لذلكَ اليومِ .

٣ـ لا موتَ في الآخرةِ ، وإنَّما حياةٌ خالدةٌ ، سواءٌ في الجنّةِ أَمْ في النّارِ .

٤ـ منْ فضلِ اللهِ علينا أَنَّ القرآنَ نزلَ بلغتِنا العربيةِ لِنَزْدادَ علماً وَفِقْهاً .

التقويم :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى :

أـ ﴿سُنْدُسٍ وإسْتبرق﴾ .

ب ـ ﴿لا يذوقون فيها الموتَ إِلا الموتَةَ الأولى﴾ .

ج ـ ﴿فارتقبْ إِنهم مُرتقِبون﴾ .

٢ـ اذكر خَمْسَةً مِنْ ألوانِ النَّعيمِ في الجنَّةِ .

نشاط :

وازِنْ بَيْنَ ما أعدَّهُ اللهُ تعالىٰ للكافرينَ ، وما هيَّأهُ للمُتَّقينَ ، كما جاءَ في آياتِ السُّورةِ الكريمَةِ .

الدَّرسُ الثَّامِنُ والعِشرُونَ

سُورَةُ الجاثَيةِ ـ القِسمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

تعريفٌ بالسُّورَة :

سُورَةُ الجاثيةِ مكيّةٌ ، وعددُ آياتِها سبعٌ وثلاثونَ آيةً ، وترتيبُها الخامسُ والأربعونَ في المُصْحَفِ الشَّريفِ ، وموضوعُها آياتُ اللهِ في الآفاقِ والأنفسِ والأكوانِ ، وآياتُهُ في كتابِهِ القرآنِ ، وقضيةُ البعثِ والقيامةِ .

وقد تكرّرتْ كلمةُ « آياتِ » ثَمانيَ مَرّاتٍ في السُّورَةِ الكريمَةِ ، وكلُّها شواهدُ ناطقةٌ بعظمة اللهِ وجلالهِ وقدرتهِ ووحدانيّتِهِ .

وَسُمِّيَتِ السُّورَةُ باسْمِ هَوْلٍ مِنَ الأهوالِ التي يَلْقاها النّاسُ يومَ الحساب ، حيثُ تَجْثُو الخلائقُ مِنَ الفزعِ على الرُّكَبِ في انتظارِ الحسابِ ، ويغشى الناسَ من الأهوالِ ما لا يخطُرُ على البالِ . ولهذا ذكرتِ السُّورَةُ ذلكَ في الآيةِ الثامنةِ والعشرينَ ﴿وترى كلَّ أمَّةٍ جاثيةً كلُّ أمةٍ تُدعى إلى كِتابها اليومَ تُجزونَ ما كنتُم تعملون﴾ حَتّى يستعدَّ الناسُ لهذا اليومِ فيُؤمنوا ، حتى يؤمِّنَهُم اللهُ من أهوالِ هذا اليومِ الرَّهيبِ .

معاني المُفْرداتِ :

آياتٍ للمؤمنين : دَلاَئِلَ تَدُلُّ على وَحْدَانِيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ وعِزَّته .

يَبُثُّ : يَنْشُرُ .

تَصْرِيفِ الرياحِ : تَقَلُّبها مِنْ جهةٍ إلى جهةٍ .

ويلٌ : هلاكٌ وعذابٌ .

أفَّاكٍ أثيمٍ : كذَّابٍ كثيرِ الإثم .

يُصِرُّ مستكبراً : يقيمُ على كفرهِ وضلالِهِ .

رجزٍ : أشدِّ العذابِ .

التفسيرُ :

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ .

تبتدىءُ السُّورَةُ بالحرُوفِ المقطَّعةِ المشيرةِ إلى الإعجازِ البيانيِّ في آياتِ القرآنِ ، فمن هذهِ الحُروفِ كانَ هذا الكتابُ الذي هوَ تنزيلٌ من اللهِ العزيزِ الحكيم .

﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

وَمِنْ آياتِ الكتابِ انتقلَ السِّياقُ إلى آياتِ الكونِ فقالَ : إنَّ في السّماواتِ والأرضِ لآياتٍ للمؤمنينَ ، وفي خلقِ الناسِ آياتٌ ، وما نشرَ اللهُ في الأرضِ وبثَّ منَ الدَّوّابِّ آياتٌ لقومٍ يوقنونَ ، وفي اختلافِ الليلِ والنهارِ وتعاقُبهما آياتٌ ، وفي تنزيلِ الماءِ من السَّماءِ وإنباتِ الرِّزْقِ مِنْ عُشْبٍ وزرعٍ وإحياءِ الأرضِ بعدَ موتها كذلكَ آياتٌ لقومٍ يعقلونَ ويتفكرونَ .

﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ .

وبعدَ هذهِ الآياتِ الكونيَّةِ انتقلَ إلى الآياتِ القرآنيةِ التي تحدّثَتْ عن الآياتِ الكونيَّةِ فقال : تلكَ آياتُ اللهِ نَتْلُوها وَنُنَزِّلُها عليكَ بالحقِّ ، فبماذا يؤمنُ هؤلاءِ ؟ وبأيِّ حديثٍ أو لغةٍ أو كلامٍ بعدَ كلامِ اللهِ وآياتِهِ يؤمنونَ ؟

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ .

ثمَّ توعَّدتِ الآياتُ هؤلاءِ الكافرينَ بالوَيْلِ والثُّبورِ ، فالوَيْلُ لكلِّ كذابٍ كثيرِ الإثمِ ، وذلكَ أنَّهُ يسمعُ آياتِ اللهِ تُتلى عليهِ ، ثمَّ يصرُّ على كِبْرِهِ وكُفْرِهِ كأنْ لمْ يسمعْ شيئاً من تلكَ الآياتِ ، فبشِّرْ هذا وأمثالَهُ بعذابٍ أليمٍ .

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

وإذا علمَ هذا الكافرُ الأفَّاكُ من آياتِنا شيئاً اتَّخذها سُخْريةً وَهُزُواً ، فجزاءُ أولئكَ العذابُ المهينُ حيثُ تَنْتَظِرُهُم جهنَّمُ ، ولا يَدفَعُ عنهمْ ما كَسَبوا ، ولا يغني عنهم ما جَمَعُوا ، ولا ينفعُهُم الشُّركاءُ الذينَ اتَّخذوهمْ مِنْ دونِ اللهِ ، وَلَهُمْ عذابٌ عظيمٌ .

﴿ هَـٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

هذا الكتابُ كتابُ هدايةٍ ، فالذين كفروا بآياتِ اللهِ لهم أشدُّ العذابِ من الرِّجْزِ الأليمِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القرآنُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

٢ـ كثرةُ الآياتِ الكونيَّةِ الدَّالَّةِ علىٰ اللهِ .

٣ـ جَعَلَ اللهُ لنا طريقيْنِ لِلْهُدى : الأكوانَ والقرآنَ ، ولكنَّ الكُفّارَ أَعْرَضوا عَنْهُما .

٤ـ كلُّ ما في الكونِ والقرآنِ يَدُلُّ على اللهِ تعالىٰ .

٥ـ القرآنُ النّازِلُ مِنَ السَّماءِ يُحْيي القلوبَ ، والماءُ النازلُ مِنَ السَّماءِ يُحْيي الأرضَ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ كم مَرّةً تكرَّرَتْ كلمةُ « آيات » في السُّورَةِ الكريمةِ ؟

ب ـ ما دَلالةُ هذا التَّكرارِ ؟

ج ـ وهَلَ وَرَدتْ هذهِ الكلمةُ بمعنىً واحدٍ ؟

٢ـ كم آيةً كونيَّةً تَضَمَّنتْ آياتُ الدَّرْسِ الأَوَّلِ ؟ عَدِّدْها .

٣ـ اذكر سلوكَ الكافرينَ مع آياتِ اللهِ .

٤ـ ما مَعْنى : ﴿لهم عذابٌ من رجزٍ أليم﴾ ؟

٥ـ ما الآيةُ التي اختُتِمَتْ بكلِّ كَلمةٍ من الكلماتِ القرآنيةِ الآتيةِ .

أ ـ الأثيم :

ب ـ الحكيم :

ج ـ يوقنونَ :

د ـ يؤمنونَ :

هـ ـ يعقلونَ :

و ـ مهينٌ :

ز ـ أليمٍ :

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سُورَةُ الجاثِيَةِ ـ القِسْمُ الثّاني

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

معاني المُفْرداتِ :

- سخَّرَ : هيَّأَ وذلَّلَ .
- الفُلْكُ : السُّفُنُ .
- لا يَرْجُونَ أيامَ اللهِ : لا يتوقَّعونَ وقائِعَهُ بأعدائِهِ .
- البيِّنات : الدّلائِلِ الواضِحات .
- بَغْياً بينَهم : عَداوةً وَحَسَداً فيما بَيْنَهُمْ .

التفسيرُ :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

تواصِلُ الآياتُ الكريمةُ حديثَها عن آياتِ اللهِ في الكونِ ، وهي هنا تتحدثُ عمَّا سخَّرَ اللهُ للخلقِ منْ هذهِ الآياتِ الكونيَّةِ ؛ فهوَ سبحانَهُ الذي ذلَّلَ البحرَ لسفنِكُم ؛ تقطعُ فيهِ المسافاتِ ، وتحملُكُم ،

وتنقلُ بضائِعَكُم ، وكلُّ ذلكَ بقوانينِ اللهِ ، وقدرةِ اللهِ وتسخيرِهِ لذلكَ . ولولا فضلُ اللهِ ما تمكَّنتمْ من كلِّ ذلكَ ، وأوجدَ اللهُ في البحارِ الأسماكَ والثرواتِ ، كلُّ ذلكَ تنتفعونَ منهُ ، وتطلبونَ فضلَ اللهِ الذي أودَعَهُ لكمْ في البحارِ ، لعلَّكُم بعدَ ذلكَ تشكرونَ ربَّكُم على ما سخَّرَ لكمْ .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

وهوَ سبحانَهُ الذي سخَّرَ لكمْ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ من أجلِ منفَعَتِكُم ، ولعلَّ هذهِ الآيةَ هي أعمُّ آيةٍ في التَّسْخيرِ الكونيِّ للإنسانِ ، إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يتفكرَّونَ .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

ثمَّ اتَّجهتِ الآياتُ بالخطابِ إلى المؤمنينَ أن يصفحوا عن بذاءاتِ المشركينَ مَعَهُمْ وشتائِمِهم وأذاهُمْ ولا يردُّوا السيئةَ بمِثْلِها ، فالمشركونَ لا يتوقَّعونَ ما سيُنْزِلُ اللهُ بهمْ مِنْ عقابٍ ، ولكنَّكُمْ أيُّها المؤمنونَ تعلمونَ ، فاصْفَحوا لِعِلْمِكُم بما سُيحيقُ بالكافرينَ ، واكتَفوا بانْتقامِ اللهِ لَكُمْ ، ومحاسَبتِهِ من يسيئونَ إليكم يومَ القيامةِ ، حيثُ يجزيهِم بما كانوا يَكْسِبونَ .

والقانونُ الإلهيُّ أَنَّهُ مَنْ عملَ صالحاً يعملُ لمصلحةِ نفسِهِ وثوابِها ، وأَنَّ مَنْ أساءَ يعملُ ضدَّ نفسهِ وَيَجْني عليها ، وإلى اللهِ يرجِعُ الجميعُ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

ثمَّ انتقلَ السِّياقُ إلى مَثَلٍ عمليٍّ على التَّسخيرِ والفضلِ الإلهيِّ على أمةٍ قبلَنا ، وكيفَ فَعَلتْ بإزاءِ هذا الفَضْلِ ، فذكرَ بني إسرائيلَ وأنَّهم أوتوا مِنْ فضلِ اللهِ : الكتابَ وهوَ الدُّسْتورُ والمنهاجُ الذي يُنظِّمُ الحياةَ ، ويرقى بها ، وأوتوا النبوَّةَ ، والحكمَ والحكمةَ التي مع الكتابِ والنبوَّةِ ، وكلُّ ذلكَ من أعظمِ نعمِ اللهِ ، ورزقَهُمُ اللهُ تعالىٰ منْ طيباتِ الرِّزقِ التي كانَ منها المنُّ والسَّلْوى وغيرُ ذلكَ ، وفضَّلَهُم اللهُ في وقتِهم ذاكَ على العالَمينَ مِنَ الكافرينَ في زمانِهم ، وجلَّى لهمُ الأمورَ وبيَّنَها لهمْ ، فماذا حصلَ ؟ هل شكروا ربَّهم ؟ لقدِ اخْتَلَفُوا بعدَ الهدى الجامعِ الذي أَتاهُمْ ، وبَغَى بعضُهم على بعضٍ وَتَظالَموا ، واللهُ سيقضي ويحكمُ بينَهم يومَ القيامةِ فيما كانوا فيهِ يختلفونَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إِلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ فَضْلُ اللهِ على البَشَرِ والخلقِ عظيمٌ ، وَنِعَمُهُ لا تحصى ، ومنها تَسْخيرُ البحرِ الذي فيهِ المواصلاتُ ، ومنهُ الثَّرواتُ .

٢ـ الشُّكرُ خُلُقٌ يُحِبُّهُ اللهُ في الناسِ ، وهوَ يُنعمُ عليهم ليشكروهُ .

٣ـ أخلاقُ المؤمنينَ ربانيَّةٌ طيبةٌ ، فهم لا يَرُدّونَ الإساءةَ بالإِساءةِ .

٤ـ اللهُ يدافعُ عنِ المؤمنينَ ، وَيُجازي منْ يُسيءُ إِليهم .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذكُرْ بعضَ ما سخَّرَ اللهُ لنا في الكونِ .

٢ـ ماذا طلبَ اللهُ منَ المؤمنينَ في آياتِ هذا الدَّرْسِ ؟

٣ـ عدِّدْ بعضَ نِعَمِ اللهِ على بني إِسرائيلَ .

٤ـ ماذا كانَ موقفُ بني إِسرائيلَ إِزاءَ هذهِ النِّعَمِ ؟

نشاط :

١ـ اكتب في دفترك مقارنةً بين السُّفُنِ في الماضي والسُّفنِ في الوقْتِ الحاضِرِ .

٢ـ اكُتبْ في دفترِكَ بعضَ النِّعَمِ التي أنعمَ اللهُ بها على بني إِسرائيلَ مِمّا جاءَ في السُّورَةِ السّابِقَةِ .

٣ـ اكتبْ كلمةً حولَ مفهومِ الآيةِ : ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فعليها﴾ ، وَأَلْقِها على الطَّلَبَةِ في الصَّباحِ .

* * *

الدرس الثلاثون

سورةُ الجاثيَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

معاني المفردات :

شريعةٍ	: طريقةٍ ومنهاجٍ .	لَنْ يُغْنوا	: لن يَدْفعوا .
بَصائِرُ	: بيِّناتٌ تُبصِّرُهم .	اجْتَرَحوا	: اكْتَسَبوا .
أفرأيتَ	: أَخْبِرْني .	اتَّخذَ إلهَهُ هواهُ	: جعلَ معبودَهُ هواهُ المطاعَ .
ختمَ	: أقفلَ .	غِشاوةً	: غطاءً .

التفسير :

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ .

تبتدىءُ الآياتُ بخطابِ النبيِّ ﷺ أنَّ اللهَ أكرمَهُ منْ بعدِ ما طُويَتْ صفحةُ بني إسرائيلَ بشريعةٍ ومنهاجٍ عظيمٍ هو الإسلامُ والقرآنُ . فاتَّبِعْ هذا المنهاجَ ، ولا تُطِعْ ولا تَتَّبِعْ أهواءَ الذين

لا يعلمونَ . . لأنهم لَن يُدافِعوا ولَن يَدفعوا عنكَ أمامَ اللهِ شيئاً .

والظالمونَ في الدُّنْيا قد ينصرُ بعضُهم بعضاً ، أمَّا المؤمنونَ فإنَّ اللهَ وليُّهم في الدُّنْيا والآخرةِ ، ولا يتخلّى عنهم .

﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

هذا الكتابُ الذي أكرمَكَ اللهُ بهِ أرسَلَهُ اللهُ ليكونَ بصائرَ وبيِّناتٍ تَهْدي الناسَ ، وتكونَ سبباً في سعادتِهم ورحمتِهم في الدُّنْيا والآخرةِ ، إنْ كانوا من الموقنينَ بهذهِ الآياتِ والمتّبعينَ لهذا المنهاجِ .

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

ثم تسألُ الآياتُ عن موقفِ الكافرينَ فتقولُ : هلْ يظنُّ هؤلاءِ الذين اكتسبوا السيئاتِ والكفرَ والمعاصيَ أنْ نجعلَهُم في الدُّنْيا والآخرةِ كالذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ ؟ بئسَ هذا الفهمُ ، وبئسَ هذا الحكمُ .

﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

وعادتِ الآياتُ إلى الحديثِ عن الآياتِ الكونيةِ ، فذكرتْ خلقَ اللهِ السّماواتِ والأرضَ على أساسِ الحقِّ ؛ منْ أجلِ أنْ تُجزى كلُّ نفسٍ بما عملتْ ، ولا يُظلَمُ في جزائِهِ المحسنُ ولا المُسيءُ ، بل يُجزى كلٌّ بما عَمِلَ .

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

وَخُتِمتْ آياتُ هذا الدَّرسِ بالسُّؤالِ التَّعجُّبيِّ : أفرأيتَ أيها النبيُّ إلى غرابةِ فعلِ ذلكَ الشَّخْصِ الذي اتَّخذَ إلهَهُ ومعبودَهُ هواهُ ، فهوَ يخضعُ لهذا الهوى والنزواتِ والشَّهواتِ ، ويطيعُهُ كما يطيعُ العابدُ ربَّهُ ، فكانَ جزاءَه أَنَّ اللهَ في مقابلِ ذلكَ ، أضلَّهُ بعدَ أنْ أتاحَ لهُ العلمَ ، وأغلقَ على سمعِهِ وقلبِهِ وغطَّى على بصرِهِ ، فمنْ يهديهِ بعدَ اللهِ ؟ أفلا تذّكرونَ ؟

ومن تأمَّلَ وجدَ أَنَّ الآياتِ في هذا الدَّرسِ ابتدأتْ بالنَّهْيِ عَنِ اتّباعِ الأهواءِ ، وخُتمتْ بالتعجُّبِ مِمّنْ اتبعَ هواهُ ، واتّخذَهُ إلهاً ، فتناسقَ مَطْلَعُ الآياتِ في هذا الدَّرسِ مَعَ الختامِ ، وهكذا القرآنُ على الدَّوامِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أهميَّةُ المنهاجِ الإلهيِّ في حياةِ الأممِ وسعادتِها .

٢ـ ضَرورَةُ الالتزامِ بالمنهاجِ الإلهيِّ ، وعدمُ طاعةِ المتمرِّدينَ عليهِ .

٣ـ اللهُ وليُّ المؤمنينَ في الدُّنْيا والآخرةِ ، أما الكُفّار فيتولّى بَعْضُهم بَعْضاً ، وَولايَتُهم مُنْقطعةُ لا تَدومُ .

٤ـ لا يمكنُ أَنْ يستويَ عندَ اللهِ وفي ميزانِهِ المحسنُ والمسيءُ ، والمؤمنُ والكافرُ ، وإنَّما هذهِ أوهامُ الكافرينَ .

٥ـ إنَّ مَنْ أضلَّهُ اللهُ تعالىٰ لا يستطيعُ أحدٌ أن يهدِيَهُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بمَ امتنَّ اللهُ على النبيِّ مُحَمَّدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في هذهِ الآياتِ ؟

٢ـ ما الَّذي نُهِيَ عنهُ النبيُّ ﷺ في هذا الدَّرْسِ ؟

٣ـ ماذا يَتوهَّمُ الكافرونَ ؟

٤ـ ما مَعْنى : ﴿أفرأيتَ من اتَّخذ إلٰهَهُ هَواهُ﴾ ؟

٥ـ ذكرتِ الآيةُ الأخيرةُ (٢٣) مجموعةً مِنْ أسبابِ الضَّلالِ (وهيَ أوصافٌ للكافرينَ) . اذكرها مرتَّبةً كما جاءتْ في الآيةِ الكريمةِ .

نشاط :

كيف يُوفَّقُ بينَ تَسْليطِ أَعْداءِ اللهِ على المُسْلمينَ وما جاءَ في هذهِ الآيةِ ؟ اكتبْ ذلكَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الحادي والثلاثون

سورةُ الجاثيةِ ـ القِسْمُ الرّابعُ

وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾

معاني المُفْرداتِ :

وما يُهْلِكُنا إلا الدَّهْرُ : ما يُميتُنا إلا مُرورُ الزَّمنِ .

جاثيةً : باركينَ على الرُّكَبِ .

كتابِها : سِجِلٌ أعْمالِها .

نَسْتَنْسِخُ : تَكتبُ الحَفَظَةُ أعمالَ الإنسانِ .

التّفسيرُ :

﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

الآياتُ في هذا الدَّرْسِ كُلُّها تدورُ حولَ يومِ القيامةِ ، فهيَ تبتدىءُ ببيانِ موقفِ الكافرينَ مِنْ هذا

اليوم ، فهمْ يزعُمونَ أَنَّهُ ليسَ هناكَ يومٌ آخرُ ، وليس هناك حياةٌ بعد هذهِ الحياةِ ، وإنّما يُهلِكُ البشرَ انقضاءُ السِّنينَ ومرورُ الأيامِ ، وهذا القولُ ليسَ صادراً عن علمٍ ، ولكنَّهُ الظنُّ فحسبُ .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ بينتِ الآيةُ الكريمةُ موقفَهُم مِنْ نُزولِ الآياتِ الكريمةِ ، فهمْ يكفرونَ بها ، وليسَ لهمْ إذا تُلِيَتْ عليهِم آياتُ القرآنِ المتعلِّقةُ بالقيامةِ من حُجّةٍ يحتجُّونَ بها إلا أن يقولوا : إنْ كانَ البعثُ حقيقةً واقعةً فَأَعِيدُوا آباءَنا مِنْ قُبورِهِم إنْ كُنتمْ صادقينَ فيما تقولونَ .

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

ويردُّ النصُّ الكريمُ عليهِم بأمرِ النبيِّ ﷺ أن يقولَ لهمْ : إنَّ اللهَ هوَ الذي أحياكم ، ويُحييكُم ويُميتُكم مِنْ بعدِ حياتِكُم ، وليسَ الدّهرُ كما زَعَمْتُم ، وهوَ القادرُ على أن يجمعَكُمْ مِنْ بعدِ موتِكُمْ وتَفَرُّقِ ذَرّاتِكُمْ ، وذلكَ يومَ القيامةِ يومَ يشاءُ هوَ ، لا عندما تطلبونَ أن يَجمعَ ويَبعثَ آباءَكم ، هذا اليومُ حقٌّ وآتٍ بلا ريبٍ ، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمونَ هذهِ الحقيقةَ ، أو همْ منشغلونَ عنها ، غيرُ مهتمينَ بها ، مع أَنَّها تتعلقُ بمصيرِهِمْ .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

وكيف لا يبعثُ اللهُ الخلقَ وهوَ الذي لهُ ملكُ السّماواتِ والأرضِ ، وليسَ ذلكَ لأحدٍ سواهُ ؟ ويومَ تقومُ السّاعةُ يخسرُ الكافرونَ الذينَ كانوا في الباطلِ يخوضونَ .

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

في ذلكَ اليوم ترى كُلَّ أُمةٍ جاثيةً على الرُّكَبِ ، ذليلةً تنتظرُ الحكمَ الذي سَيَصْدُرُ عليها جزاءَ عملِها الذي قدَّمَتْهُ في الدُّنيا ، وكُلُّ أُمةٍ تنادى إلى صحائفِ أعمالِها ويقالُ لهم : اليومَ تُجزَونَ الذي كنتُمْ تعملونَ ، فهذا كتابُنا يشهدُ عليكُمْ بالحقِّ ، لأنَّنا كُنَّا نأمرُ الحفَظَةَ أنْ تكتبَ فيهِ كُلَّ ما كُنتُمْ تعملونَ .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

والناسُ يومَ القيامةِ حسبَ أعمالِهم التي قدَّموها فريقانِ :

فأمَّا المؤمنونَ الذينَ كانوا يعملونَ الصالحاتِ فيدخلُهُمْ ربُّهم في رحمتِهِ وجنَّتِهِ ، وذلكَ هُوَ الفوزُ الواضحُ المبينُ ، وأمَّا الكافرونَ فيقالُ لهم : ألَمْ تكُنْ الآياتُ تُتلى عليكمْ وتُبلَّغُ إليكم ؟ لكنَّكُمْ بدَلَ أنْ تُؤمنوا استكبرتُم وكنتُمْ منَ المجرمينَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافرونَ يظنّونَ أَنَّ اللهَ لا يُميتُ النَّاسَ ولا يُحْييهِم ، وإنما هيَ الأيامُ تفعلُ بهمْ ما تشاءُ .

٢ـ اللهُ الذي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ ولهُ مُلكُهُما ، وهوَ قادرٌ على بعثِ النَّاسِ من قُبورِهِم ، فهوَ بيدِهِ حياةُ النَّاسِ وموتُهم .

٣ـ كتابُ الأعمالِ مسجَّلٌ فيهِ كلُّ صغيرةٍ وكبيرةٍ تصْدُرُ عنِ الإنسانِ ، لأنَّ الحَفَظَةَ كانوا يُسَجِّلونَ كُلَّ شيءٍ .

٤ـ الاستكبارُ منَ الكفّارِ عاقبتُهُ الذلُّ والنارُ ، وسيندَمُ الكفّارُ يومَ القيامةِ ولاتَ ساعةَ مندمٍ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليَةِ :

١ـ ما ظَنُّ الّذين كَفَروا بحياتِهم وموتِهم ؟

٢ـ ما الحُجَّةُ التي ساقوها لِيَدْفعوا بها عقيدةَ البعثِ ؟

٣ـ بمَ ردَّ اللهُ حُجَّتَهم ؟

٤ـ بيِّن مَعْنى كُلٍّ مِمَّا يَأْتي :

أ ـ ﴿وَتَرى كُلَّ أمةٍ جاثيةً﴾ .

ب ـ ﴿كلُّ أمةٍ تُدعى إلى كِتابها﴾ .

ج ـ ﴿إنا كنا نَسْتَنْسِخُ ما كنتُم تعمَلُون﴾ .

٥ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ أَنَّ الناسَ يومَ القيامةِ فريقانِ . وضِّحْ ذلكَ مَعَ ذِكْرِ الدّليلِ مِنَ الآياتِ الكريمَةِ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ الآيةَ الثامنةَ والعشرينَ من سُورَةِ البَقَرَةِ ، وبيِّنْ وجهَ الشَّبَهِ بينها وبينَ الآيةِ السادسةِ والعشرينَ مِنْ سُورَةِ الجاثِيَةِ .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ مصيرَ الذينَ كفروا في الآخرةِ .

* * *

الدَّرسُ الثاني وَالثلاثونَ

سورةُ الجاثيةِ ـ القِسْمُ الخامسُ

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

الكلمة	المعنى	الكلمة	المعنى
السّاعةُ	يومُ القيامةِ .	بِمُسْتَيْقِنينَ	بُموقنين .
وحاقَ بهم	أحاطَ بِهِمْ ونزَلَ بهِم .	نَنْساكُم	نترُكُكُم في النَّارِ .
مأواكم	مَنْزِلُكُم .	غرَّتْكُمْ	خَذلَتْكُمْ .
يُسْتَعْتَبونَ	يَعْتَذِرُونَ .	الكِبْرِياءُ	العَظَمَةُ والمُلْكُ .



التفسيرُ :

هذهِ المجموعةُ مِنَ الآياتِ في خِتامِ سُورَةِ الجاثيةِ تتحدّثُ عَنْ يوم القيامةِ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

تبتدىءُ الآياتُ بتسجيلِ تكذيبِ الكفَّارِ بيوم القيامةِ ، كانوا إذا قيلَ لهمْ إنَّ اللهَ حقٌّ ، وإنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها ، ردُّوا قائلينَ : إنَّا ما نَدْرِي ما السَّاعةُ ، إنْ نظنُّ إلا ظناً أنَّها ستأتي أو تقومُ ، وليسَ عندَنا بهذا يقينٌ .

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

في ذلكَ اليومِ سيظهرُ لهمُ الجزاءُ السَّيِّيءُ على أعمالِهِم ، وسينْزِلُ بهمْ ويُحيطُهُمُ العذابُ على الاستهزاءِ بآياتِ اللهِ في الدُّنْيا .

﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

وسيقالُ لهمْ يومَ القيامةِ : في هذا اليومِ سنترُكُكُمْ في النَّارِ ، وستَبْقَوْنَ فيها جزاءَ نِسيانِكُم هذا اليومَ وكُفرِكُمْ بِهِ ، ومالكمْ من ناصرينَ يُخرِجُونكُمْ منها ، أو ينصرُونكُمْ مِنَ اللهِ ، أوْ يدفعونَ عنكمْ عذابَ اللهِ الذي حَكَمَ عليكمْ بهذا الحكمِ العادلِ الذي تستحقّونَهُ .

وذلكَ سَبَبُهُ أَنّكُمْ كُنتُم تستهزئونَ بآياتِ اللهِ ، وخَدَعَتْكُمُ الحياةُ الدنيا ، وظننتُم أَنَّها كُلُّ شيءٍ ، فاليومَ لا خروجَ مِنَ النّارِ ، ولا يُطْلَبُ منكُم بلْ لا يُقبَلُ منكُم الاعتذارُ ، ولقد مضى زمانُ التوبةِ والاستغفارِ والاعتذارِ .

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وتُخْتَمُ السُّورَةُ بتعظيمِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ ، فلهُ وحدَهُ الحمدُ كلُّهُ الذي لا يستحقُّهُ إلا هوَ ، فهُوَ ربُّ السماواتِ والأرضِ وربُّ جميعِ المخلوقاتِ .

ولهُ وَحْدَهُ العظمةُ كُلُّها والجلالُ والكبرياءُ في السّماواتِ وفي الأرضِ على السَّواءِ ، وهوَ العزيزُ الذي لا يُرَدُّ أمرُهُ ، وهوَ الحكيمُ الذي يَضَعُ كُلَّ شيءٍ في مَوْضِعِهِ المُطابِقِ للصَّوابِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الجزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ ، فكما نَسِيَ الكُفّارُ رَبَّهُم وحسابَهُ في هذهِ الدُّنيا (مُتَعَمِّدينَ) فإنَّهمْ يُتْركونَ في النَّارِ يومَ القيامةِ كالمَنْسِيّينَ جزاءً وِفاقاً على نِسْيانِهم هذا .

٢ـ يبالغُ الناسُ في الدنيا وقيمَتِها حتى تُصبِحَ في نظرِهِمْ محلَّ الآخرةِ وكأنَّها دارُ الجزاءِ (مَعَ أَنَّها دارُ العملِ فَيَخْدَعُونَ بذلكَ أنفسَهُم) .

٣ـ المجدُ والثناءُ والكبرياءُ في السّماواتِ والأرضِ للهِ وحدَهُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا أجابَ الكافرونَ عندما قيلَ لهمْ إنَّ السّاعةَ حَقٌّ ؟

٢ـ ما مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿اليومَ ننْساكُم كما نسيتُم لِقاءَ يومِكُم هذا﴾ .

ب ـ ﴿ولا هُم يُسْتَعْتَبُون﴾ .

ج ـ ﴿ولهُ الكِبْرياءُ﴾ .

٣ـ ذكرتِ الآيتانِ الأخيرتانِ السّادسةُ والثلاثونَ والسّابعةُ والثلاثونَ في سُورَةِ الجاثيةِ سبعَ صفاتٍ للهِ تعالىٰ لا يتصفُ بها إلا هوَ سبحانَهُ . اذكرهَا مرتَّبةً كما جاءَت في الآيتينِ الكريمتينِ .

نشاط :

الجزاءُ مِنْ جِنْسِ العملِ ، اكتب توضيحَ ذلكَ من فهمِكَ للآيتينِ الكريمَتَيْنِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالثُ والثَّلاثونَ

سُورةُ الأَحْقافِ ـ القِسْمَ الأَوّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

هذهِ هي السُّورةُ الأخيرةُ مِنْ سُوَرِ الحواميمِ السَّبْعِ ، وهيَ سُورَةٌ مَكّيَّةٌ ، وآياتُها خمسٌ وثلاثونَ آيةً ، وترتيبُها في المُصْحَفِ السّادسةُ والأربعونَ . وموضوعُها الكافرونَ باللهِ تعالىٰ ، وكُفرُهُم بالقرآنِ ، وبالآخرةِ ، وبالرَّسولِ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ ، معَ أَنَّ الأدلّةَ تملأُ الكونَ على حقيقةِ كُلِّ ما كذَّبُوا بهِ ، ومِنَ التّاريخِ شاهدٌ على ذلكَ . وَسُمِّيَت (الأحقافَ) لأنَّها تضمَّنَتْ ذِكْرَ مَوْطِنِ عادٍ بالأَحْقافِ في اليَمَنِ .

معاني المُفْرداتِ :

وَأَجَلٍ مُسَمًّى : زمنٍ معيَّنٍ لبقاءِ المخلوقاتِ .

أثارةٍ : بقيَّةٍ .

التفسيرُ :

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾ .

تبتدىءُ هذهِ السُّورَةُ الكريمةُ بالحروفِ المقطَّعةِ (حا ميم) وهي للتحدِّي والإعجازِ ، كما سَبَقَ ، ثُمَّ ذكرتِ الآياتُ هذا الكتابَ ، وهوَ القرآنُ الكريمُ ، وأَنَّهُ تنزيلٌ منَ اللهِ ذي العزَّةِ والحكمةِ .

﴿ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣ ﴾ .

ثُمَّ انتقلَ الحديثُ فيها من إنزالِ الكتابِ إلى خلقِ اللهِ للكونِ ، فاللهُ تعالىٰ ما خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ إلاَّ بالحقِّ ، وخَلَقَها لأَمَدٍ محدّدٍ ، وأجلٍ مضروبٍ ، فإذا جاءَ هذا الأجلُ قامتِ القيامةُ ، وجاءَ الناسُ للحسابِ . فما أشبَهَ الدنيا بقاعةِ الامتحانِ ، لا يتدخلُ في إجابتِكَ أحدٌ ، فإذا انتهى موعدُ الامتحانِ أُخرِجَ الطلابُ ، وبدأ الحسابُ . لكنَّ الذين كفروا عنْ هذِهِ الحقيقةِ العظيمةِ المتعلِّقَةِ بمصائِرِهم مُعْرِضونَ .

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤ ﴾ .

ثم انتقلَ السِّياقُ ليناقشَ هؤلاءِ الكافرينَ ، وأولُ النِّقاشِ يتعلَّقُ بشركِهِم ، وهوَ رأسُ خطاياهُم وضلالِهِمْ ، يقولُ لهمُ القرآنُ : أَخْبِروني عَنْ هؤلاءِ الذينَ جعلتموهُمْ مَعَ اللهِ شُركاءَ : ماذا خلقوا منَ الأرضِ ؟ وكيفَ يكونونَ شركاءَ ولمْ يخلقُوا في الأرضِ شيئاً مِنَ الأشياءِ ؟ أمْ تقولونَ : إنَّ لهم شِرْكاً في السّماءِ ، فمنْ عَجَزَ أَنْ يَخْلُقَ شيئاً في الأرضِ أفيَخلُقُ شيئاً في السَّماءِ ؟ فما داموا لم يخلقوا شيئاً فكيفَ يُشْرَكُونَ في العبادةِ والطّاعةِ معَ اللهِ ؟ إنَّ الذي خلقَ المخلوقاتِ هو الذي يَسْتَحِقُّ العبادةَ وَحْدَهُ ، فلما أثبتتِ الآيةُ عَجْزَهُمْ عَنْ إثباتِ القدرةِ على الخلقِ لمنْ عبدوهم منْ دونِ اللهِ طلبتْ منهم المجيءَ بأمرٍ آخرَ فقالت لهم : طالما لم تُرونا ولم تُخبرونا ماذا خلقتْ آلِهَتُكُمْ التي أَشْرَكْتُموها مَعَ اللهِ فأخبرونا إذاً هلْ أنتمْ في شِرْكِكُمْ مُسْتَنِدُونَ إلى كتابٍ أُنزِلَ عليكمْ مِنَ السماءِ قبلَ القرآنِ ؟ فأحضروهُ لنا . ويواصلُ فيقولُ : أمْ أَنَّكُمْ تَملكونَ شيئاً من العلمِ ، وبقيَّةً منْهُ بها ادعيتُمْ الشِّرْكَ ؟ أخبرونا على أيِّ مُسْتَنَدٍ استندتُمْ في شِرْكِكُمْ إنْ كُنتُم صادقينَ ؟ فلابُدَّ لكلِّ دعوى منْ دليلٍ وبُرهانٍ ، فأينَ دليلُكُمْ وبرهانُكُمْ ؟

﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ .

ثُمَّ حكمَ عليهِمُ القرآنُ بعدَ ثبوتِ عَجْزِهِمْ وظُهورِ كذِبِهِمْ بأَنَّهُ لا أحدَ أضلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ ، وهوَ لا يستجيبُ لهُ إلى يومِ القيامةِ ، بلْ إنَّهُمْ عنْ دُعَائِهِمْ غَافلونَ ، فإنْ كانتْ أصناماً فهي لا تَعي ولا تَعْقِلُ ، وإنْ كانتْ غيرَ ذلكَ فهيَ عاجزةٌ عَنِ الإجابةِ . أمَّا يومَ القيامةِ فإنَّ هذهِ الآلهةَ المزعومةَ ستنشأُ بينها وبين من يعبدها عداوةٌ لا حدَّ لها ، ويكفرُ العابدُ بالمعبودِ ، والمعبودُ بالعابدِ ، ويتقطَّعُ ما بينَهم ، ويكفرونَ بعبادتِهِمْ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكونُ مخلوقٌ بالحقِّ ، وقائمٌ على الحقِّ ، فلا باطلَ ولا لَعِبَ فيهِ ، ولهُ أجَلٌ محدودٌ ، والحقُّ الذي خُلِقَ الكونُ لأجلِهِ ، أن يعبدَ اللهَ وحده لا شريكَ لَهُ .

٢ـ الشِّرْكُ ليسَ لَهُ مُسْتَنَدٌ لا مِنْ واقعٍ ، ولا مِنْ كتابٍ ، ولا مِنْ عَقْلٍ وعِلمٍ ، إنَّما هو باطلٌ لا دليلَ عَلَيْهِ .

٣ـ يومَ القيامةِ تتقطعُ العلاقاتُ بينَ المشركينَ والآلهةِ التي عبدوها مِنْ دونِ اللهِ .

٤ـ لا يجوزُ أن يُدْعى أحدٌ مِنْ دونِ اللهِ ، ودعاءُ غيرِ اللهِ شِركٌ يُدْخِلُ صاحِبَهُ النّارَ .

التقويمُ :

أجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِمَ فَنَّدَ النَّصُّ الكريمُ شِرْكَ المشركينَ ؟

٢ـ ما مَعْنى : ﴿أَثَارَةٍ من عِلْمٍ﴾ ؟

٣ـ تكلَّمَ النصُّ عن أعداءٍ ستظهرُ عداوتُهُمْ يومَ القيامةِ ، مَنْ هُمْ ؟

٤ـ للكونِ أجلٌ محددٌ في علمِ اللهِ . ما الآيةُ الدّالّةُ على ذلكَ ؟

٥ـ الآلهةُ التي عُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللهِ لا تَستجيبُ لعابديها . ما دليلُ ذلكَ من الآيةِ الكريمةِ ؟

نشاط :

اكتبِ الآيَةَ الثامنةَ والأربعينَ مِنْ سُورَةِ إبراهيمَ التي تُبيِّنُ أَنَّ الأرضَ والسَّماءَ ستُبَدَّلانِ .

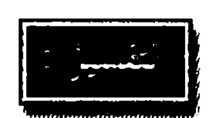
الدرس الرابع والثلاثون

سورة الأحقاف - القسم الثاني

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨) قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١)﴾

معاني المفردات :

تُفيضونَ فيهِ	: تتكلّمونَ على القرآنِ مندفعينَ دونَ تعَقُّلٍ .
ما كنتُ بِدعاً مِنَ الرسلِ	: ما كنتُ أولَ الرسلِ ، بل أرْسَلَ اللهُ رُسُلاً قبلي .
إفكٌ	: كَذِبٌ .



تتكلمُ آياتُ هذا الدرسِ عن تكذيبِ الكافرينَ بالوحيِ والرِّسالةِ ، والردِّ عليهِمْ .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧)﴾ .

تبتدىءُ الآياتُ بتقريرِ أَنَّ هؤلاءِ الكافرينَ إذا تُلِيَتْ عليهِم آياتُ اللهِ ، وقُرِئَتْ على مسامعهم قالوا لهذا الحقِّ الذي يسمعونَهُ : هذا سِحرٌ واضحٌ بيِّنٌ .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ .

ويقولونَ كذلكَ : إنَّ محمداً قد اختَلَقَهُ وألَّفَهُ منْ عِنْدِهِ ، وطَلَبَ اللهُ من نبيِّهِ ﷺ أنْ يَرُدَّ عليهم ، ويُجِيبَهُم ، ويقولَ لهم : إنْ كُنتُ افتريتُهُ على اللهِ فإنَّكُمْ لا تملكونَ أنْ تَحْمُوني منْ عذابِ اللهِ ، لأنَّ من افترى على اللهِ عذَّبَهُ وأهلَكَهُ . وإنَّ اللهَ أعلمُ بالأقوالِ التي تفترونَها أنتمْ على القرآنِ باندفاعٍ ، ودونَ تَعَقُّلٍ ، فاللهُ شهيدٌ بيني وبينَكم ، وكفى بشهادتِهِ ، وهوَ الغفورُ الرحيمُ .

وهذا حضٌّ لهمْ على التوبةِ ، لأنَّهُ سُبحانَهُ يغفرُ لمن تابَ ويرحَمُهُ .

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ .

ويأمرُ اللهُ تعالىٰ رسولَهُ ﷺ أنْ يقولَ لهمْ رَدّاً على ما افتَرَوْهُ عليهِ : هل أنا أَوَّلُ الرُّسُلِ الذينَ أُنْزِلَ عليهمْ منَ اللهِ كتابٌ حتى تستغربوا ما جئتُكُمْ بهِ ؟ لقدْ مضى قبلي رُسلٌ كثيرونَ جاءوا بالكُتُبِ ، وإنَّما أنا واحدٌ منهم وأنا بشرٌ لا أدري ما يُفْعَلُ بي ولا ما يُفْعلُ بكمْ ، وما أنا إلا متَّبِعٌ لِلوَحْيِ الذي أوحيَ إليَّ ، وما أنا إلا نذيرٌ بيِّنُ الإنذارِ ، واضحُ التّعاليمِ والرِّسالةِ .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

ثُمَّ أَخبِروني إنْ كانَ هذا الكتابُ حَقّاً منَ اللهِ وكفرتُم بهِ مَعَ ذلكَ ، وشَهِدَ عُقلاءُ بني إسرائيلَ وعُلماؤُهم على مثلِ القرآنِ منَ المعاني الموجودةِ في التوراةِ ، فآمنَ منهُمْ مَنْ آمَنَ ، واستكبرتُم عنِ الإيمانِ ، ماذا سَيَحِلُّ بِكُمْ ؟ إنَّ اللهَ لا يهدي القومَ الظالمينَ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

فما كانَ جوابَ هؤلاءِ بعدَ هذهِ المكاشَفَةِ ، إلاَّ أنْ قالوا : لو كانَ هذا القرآنُ خيراً ما سَبَقَنا إليهِ أحدٌ ، وذلك اغترارٌ منهم بأنفسهم ، وَوُثوقاً بِعُقولِهم ، وهم في ذلكَ يقيسونَ على خيرِ الدُّنْيا والأشياءِ ، فإنَّهُ لا يسبقُهُمْ إليهِ أحدٌ ، ولو كانَ القرآنُ خيراً في حسابِهم لسابقوا إليهِ ، والعيبُ في رؤيتِهم لا في القرآنِ ، وإنَّما القرآنُ هوَ الخيرُ كلُّهُ . وإذْ لم يهتدِ هؤلاءِ الكفارُ بالقرآنِ وهداهُ فسَيَنْعتونَهُ وَيَصِفُونَهُ بأنَّهُ كَذِبٌ قديمٌ ، وافتراءٌ وأساطيرُ عَنِ السّابقينَ .

دروسٌ وعِبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكفرُ يَحولُ بينَ الإنسانِ ورؤيةِ الحقائقِ .

٢ـ الكُفّارُ يَصِفونَ القرآنَ مرةً بالسِّحْرِ ، ويدَّعونَ أخرى أَنَّه كذبٌ مُفْتَرى ، ليُسَوِّغوا عَدَم إيمانِهِمْ .

٣ـ دَلَّلَ اللهُ على كَوْنِ القرآنِ مِنْ عِنْدِهِ بشهادتهِ هوَ على أنه حقٌّ ، وشهادةِ من آمنَ من علماءِ بني إسرائيلَ على صدقهِ .

٤ـ الرِّسالةُ سُنَّةٌ ماضيةٌ والرَّسولُ مُحَمَّدٌ ﷺ واحدٌ في موكبِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ .

٥ـ الرَّسولُ بَشَرٌ لا يَعْلَمُ الغيبَ ، ولا يأتي بشيءٍ من عندِهِ ، إِنَّما هُوَ مُتَّبِعٌ لما يُوْحَى إليهِ .

نشاط :

١ـ اكتبِ الآياتِ من (٤٤ـ٤٧) مِنْ سُورةِ الحاقَّةِ ، وبيِّنْ كيفَ تُثْبِتُ أَنَّ القرآنَ منْ عندِ اللهِ تعالىٰ .

٢ـ عندما بُعِثَ رسولُ اللهِ ﷺ ذهبَ كُفّارُ قريشٍ إلى علماءِ اليهودِ يسألونَهم . بيِّنْ سَبَبَ ذلكَ ، واكتُبْه في دفترِكَ .

التقويمُ :

أَجِب عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بمَ ردَّ الرَّسولُ ﷺ على منْ يَدَّعِي أَنَّهُ افْتَرى القرآنَ ؟

٢ـ ما مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿تُفِيْضُون فيه﴾ .

ب ـ ﴿ما كنتُ بِدْعاً من الرُّسل﴾ .

ج ـ ﴿لو كان خيراً ما سَبقُونا إليه﴾ .

٣ـ ضَعْ رقَمَ الآيةِ أمامَ كُلٍّ منَ الكلماتِ القرآنيةِ التي خُتِمتْ بها :

رَقَمُ الآية	الخاتمة
أ ـ	﴿إِنّ اللهَ لا يَهْدي القَوْمَ الظَالِمين﴾
ب ـ	﴿وَما أنا إلا نَذيرٌ مُبينٌ﴾ .
ج ـ	﴿هَذا سِحْرٌ مُبينٌ﴾ .
د ـ	﴿هذا إفكٌ مُبينٌ﴾ .
هـ ـ	﴿وَهُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ﴾ .

* * *

الدَّرسُ الخامسُ والثلاثونَ

سُورَةُ الأَحْقافِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

وَفِصالُهُ : وفِطامُهُ منَ الرَّضاعةِ .

أَوْزِعْني : وَفِّقْني وَأَلْهِمْني .

التفسيرُ :

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

كانتِ الآياتُ السّابقةُ تتكلّمُ عنِ القرآنِ وبدأتْ هذهِ الآياتُ بالحديثِ نفسهِ ، فهي تتكلمُ عن القرآنِ فتقولُ : إنَّ كتابَ موسى قدْ أُنْزِلَ منْ قبلِ هذا الكتابِ ، فأينَ العَجَبُ في إنزالِ الكتابِ ؟ وهذا القرآنُ مُصدِّقٌ لِمَا سَبَقَهُ ، فكلامُ اللهِ يُصَدِّقُ بعضُهُ بعضاً ولا يتناقضُ ، وهذا القرآنُ نَزَلَ بلسانِ العربِ لِيُنْذِرَ الذينَ ظلموا ويُبشِّرَ المحسنينَ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

بيّنَتِ الآياتانِ منزلةَ مَنْ جمعَ بينَ الإيمانِ والعملِ ، ومَنْزِلَةَ مَنْ جمعَ بينَ القولِ والفعلِ والاستقامةِ على منهجِ اللهِ حتى لقاءِ اللهِ ؛ هؤلاءِ لا يخافونَ إذا خافَ الناسُ ، ولا همْ يحزنونَ على ما فاتَهُمْ منَ الدُّنيا ، هؤلاءِ همْ أصحابُ الجنَّةِ خالدينَ فيها أجراً على ما كانوا يعملونَ .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ انتقلتِ الآياتُ إلى نموذجٍ عمليٍّ لهذا الإيمانِ وهذهِ الاستقامةِ ، وهُوَ التوصيةُ بالوالدَيْنِ ، بأنْ نكونَ مَعَهُمْ في غايةِ الإحسانِ ؛ فالإنسانُ حملَتْهُ أمُّهُ بالمشقَّةِ ، ووضعَتْهُ بالمشقةِ ، ومدّةُ الحملِ والفطامِ سنتانِ ونصفٌ ؛ أي ثلاثونَ شهراً ، والرعايةُ بعدَ ذلكَ مستمرةٌ حتى يبلُغَ الإنسانُ مرتبةَ الاستقلالِ ، ثُمَّ الاعتمادِ على النفسِ ، ثُمَّ يرتقي إلى بلوغِ الأشدِّ في الحكمةِ والعقلِ والجسمِ ، وهيَ سنُّ الأربعينَ ، فيطلبُ منَ اللهِ ، ويدعوهُ بأنْ يُوَفِّقَهُ إلى شكرِهِ سبحانَهُ على النِّعَمِ التي أنعَمَها عليهِ ، وعلى والديْهِ ، وأنْ يُوفِّقَهُ إلى عملِ الصالحاتِ ، وأنْ يُصلحَ لَهُ في ذُرِيَّتِهِ ، كما كانَ هُوَ ذريةً صالحةً لأبوَيْنِ صالحَيْنِ . وخُتِمَتْ هذهِ الآيةُ بإعلانِ التَّوْبةِ ، وكونِ الداعي منَ المسلمينَ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

وخُتِمَتِ المجموعةُ منَ الآياتِ بأَنَّ اللهَ يقبلُ أعمالَ هؤلاءِ ، فقالَ اللهُ : أولئكَ الذينَ يتقبَّلُ اللهُ منهمْ وعنهمْ أحسنَ أعمالِهم ، ويُعِدُّ لهمْ أحسنَ الجزاءِ ، ويتجاوزُ عن سيئاتِهم ، ويغفرُها لهمْ ، ويُدْخِلُهُم في أصحابِ الجنَّةِ . هذا وعدُ اللهِ الذي لا يُخْلَفُ ، وهوَ الذي كانَ يُوعَدُ بهِ المؤمنونَ ، ها هو يتحقَّقُ ، وها هُمْ يَرَوْنَهُ كما وَعَدَهُمْ بِهِ .

دروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كُتُبُ اللهِ يَشهدُ بعضُها لبعضٍ ، ويُصَدِّقُ بعضُها بَعْضاً ، وواجبنا الإيمانُ بها جميعاً .

٢ـ من أركانِ الإيمانِ الإيمانُ بما أنزلَ اللهُ من كتبٍ على الرّسلِ السّابقينَ .

٣ـ الجمعُ بينَ الإِيمانِ والاستقامةِ في العملِ مرتَبَةٌ عاليةٌ ، وجزاؤها عظيمٌ .

٤ـ منْ أعظمِ وصايا الدِّينِ الوصيَّةُ بالوالدينِ ، ولاسيَّما الأُمُّ ؛ لأنَّ لها فضلاً على وَلَدِها .

٥ـ شكرُ الوالدَيْنِ خُلُقٌ يُحِبُّهُ اللهُ ، وهوَ من شُكْرِ اللهِ . ومَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللهَ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّن مَعْنى كلٍّ مِمّا يأتي :

أ ـ ﴿قالوا ربُّنا اللهُ ثمَّ اسْتَقاموا﴾ .

ب ـ ﴿حَمَلَتْهُ أمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ .

ج ـ ﴿وفِصَالُه﴾ .

د ـ ﴿أَوْزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ .

٢ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ ما يطلبُهُ الإنسانُ من ربِّهِ إذا بلغَ رُشْدَهُ . اذكر هذهِ المطالبَ مُرَتَّبَةً كما جاءتْ في الآيةِ الكريمةِ .

نشاط :

اكتبْ في دفترِكَ اسمَ الكتابِ الذي أَنزَلَهُ اللهُ على موسى عليهِ السَّلامُ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ

سورةُ الأَحْقافِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

أُفٍّ : صوتٌ يَصْدُرُ عندَ الضَّجَرِ .

يَسْتَغِيثانِ : يستعينانِ وَيَدْعُوانِ .

أساطيرُ الأوّلينَ : خُرافاتُهم .

حقَّ عليهمُ القولُ : وجبَ عليهمْ ما تَوَعَّدَهُمْ بِهِ من العذابِ .

يُعْرَضُ : يُعَذَّبُ .

الهُونِ : الهوانِ والمذلَّةِ .

التفسيرُ :

﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

كُنَّا في الدَّرْسِ السّابقِ أمامَ صورةٍ جميلةٍ للمؤمنِ ، ذاكَ الذي يدعو لوالديْهِ ، وهنا يَعْرِضُ النصُّ

صورةً قبيحةً للكافرِ الذي يتأفّفُ في وجهِ والديهِ ، ويتضجَّرُ منهما ، وهما يَدْعُوانِهِ إلى الإيمانِ والخيرِ وإِنْجاءِ نفسِهِ من العذابِ ، وَهُوَ يستهزىءُ بهما ، أتعدانِني أنِّي سأُخْرَجُ من القبرِ وقدْ مَضَتِ القرونُ الكثيرةُ من قَبْلِي ولمْ يَخْرجْ منهم أحدٌ ؟

وفاتَهُ أَنَّ الخروجَ لهُ موعدٌ للجميعِ لا يتغيرُ ، والوالدانِ يستغيثانِ اللهَ ويدْعُوانِهِ ، ويَدْعُوانِ الولدَ إلى الإيمانِ بِحُرْقَةٍ بالغةٍ ، ويُنْذِرَانِهِ العذابَ الحقَّ القادمَ لا محالةَ لغيرِ المؤمنينَ ، فَيَرُدُّ عليهما بسخريةٍ : ليسَ هذا العذابُ إلاَّ خرافاتِ السابقينَ وأساطيرَ الأولين .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨ ﴾ .

هذا الفريقُ هو الذي حقَّ عليهِ وَعْدُ اللهِ أنْ يملأَ جهنَّمَ من إبليسَ ، ومِنْ كُلِّ مَنْ تَبِعَهُ مِنَ الكافرينَ منَ الأُمَمِ السّابقةِ واللاّحقةِ مِنَ الجنِّ والإنسِ ، وهذا هُوَ الخسرانُ الذي خسروهُ .

﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩ ﴾ .

ثُمَّ قرَّرَ النصُّ قاعدةَ أَنَّ لكلِّ إنسانٍ درجاتٍ بحسَبِ عملِهِ ، ولا ظُلمَ في الحسابِ ، بل يُعطى كُلُّ عاملٍ جزاءَ عَمَلِهِ وَافياً غيرَ منقوصٍ .

﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠ ﴾ .

ويومَ القيامةِ يُقالُ للكافرينَ وقدْ أُدخِلُوا النَّارَ : لقدْ ضيَّعْتُم طيباتِكُمُ التي كانَ يمكنُ أن تتمتَّعُوا بها هنا ، بدَّدتموها في الحياةِ الدّنيا على الشّهواتِ المحرَّمةِ ، فلم يبقَ لكمْ هنا إلا هذا العذابُ المهينُ ، جزاءَ استكبارِكُم في الأرضِ بغيرِ الحقِّ ، وخروجِكُم عَنْ منهجِ اللهِ ، وفطرةِ اللهِ ، وطاعةِ اللهِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكفرُ باللهِ وعقوقُ الوالدينِ منْ كبائرِ الذُّنوبِ .

٢ـ في الآياتِ صورةُ الابنِ الكافرِ والأبوينِ المؤمنَيْنِ .

٣ـ بعضُ الناسِ لا يؤمنونَ مهما حَرَصْنا على بيانِ الحقِ لهم .

٤ـ الجَنّةُ درجاتٌ ومقاماتٌ بحسَبِ إيمانِ العبادِ وأَعْمالِهم .

٥- الكفارُ ضيَّعُوا طيِّباتِهم في الحياةِ الدنيا باتِّباعِ الشهواتِ والمعاصي ، وعَدَمِ الالتزامِ بمنهجِ اللهِ ، فضيَّعوا أوقاتَهم وطاقاتِهم بغيرِ فائدةٍ ، ولم يَبْقَ لهمْ في الآخرةِ إلا النارُ جزاءً وِفاقاً على عدمِ التزامِهم .

٦- الاستكبارُ على الخَلْقِ جزاؤُهُ عندَ الخالقِ الذلُّ والهوانُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١- بيِّن معنى ما يأتي :

أ - ﴿أفٍّ﴾ .

ب - ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ .

ج - ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللهَ﴾ .

٢- كيفَ أذهبَ الكفارُ طيباتِهم في الحياةِ الدُّنيا ؟

٣- ما جزاءُ الاسْتِكبارِ ؟

نشاط :

١- اكتبْ في دفترِكَ الآياتِ من (٤٢-٤٣) مِنْ سُورَةِ هودٍ ، والتي فيها حوارُ نوحٍ عليهِ السّلامُ مَعَ ابنِهِ عندَ بدايةِ وقوعِ الطُّوفانِ .

٢- اذكر أمراً آخرَ تُرشِدُ إليهِ الآياتُ وَسَجِّلْهُ في دفترِكَ .

٣- وازنْ بينَ معاملةِ المؤمنِ لِوالدَيْهِ ومعامَلَةِ الكافرِ لِوالدَيْهِ ، واكتبْ ذلكَ في مجلّةِ الحائطِ في مدرستِكَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ

سورةُ الأَحْقافِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

أخا عادٍ : هو هودٌ عليهِ السَّلامُ .

الأحقافُ : منازلُ عادٍ باليمنِ (والحِقْفُ : التلُّ الرَمْلِيُّ) .

لتأفِكَنا : لتصرِفَنا .

عارضاً مستقبلَ أوديتِهم : معترضاً في أُفُقِ السَّماءِ مُتَّجِهاً نحوَ أوديتِهم .

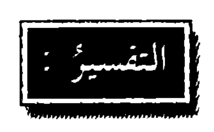
هذا عارضٌ مُمْطِرُنا : هذا سحابٌ يأتينا بالمطرِ .

تُدَمِّرُ : تُهْلِكُ .

فيما إنْ مَكَّناكُمْ فيهِ : في الذي لم يمكِّنْكُم فيهِ السَّعةَ والقوَّةَ .

فما أغنى عنهم : فما دَفَعَ عنهم .

وحاقَ بِهِم : نزلَ وأحاطَ بهم .



التفسيرُ :

هذهِ الآياتُ كلُّها في هذا الدَّرْسِ عَنْ قصَّةِ هودٍ ـ عليهِ السلامُ ـ وقومِهِ عادٍ ، ومساكِنِهم باليَمَنِ ، وإهلاكِهم لتكذيبهم رُسُلَهُم .

﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ .

تبتدِىءُ الآياتُ بأمرِ النبيِّ ﷺ بأنْ يتذكَّرَ قصةَ هودٍ ـ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ ـ وقومِهِ عادٍ ، ويذكُرَها لقومِهِ ، فقدْ أنذرَ هودٌ ـ عليهِ السّلامُ ـ قومَهُ بالأحقافِ باليمنِ ، وقدْ مرَّتْ منْ قبلِهِ رسلٌ ، وأعقبَتْهُ رسلٌ ، وكُلُّ هؤلاءِ الرُّسُلِ الكرام بلَّغوا حقيقةً واحدةً وهي : اعبدوا اللهَ وَحْدَهُ ، لا إلهَ لَكُمْ غيرُهُ ، ولا تعبدوا سواهُ ، إني أخافُ عليكُمُ العذابَ العظيمَ إنْ لم تفعلوا ذلكَ .

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

فكانَ جوابُ قومِهِ : أجئتَنَا لِتَصْرِفَنَا عن آلِهَتِنَا وعبادَتِها ، فأرسلْ علينا العذابَ الذي تهددُّنا بهِ إنْ كُنتَ منَ الصادقينَ في تهديدِكَ . لقد استعجلوا عذابَ اللهِ وعقوبَتَهُ استبعاداً منهم لوقوعِهِ ، وتكذيباً بهِ .

﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

فردَّ عليهمْ رسولُهم هودٌ عليهِ السّلامُ : إنَّ مردَّ عِلْمِ هذا العذابِ إلى اللهِ وَحْدَهُ ، وأنا مُبَلِّغٌ رسالةَ ربِّي إليكم ، ولكني أراكُمْ قوماً جاهلينَ في سُؤالِكُمُ استعجالَ العذابِ .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

واستمرَّ القومُ في كفرِهِمْ وعنادِهِم وجاءَ العذابُ الذي كذَّبوا به طويلاً ، فلمَّا رأوهُ سحاباً مُعْتَرِضاً في السَّماءِ مستقبلَ أوديتِهِم ظنُّوهُ سحاباً ماطراً فيهِ الغيثُ ، قالوا : هذا غيمٌ مُمْطِرُنا . ويَرُدُّ اللهُ عليهم : بل هُوَ العذابُ الذي استعجلتموهُ ، إنَّها ريحٌ تحملُ الهلاكَ والعذابَ الأليمَ ، هذهِ الريحُ تُهلِكُ كُلَّ شيءٍ وَتُدَمِّرُهُ منَ القواعِدِ بأمرِ اللهِ إياها أنْ تَفْعَلَ ذلكَ ، فهيَ مأمورَةٌ منهُ سبحانَهُ ، فأصبحوا لا تَرى العينُ منهم إلا بقايا المساكنِ ، وقدْ هَلَكَ الساكنونَ . . ، كذلكَ جزاءُ اللهِ للقومِ المجرمينَ المتكبرينَ عَنْ عبادتِهِ .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

ثُمَّ يُخَاطِبُ النصُّ الكريمُ العربَ أُمَّةَ النبيِّ مُحَمَّدٍ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ فيقولُ لهم : لقد أهلكتُ عاداً ، وقدْ مكَّنْتُ لهمْ مِنْ أسبابِ القوَّةِ ما لم أُمَكِّنْ لكم ، وجعلتُ لهمْ وسائلَ الهدايةِ مِنْ سمعٍ وأبصارٍ وأفئدةٍ وعقولٍ ، فما نفعتْ كُلُّ هذهِ الأشياءِ ، لأنَّهُمْ كانوا يجحدونَ بآياتِ اللهِ ، ويكفرونَ بها ، ويُنكِرُونَها ، فَنَزَلَ بِهِمُ العذابُ ، وأحاطَ بهم ما كانوا يستهزِئونَ بهِ .

دروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ في القصصِ عِبْرَةٌ لِمَنِ اعتبرَ .

٢ـ على الدُّعاةِ أن يقصُّوا أخبارَ السابقينَ من الأُمَمِ لبيانِ الحقِ .

٣ـ سببُ عذابِ اللهِ الأممَ السابقةَ كُفرُهم وشِركُهم باللهِ .

٤ـ من الرُّسلِ الذين يجبُ الإيمانُ بهم نبيُّ اللهِ هودٌ عليه السّلامَ .

٥ـ الريحُ جنديٌّ منْ جُنْدِ اللهِ أهلكَ بهِ عاداً فما أبقى منهم أحداً .

٦ـ عدمُ استخدامِ الحواسِّ التي خَلَقَها اللهُ للإنسانِ منْ أجلِ معرفةِ اللهِ والتَّفَكُّرِ في آياتِهِ هو جحودٌ وكفرٌ بهذهِ النِّعْمَةِ ، وسببٌ لعدمِ الإيمانِ .



أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الأحقافُ ؟ وأينَ تقعُ ؟

٢ـ ما اسمُ الرَّسولِ الذي أُرسلَ في الأحقافِ ؟ وما اسمُ قومِهِ الذينَ أُرسِلَ فيهم ؟

٣ـ ماذا كانتْ دعوتُهُ عليهِ السّلامُ لقومِهِ ؟ وماذا كانَ ردُّ قومِهِ ؟

٤ـ أ ـ مَا الذي رآهُ قومُهُ ؟

ب ـ ماذا حَسِبوا الذي رأَوْهُ ؟

٥ـ بِمَ أهلَكَهُمُ اللهُ ؟

٦ـ في الآيةِ تهديدٌ لقريشٍ ولمنْ يكفُرُ بالرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ . وضِّح ذلكَ مَعَ ذِكْرِ الدَّليلِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُونَ

سورةُ الأَحْقافِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

صرَّفْنا الآياتِ : كرَّرْناها بأساليبَ متنوعةٍ .
فلولا : هلاَّ .
قُرباناً : متقرَّباً بها إلى اللهِ .
إفْكُهُم : ضَلالُهُم .
صرَّفنا : وجَّهنا .
أنصِتوا : اسْكُتوا واسْمَعوا .
قُضِيَ : فرغَ من التلاوةِ .
فليسَ بمعجزٍ : لنْ يهربَ منَ اللهِ .

التفسيرُ :

هذهِ المجموعةُ من الآياتِ يمكنُ أنْ نُقَسِّمَها إلى قسمين :

أولُ آيتين تَـتحدّثانِ عَنْ سُنَّةِ اللهِ في إهلاكِ المكذِّبينَ الذينَ سَبَقوا أمةَ مُحَمَّدٍ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ ، وأنَّهُ لمْ يُنْجِهم أحدٌ منَ العذابِ ، وباقي الآياتِ بعدَ ذلكَ وهي أربعُ آياتٍ ، في قصّةِ المجموعةِ منَ الجنِّ الذين سَمِعُوا القرآنَ فآمنوا .

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

تُقَرِّرُ الآيةُ الأولى أَنَّ ما حولَ مَكَّةَ مِنَ القرى قد أَهْلَكَها اللهُ بِكُفْرِها ، ولقد جاءَ ذِكْرُهُم في القرآنِ بأساليبَ متنوعةٍ ، وتكرَّرتْ قِصَصُهُم ، لتكونَ عِبْرَةً لعلَّ منْ يَسمعُها يعتبرُ ، ويرجعُ عن ضلالِهِ وكفرِهِ ، ويؤمنُ باللهِ تعالىٰ ، ومن هذهِ القُرى قُرىٰ قومِ هودٍ وقومِ صالحٍ .

وفي الآيةِ التاليةِ بيانٌ لضعفِ آلهتِهِم التي عبدوها منْ دونِ اللهِ ، فيقولُ النصُّ الكريمُ مُتحدِّياً : لماذا لم تنصرْهُم الآلهةُ المزعومةُ التي اتَّخذوها منْ دونِ اللهِ وتقرَّبوا إليها ؟ وتُقَرِّرُ الآيةُ الكريمةُ أنَّهم بكفرِهِم ضلُّوا عنهم ، وما كانتْ آلهتُهُم إلاَّ كَذِباً وافتراءً .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

ينتقلُ السياقُ الكريمُ والنصُّ العظيمُ إلى قِصَّةِ مجموعةٍ مِنَ الجنِّ صَرَفَها اللهُ ، ووَجَّهَهَا إلى النبيِّ ﷺ ليستمعوا منهُ القرآنَ الكريمَ ، فلمَّا حضروا إليهِ ، وكانَ يتلو آياتِ اللهِ ، قالَ بعضُهُم لبعضٍ : أَنْصِتوا ، واسْتَمِعوا ، فلما فرغَ النبيُّ ﷺ منَ التلاوةِ انصرفوا إلى قومِهِمْ مُهتدين مُبَشِّرينَ مُنذِرينَ ، وفي هذا موازنةٌ بكفارِ مكةَ ؛ أنْ يا كُفَّارَ مكةَ ، هؤلاءِ الجنُّ قد أسلموا لمَّا سمعوا الذكرَ ، فما بَالُكُم أنتمْ لم تُسلِموا ، والقرآنُ بِلُغَتِكُمْ ، ومُحَمَّدٌ ﷺ منكم ؟

﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

قالَ هؤلاءِ الجنُّ الذينَ استمعوا القرآنَ : يا قومَنا ، إنَّا سمعنا كتاباً أُنزِلَ من بعدِ التوراةِ التي أنزلَها اللهُ على موسى ـ عليهِ السّلامُ ـ يُصَدِّقُ الذي سَبَقَهُ مِنَ الكُتُبِ ، ويدعو إلى الحقِّ ، ويهدي إليهِ ، ويهدي إلى الطَّريقِ القويمِ .

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

ثم طَلَبوا منهم أن يُؤمِنوا فقالوا : يا قومَنا أطيعوا دعوةَ منْ يدعوكُم إلى اللهِ ، وصدِّقوا أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عندِ اللهِ ، فإنْ فعلتُم ذلكَ يَغْفِرِ اللهُ لكمْ ذنوبَكُم ، ويَحْمِكُمْ مِنْ عذابٍ أليمٍ يومَ القيامةِ .

﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

وإنْ توليتُم وكذبتُم بهِ ولم تُجيبوهُ إلى ما يدعوكُم إليهِ فاعلموا أَنَّكُم لن تعجزوا اللهَ ، ولنْ تهربوا

منْ عذابِهِ ، وليسَ لكم أولياءُ ينصرونَكُم منْ دونِ اللهِ ، ومنْ يفعلْ ذلكَ فأولئكَ في الضَّلالِ البيِّنِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ إذا وَقَعَ عذابُ اللهِ بالكافرين فلا مردَّ لَهُ ، ولا تَنْفَعُ المُشْرِكِيْنَ آلِهَتُهُمْ .

٢ـ الرَّسولُ ﷺ مرسلٌ إلىٰ الجنِّ كما هُوَ مُرْسَلٌ إلى الإنس ، والقرآن منزلٌ إلَيْهِم .

٣ـ الجنُّ عقلاءُ يسمعونَ ويعلمونَ ، منهم المؤمنونَ ومنهم الكَافرونَ .

٤ـ مِنَ الجنِّ دعاةٌ يَدْعونَ قَوْمَهُم إلى اللهِ .

٥ـ إن الدّينَ للهِ ، فإنْ أعرضَ البشرُ قَيَّضَ اللهُ مِنَ الجنِّ مَنْ يُؤمنُ بهِ ، فإنَّ لهمْ دعاةً كما للإنسِ دعاةٌ .

٦ـ كُتُبُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعضُها بعضاً ، لأنَّها كُلَّها مِنْ عندِ اللهِ .

٧ـ إنَّ اللهَ لاَ يُعْجِزُهُ وَلاَ يَغْلِبُهُ أَحدٌ ، وَلاَ وليَّ لأحدٍ مِنْ دونِهِ .

التقويم :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ مَنِ الذينَ أرسَلَهُمُ اللهُ للاستماعِ للقرآنِ ؟

٢ـ بِمَ وصفوا القرآنَ الكريمَ ؟

٣ـ إلى ماذا دَعَوا قومَهُم ؟

٤ـ ما مَعْنى ﴿فليسَ بِمُعْجِزٍ﴾ ؟

٥ـ ما الحكمةُ من تكرارِ قصصِ الأقوامِ السابقينَ في القرآنِ ؟ أيِّدْ إجابَتَكَ بالدَّليلِ .

٦ـ ما الآيةُ الدّالّةُ على ضَعْفِ آلهةِ المشركينَ ؟

٧ـ أين استمعَ الجنُّ الذين حَدَّثَنا عَنْهُم الآياتُ إلى الرّسولِ ﷺ ؟

٨ـ الجنُّ عِنْدَهُم عِلْمٌ عن الرُّسل السّابقين والكتبِ المُنَزلَةِ ، ما الدّليل على ذلك من الآيات ؟

٩ـ إلى أيِّ شَيْءٍ دعا الجنُّ الذين استمعوا القرآن قومَهُم ؟

١٠ـ ما العلاقةُ التي تربطنا بالجنِّ المؤمنين ؟

نشاط :

اكتب أوائلَ سورةِ الجنِّ ، وبيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بينَها وبينَ هذهِ الآياتِ .

* * *

الدَّرسُ التَّاسعُ وَالثَّلاثُونَ

سورةُ الأَحْقافِ ـ القِسْمُ السّابعُ

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

معاني المُفْرداتِ :

لمْ يَعْيَ : لمْ يَتْعَبْ .

بلاغٌ : تبليغٌ .

أُولو العَزْمِ : أُولو الثَّباتِ وهم : نوحٌ ، وإبراهيمُ ، وموسى ، وعيسى ، ومُحَمَّدٌ ، عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

التفسيرُ :

هذا هوَ الدَّرْسُ الأخيرُ مِنْ سُورَةِ الأَحْقافِ بِهِ تُخْتَتَمُ المحاورةُ معَ الكافرينَ ، وإِقامةُ الحجَّةِ عليهم ، ومجازاتُهم بالنارِ ، ثم ختامٌ بتوجيهِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسّلامُ إلى الصَّبْرِ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ .

ألَمْ يتفكَّرْ هؤلاءِ الكافرونَ بعقولِهم ، ويُبصِرُوا بعيونهم ، ويعلموا أَنَّ اللهَ الذي خلقَ السَّماواتِ العظيمةَ والأرضَ التي يعيشونَ عليها ، ولمْ يُتْعِبْهُ ـ سبحانَهُ ـ خَلْقُ كُلِّ ذلكَ ولمْ يُعْجِزْهُ ، هذا الإلهُ

العظيمُ الذي خَلَقَ هذا كلَّهُ قادرٌ على أنْ يُحْيِيَ المَوْتى ؟ ويُجيبُ القرآنُ : بلى! إنه قادر لأنَّهُ ـ سبحانَهُ ـ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ مشهدٌ من مشاهدِ القيامةِ ، وعَرْضٌ للكافرينَ على النَّارِ جزاءَ كفرِهِمْ وضلالِهِمْ ، فتقولُ الآيةُ : ويومَ القيامةِ يُعْرَضُ الذين كفروا على النَّارِ ، ثُمَّ يُدْخَلُونَ فيها ، ويُقالُ لهم : أليسَ الذي تَرَوْن وتُحِسُّونَ هوَ الحقُّ الذي كُنْتُمْ بهِ تُكذِّبونَ ؟ فيجيبونَ : بلى! واللهِ ربِّنا إنَّهُ الحقُّ فيقالُ لهم : ذوقوا إذاً عذابَ النَّارِ الذي كُنتُمْ تُكَذِّبونَ بهِ وتكفرونَ بهِ .

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

خِتامُ السُّورَةِ توجيهٌ لِلرَّسولِ ﷺ بأنْ يصبرَ كما صبرَ إخوانُهُ أولو الثَّباتِ والهمّةِ العاليةِ منَ الرُّسلِ ، وألاَّ يستعجلَ عذابَ الكافرينَ ، لأنَّ اللهَ قدَّرَ كُلَّ شيءٍ ، وجَعَلَ لَهُ موعداً لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ .

وحينَ يرى الكافرونَ ذلكَ اليومَ الذي يوعدونَ يظنُّونَ أنَّهمْ لمْ يَلْبَثُوا في حياتِهم وفي قبورِهِم إلا ساعةً من نهارٍ ، فهذهِ الآلافُ الطويلةُ منَ السنينَ يَظنُّونَها ساعةً منْ نهارٍ . هذا بلاغٌ لكم ، أيُّها النَّاسُ ، وإنذارٌ ، فانتبهوا واحذروا ، فهلْ يُهْلَكُ بعدَ هذا إلا القومُ الفاسقونَ المَتمرِّدُونَ على اللهِ الخارجونَ عن طاعتِهِ ؟

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ دليلُ البعثِ والقيامةِ موجودٌ في قدرةِ اللهِ الذي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ .

٢ـ الكفارُ لا يُصَدِّقونَ إلا حينَ يَرَوْنَ النَّارَ ، ولا يَنْفَعُهُمُ الإيمانُ عندَئذٍ .

٣ـ الصبرُ مهمٌّ جدّاً في تحقيقِ النَّصْرِ .

٤ـ سُنةُ اللهِ في الخَلْقِ أَنَّ هلاكَ الكافرينَ لهُ مواعيدُ لا يُعَجِّلُها أحدٌ .

التقويمْ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أَعْطِ مِنَ الآياتِ دليلاً على قُدْرةِ اللهِ على البَعْثِ .

٢ـ بيِّن مَعْنى كلٍّ مِمّا يأتي :

أ ـ ﴿ولم يَعْيَ بخلقهنَّ﴾ .

ب ـ ﴿أولو العزمِ مِنَ الرُّسل﴾ .

ج ـ ﴿بلاغٌ﴾ .

٢ـ مَنِ الذينَ يُهلِكُهُمُ اللهُ ؟

٣ـ ماذا يقولُ الكافرونَ يومَ يُعْرَضونَ على النَّارِ ؟ وماذا يُقالُ لهمْ ؟ أيِّدْ إجابَتَكَ بالدَّليلِ .

نشاط :

اكتبْ في دَفترِكَ الآياتِ من (٧ـ١١) منْ سورةِ المُلْكِ ، وبيِّنْ وجهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وبينَ هذهِ الآياتِ .

* * *

الدَّرسُ الأَربَعونَ

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ مدنيَّةٌ ، وآياتُها ثمانٍ وثلاثونَ آيةً ، وتَرْتيبُها في المُصْحَفِ السّابعةُ والأربعونَ ، وتُسمَّى سورةَ القتالِ ؛ لأنها تناولتْ أحكامَ القتالِ والأَسْرى والغنائمِ ، وموضوعُها الجهادُ في سبيلِ اللهِ ، والصِّراعُ بينَ المؤمنينَ والكافرينَ ، وموقفُ كلٍّ من قضيَّةِ الإيمانِ ، ونهاية الصِّراع نصرُ المؤمنينَ وفوزُهُم في الدُّنيا والآخرةِ . وتحدَّثَتِ السُّورةُ بإسهابٍ عنْ صفاتِ المنافقينَ لِيَحْذَرَ النّاسُ مَكْرَهُم وخُبْثَهُم . بدأتِ السُّورةُ بإعلانِ الحربِ على الكافرينَ ، وخُتِمَتْ بالدَّعوةِ إلى الجهادِ في سبيلِ اللهِ ، وهذا هوَ طريقُ العِزَّةِ والنَّصْرِ للمؤمنينَ في الدُّنيا والآخرةِ .

معاني المُفْرداتِ :

وصدُّوا عن سبيلِ اللهِ : منعوا غيرَهُم عَنِ الإسلامِ .

أضلَّ أعمالَهُم : أبطلَ أعمالَهُمُ التي يظنّونَها صالحةً وَأَحْبَطَها ، وجَعَلَها ضائعةً لا ثوابَ لها .

كَفَّرَ عنهم سيئاتِهم	: مَحا عَنْهُم ذُنوبَهم السّابِقةَ .
بالَهم	: حالَهم في دينِهم ودُنياهُم .
أمثالَهُم	: أحوالَهم .
فَضَرْبَ الرِّقَابِ	: فاضربوا رقابَهم في الحربِ ، أي : اقْتُلوهُم .
أَثْخَنْتُموهُم	: أكْثَرْتُم فيهم القَتْلَ والجَرْحَ .
فَشُدُّوا الوَثاقَ	: أحكِموا قيدَ أسراهُم .
منًّا	: إطلاقَ الأسيرِ بغيرِ عِوَضٍ .
فداءً	: إطلاقَ الأسيرِ مقابلَ عِوَضٍ وفديةٍ .
حتىٰ تَضعَ الحربُ أوزارَها	: تنتهي الحربُ .

التفسيرُ :

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾ .

تبتدىءُ السُّورَةُ الكريمةُ بتقريرِ إحباطِ اللهِ عزَّ وجلَّ لأعمالِ الذينَ كفروا ؛ فهم لم يَكْتَفوا بِكُفْرِهِمْ ، بل مَنَعوا من يريدُ أنْ يُؤمنَ مِنَ الدُّخولِ في دينِ اللهِ ، فكانَ هذا سبباً في ضلالِ أعمالِهم .

وفي الآيةِ الثانيةِ انتقلَ إلى ما صنعَ اللهُ للمؤمنينَ الذينَ يعملونَ الصالحاتِ ، ويصدِّقونَ بمُحَمَّدٍ ﷺ وما أُنزِلَ إليهِ مِنْ قرآنٍ ، وهوَ الحقُّ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، هؤلاءِ المؤمنونَ محا اللهُ عنهم ذُنوبَهم ، وغفَرَ سيئاتِهم ، وأصلحَ لهم أحوالَهم وشؤونَهم في الدِّينِ والدُّنيا .

وفي الآيةِ الثالثةِ تعليلٌ وتبيينٌ لماذا فعلَ اللهُ بالفريقينِ ما فعلَ ؟ فأمَّا الكافرونَ فإنهم اتّبعوا الباطلَ ، وأمَّا المؤمنونَ فاتّبعوا الحقَّ المُنَزَّلَ مِنْ ربهِم ، كذلكَ يبيِّنُ اللهُ للفريقينِ أحوالَهم .

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ توجيهٌ للمؤمنينَ إذا التقَوا بالكافرينَ في الميدانِ وفي الحروبِ ، ويتمثلُ هذا التوجيهُ بما يلي :

١ـ عندَ لقاءِ الأعداءِ : أمرَ اللهُ المؤمنينَ بضربِ رِقابِ أعدائِهم ، وإِظهارِ القوَّةِ عندَ لقائِهم لإِيقاعِ أكبرِ الخسائرِ بينَ صفوفِهم .

٢ـ معاملةُ الأسرى : وإذا وقعَ في أيدي المؤمنينَ أسرى من المشركينَ فقد أمَرَهُمُ اللهُ تعالىٰ بأنْ يَشُدُّوا قَيْدَهُم ، وجَعَلَ للمؤمنينَ الخيارَ في معاملتِهم ، فإِمَّا أن يُطْلِقوا سراحَهم بعدَ انتهاءِ الحربِ لقاءَ فديةٍ من مالٍ وغيرِهِ ، وإِمَّا أنْ يمنُّوا عليهم فيطلقوهُم دونَ مقابلٍ .

وإِنَّ اللهَ تعالىٰ لو شاءَ أنْ ينصرَ المؤمنينَ ، ويَقْطَعَ دابرَ الكافرينَ ، دونَ حربٍ ، لَفَعَلَ . ولكنَّهُ أرادَ أنْ يَمْتَحِنَ بَعْضَكُم ببعضٍ ، يمتحِنُهُم بكُم ، ويَمتَحِنُكُم بهم .

فأمَّا الذين استُشهدوا في سبيلِ اللهِ مِنْكم ، وقُتِلوا في المعاركِ مَعَ الكافرينَ ، فهؤلاءِ لنْ يُضَيِّعَ اللهُ أعْمَالَهم ؛ سيهديهِم إلى منازِلِهم في الجنَّةِ ، ويُصلحُ حالَهم في مُقابلِ ما تحمَّلوا في سبيلِ اللهِ مِنْ مشاقَّ وَمِنْ قَتْلٍ ، ويدخِلُهُمُ الجِنانَ التي وَصَفها لهم ، ويُعَرِّفُهُم منازِلَهُم فيها ، كما يعرفونَ منازِلَهُم في الدُّنيا .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافرونَ أعمالُهم باطلةٌ غيرُ مقبولةٍ عندَ اللهِ ، فالإِيمانُ شرطٌ في قَبولِ الأعمالِ .

٢ـ المؤمنونَ يهديهمُ اللهُ بإيمانِهم ويُصلحُ أحوالَهم .

٣ـ اللهُ قادرٌ على تحقيقِ النَّصْرِ دُونَ نِزالٍ أو قتالٍ ، لكنَّهُ يريدُ تمحيصَ المؤمنينَ وإِذلالَ المشركينَ .

٤ـ الشُّهداءُ عندَ اللهِ أحياءٌ في أعظمِ المنازِلِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا أحبطَ اللهُ أعمالَ الكافرينَ ؟

٢ـ لماذا أصلحَ اللهُ أعمالَ المؤمنينَ ؟

٣ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿كذلكَ يضْرِبُ اللهُ للنّاسِ أمثَالَهُم﴾ .

ب ـ ﴿حتى تَضَعَ الحَربُ أوزارها﴾ .

ج ـ ﴿أضلَّ أعْمالَهم﴾ .

د ـ ﴿كفَّر عنهم سَيئاتِهم وأَصلح بَالَهُم﴾ .

هـ ـ ﴿سيهدِيْهِمْ ويُصْلِحُ بَالَهم﴾ .

٤ـ ماذا يفعلُ المؤمنونَ إذا قابلوا الكُفّارَ في الحربِ ؟

٥ـ خيَّرَ اللهُ المؤمنينَ في معاملةِ الأسرى بينَ أمرينِ . اذكُرْهما معَ الدليلِ .

٦ـ بيِّن فَضْلَ الشهداءِ كما في الآياتِ الكريمةِ .

نشاط :

اكتبْ آيةً من سورةِ (آلِ عمرانَ) تَدُلُّ على أَنَّ الشهداء أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرْزَقونَ .

* * *

الدَّرسُ الحادي والأربعون

سورةُ مُحمَّدٍ ﷺ ـ القِسْمُ الثّاني

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

فَتَعْساً لَهُمْ : فَهلاكاً لَهُمْ .

فَأَحْبَطَ أعمالَهُمْ : فأَبْطَلَها .

دَمَّرَ اللهُ عليهم : أهلكَ ما يختصُّ بهم منْ نفسٍ ومَالٍ وولدٍ .

وللكافرينَ أمثالُه : ولِكُفّارِ مَكّةَ أمثالُ تلكَ العاقبةِ ، والعذابِ المُدَمِّرِ .

مَوْلى الذينَ آمنوا : ناصرُهم .

مثوىً : مَسْكَنٌ ومَأْوَى .

وكأيِّنْ منْ قريةٍ : وكثيرةٌ هيَ القُرى .



التفسيرُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ﴾ .

تبتدىءُ آياتُ الدَّرْسِ بنداءٍ للمؤمنينَ لتقولَ لهم : إِنَّهم إِنْ ينصروا اللهَ يَنْصُرْهُم ، ويُثَبِّتْ أقدامَهُم أمامَ عدوِّهم ، وأما الذينَ كفروا فهلاكاً لهم ، وإِضلالاً لأعمالِهم ، وذلكَ لأنَّهم كَرِهوا القرآنَ الذي أَنْزَلَهُ اللهُ فأَبْطَلَ أعمالَهم .

﴿ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ ﴾ .

في الآيةِ استفهامٌ مُوَجَّهٌ للكافرينَ يحثُّهُم على النَّظَرِ والسَّيْرِ في الأرضِ ليَرَوْا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ كفروا من قبلِهِم ، لقدْ أهلكَ اللهُ كُلَّ ما يَخُصُّهُم مِنْ أنفسِهم وأموالِهم وأولادِهم . والكافرونَ ينتظرُهُم منَ اللهِ المصيرُ نفسُهُ ، وذلكَ لأنَّ اللهَ مولى الذينَ آمنوا وناصرُهم ، وأما الكافرونَ فلا ناصرَ لهمْ مِنَ اللهِ ولا مولى لهم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ .

تُقَرِّرُ الآيةُ أَنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ جناتٍ تَجري من تحتِها الأنهارُ ، وأمَّا الكافرونَ فإِنَّهم في هذهِ الدُّنْيا يتمتَّعُونَ ويأكلونَ كما تأكلُ الأنعامُ ، والنّارُ هيَ مأواهُم ومصيرُهم في الآخرةِ ، جزاءَ كفرِهم وإِعراضِهم .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ ﴾ .

تبينُ الآيةُ أَنَّ الله تعالىٰ أهلكَ قرىً كثيرةً أشدَّ قوةً منْ قريتِكَ مكّةَ التي أخرجتْكَ أيُّها النبيُّ ، فلمْ يَنْصُرْ أولئكَ الذينَ أَهْلَكْتُهُم أحدٌ ، وفي هذا تهديدٌ لكفّارِ مكةَ الذين تآمروا على رسولِهم ﷺ وأخرجوهُ .

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾ .

يسألُ المولى سُبْحانَهُ : هلْ مَنْ كانَ على نورٍ وهدًى منْ ربِّهِ كالذي يَرى عَمَلَهُ السَّيِّىءَ حسناً مِنْ

شِدَّةِ عماهُ وضَلالِهِ ، ومع كلِّ ذلكَ اتبعوا أهواءَهم بَدَلَ شَرْعِ اللهِ ؟ هل يستويانِ ؟ والجوابُ بالقطعِ : لا .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ قانونُ اللهِ أَنَّ منْ نَصَرَ اللهَ نَصَرَهُ اللهُ .

٢ـ الكافرونَ سيُهْلِكُهُمُ اللهُ ، ويُبْطِلُ أعْمَالَهُمْ .

٣ـ قانونُ اللهِ في الأممِ متواصلٌ ومستمرٌ ؛ فالنَّصرُ لمنْ آمنَ ، والهلاكُ لمنْ كَفَرَ .

٤ـ الكافرونَ كالأنعامِ لا يَعْرِفونَ إلا التَّمَتُّعَ وأكلَ الطعامِ، ونَسُوا المصيرَ الذي ينتظرُهُم في الآخِرَةِ.

٥ـ لا يستوي مَنْ كانتْ أفكارُهُ واضحةً بيِّنةً ، ومنْ كانَ لا يَميزُ بينَ الحسنِ والقبيحِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سُنَّةُ الله في النّصر والهَزيمةِ ؟

٢ـ ما النصُّ الذي يُشيرُ إلى أَنَّ قانونَ اللهِ مستمرٌ ؟

٣ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿دمَّر اللهُ عليهم﴾ .

ب ـ ﴿وكأيِّن من قريةٍ هي أشدُّ قوةً من قريتِكَ التي أخرجَتْكَ﴾ .

٤ـ شَبَّهَ اللهُ تعالىٰ الكافرينَ بالأنعامِ ، ما وَجْهُ الشَّبهِ بينَهم ؟

نشاط :

١ـ الجزاءُ منْ جِنْسِ العملِ . وضِّح ذلكَ منْ خلالِ فَهْمِكَ للآياتِ واكْتُبْهُ في دفترِكَ .

٢ـ في هذهِ الآيةِ مواساةٌ وتسليةٌ للرسولِ ﷺ . وضِّحْ ذلكَ واكتبْهُ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والأربعونَ

سورةُ مُحمَّدٍ ﷺ ـ القِسْمُ الثّالثُ

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

معاني المُفْرداتِ :

مَثَلُ الجنَّةِ	: صِفَةُ الجنَّة .
غَيْرِ آسنٍ	: غير مُتغيِّرِ الطَّعْمِ والرِّيحِ .
مُصَفًّى	: خالصٍ مِمّا يخالِطُهُ .
ماءً حميماً	: ماءً شديدَ الحرارة .
ماذا قالَ آنفاً	: ماذا قالَ قبلَ قليلٍ .
طَبَعَ اللهُ على قلوبِهم	: خَتَمَ اللهُ على قلوبهم .
وآتاهم تقواهم	: أعانَهم على تقواهُم ، وأعطاهُم جزاءَها .
فهل يَنْظرونَ	: فهل ينتظرونَ .
أشراطُها	: علاماتُها .
فأنّى لهم إذا جاءتْهم ذِكراهُم	: فكيفَ لهمُ التذكُّرُ إذا جاءتِ السّاعةُ بغتةً .
مُتقَلَّبَكُمْ ومثواكُمْ	: انْتِقالَكُم واسْتِقرارَكُمْ .



التفسيرُ :

﴿ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ .

تبتدىءُ آياتُ هذا الدَّرْسِ ببيانِ صفةِ الجنَّةِ التي جعلها اللهُ جزاءً للمتّقين ، هذه الجنّةُ فيها أنهارٌ مياهُها جاريةٌ غيرُ ساكِنَةٍ ، وهيَ متجدِّدَةٌ دائماً مِمّا يُبقي على طعمِها العذبِ دونَ تغيُّرٍ ، وفيها أنهارٌ من لبنٍ حلوِ المذاقِ لم يتغيَّرْ طعمُهُ ، ولم يَفْسُد ، وفيها أنهارٌ من خَمْرٍ خالصٍ مِنْ كلِّ عيوبِ خمرِ الدُّنيا ، فلا إسكارَ فيها ولا مضارَّ ، وفي الجنّةِ كذلكَ أنهارٌ من عَسَلٍ خالصٍ مِنَ الشّوائبِ . وإلى جانبِ هذهِ الأنهارِ من أنواعِ الشُّربِ لهم فيها مِنْ كلِّ الثمراتِ والفواكهِ ، وقد غَفَرَ اللهُ لهمْ كلَّ ذنوبِهم ، ومحا عنهُم خطاياهُم ، فهلْ هؤلاءِ في تَنَعُّمِهم كمنْ كانَ جزاؤُهم النارَ مُخّلدينَ فيها ؟ وشرابُهم ماءٌ حميمٌ عالي الحرارةِ جِدّاً بحيثُ يُقَطِّعُ أمعاءَ الشاربينَ لشدّةِ حرارتِهِ ، هل يستوون ؟ لا .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ .

تتكلَّمُ الآيةُ عَنْ فريقٍ من الكُفّارِ كانَ يستمعُ منَ النبيِّ ﷺ القرآنَ ، فإذا غادروا مَجْلِسَ النبيِّ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ سألَ بعضُهُم بعضاً باستهزاءٍ : ماذا كانَ يقولُ قبلَ قليلٍ ؟ ويردُّ اللهُ عليهِم بأَنَّهُم الذينَ خَتَمَ اللهُ على قلوبِهم ؛ فلا يصلُ إليها الهدُى من جرّاءِ كفرِهم ؛ وسببُ ذلكَ أَنَّهمُ اتّبعوا أهواءَهُم . أمّا المؤمنونَ الذينَ اهتدَوا فإنَّ اللهَ زادَهُم هدىً ، وأعطاهُم مزيداً من التَّقوى ، وجزاهُم على تقواهُم خيراً .

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ .

ماذا ينتظرُ هؤلاءِ الكافرونَ بإصرارِهم على كفرِهم ؟ هل ينتظرونَ إلاّ أن تأتيَهُمُ الساعةُ فجأةً ، فإنَّ علاماتِها قد مضتْ ، وبقيَ مجيئُها المفاجىءُ على حينِ غِرّةٍ ؟ فكيفَ لهم إذا جاءتْ على هذهِ الصِّفةِ والحالِ أن يتذكروا ؟ إنهم سَيُذْهَلونَ لهولِ السّاعةِ ولا يتذكّرون .

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وخُتِمَتْ آياتُ هذا الدَّرْسِ بأمرٍ للنبيِّ ﷺ ولكلِّ مؤمنٍ مسلمٍ بَعْدَهُ أنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لا إِلهَ إلا اللهُ ، وأنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ مِنْ ذنوبِهِ لِيمحُوَ اللهُ عنْهُ هذهِ الذنوبَ ، وأنْ يطلبَ المغفرةَ لإخوانِهِ من المؤمنينَ والمؤمناتِ ، واللهُ عزَّ وجلَّ يعلمُ تَقَلُّبَ أحوالِكُم وحركاتِكم ، ويعلمُ مُستقرَّكُمْ ومَثْواكُم .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ نعيمُ الآخرةِ نعيمٌ حقيقي ، وليس خيالياً كما يزعم الضّالوّنَ .

٢ـ المؤمنونَ يَتَمتّعونَ في الجنَّةِ بما أعدَّهُ اللهُ لهم من نعيمٍ ، والكافرونَ يُعذَّبُونَ في النَّارِ بأنواعِ العذابِ الشديدِ .

٣ـ الكافرونَ قَضَوا أعمارَهم في الاستخفافِ بالدَّعْوَةِ والاستهزاءِ ، فطَبَعَ اللهُ على قلوبِهم فهمْ لا يؤمنونَ .

٤ـ أمرنا اللهُ بالعلمِ بتوحيدهِ ، وعبادته وحدهُ لا شريكَ لهُ .

٥ـ السّاعةُ لا تأتي إلا بغتةً ، لكنْ لها علاماتٌ ودلائلُ كما أرادَ اللهُ تعالىٰ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عدِّدْ بعضَ ألوانِ نعيمِ الجنَّةِ .

٢ـ ما صفةُ كُلٍّ من الأنهارِ التاليةِ التي في الجنَّةِ :

أ ـ أنهارٌ منْ ماءٍ .

ب ـ أنهارٌ منْ لبنٍ .

ج ـ أنهارٌ منْ خمرٍ .

د ـ أنهارٌ منْ عَسَلٍ .

٣ـ ماذا أعدَّ اللهُ للكفَّارِ في النَّارِ ؟

٤ـ ما مَعْنى « أشراطِ السّاعةِ » ؟ واذْكُرْ ثلاثةً مِنْها .

٥ـ لماذا طبعَ اللهُ على قلوبِ الكفَّارِ ؟

٦ـ ماذا رتَّبَ اللهُ وأعدَّ لِمَنْ اهْتَدى ؟

٧ـ جاء في الآيةِ الأخيرةِ عِلْمٌ وأَمْرٌ . بيِّنْ ذلكَ معَ ذكرِ الدَّليلِ .

نشاط :

١ـ اذكر ثلاثَ عَلاماتٍ مِنْ عَلاماتِ السّاعةِ ، واكتبْها في دفترِكَ .

٢ـ اكتب آخِرَ آيةٍ من سورةِ (نوحٍ) وبيِّنْ وجهَ الشَّبهِ بينها وبينَ هذهِ الآيةِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعونَ

سورةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ـ القِسْمُ الرّابعُ

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ : سورةٌ أحكامُها ثابتةٌ غيرُ منسوخةٍ .

المغشيِّ عليهِ من الموتِ : المحتَضَرِ الذي يكونُ في حالةِ الفزعِ .

فأولى لهم : أجدرُ بهم .

عَزَمَ الأمرُ : جَدَّ الجِدُّ ووقعَ الجهادُ .

توليتُم : خرجتُم عن طريقِ الدِّينِ ، وابتعدتُم عنه .

الأقفال : ما تُغلقُ بهِ الأبوابُ .

يتدَبَّرونَ : يقرؤونَ ويتفكرونَ .

الأقفال : ما تُغلقُ بهِ الأبوابُ .

ارتدّوا على أدبارِهم : رَجَعوا إلى الكُفْرِ .

سوَّلَ لهم : زيَّنَ لهم .

أَمْلى لهم : مدَّ لهم في الأمانيِّ والآمالِ .

إسرارَهم : ما يُخْفونَهُ منَ القولِ .

التفسيرُ :

في هذهِ المَجْمُوعَةِ منَ الآياتِ في هذا الدَّرْسِ ، بيانٌ لموقفِ المُؤمنينَ ومَوْقِفِ المُنَافِقِيْنَ منْ قضيَّةِ الطَّاعةِ للرسولِ ﷺ والجهادِ مَعَهُ .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

فأمَّا الذينَ آمنوا فيطلبونَ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ أن تنزَّلَ عليهِم سورةٌ محكمةٌ ثابتةٌ واضحةٌ لا نسخَ في أحكامِها ، تُبَيِّنُ مُرادَ اللهِ في القتالِ على نحوٍ قاطعٍ ، فإذا أنزل الله سُورَةً وَأَمَرَ فيها بِالْقِتالِ رأيتَ مرضى القلوبِ منَ المنافقينَ ينظرونَ إليكَ ، وقَدْ ملأَ قلوبَهُمُ الرّعبُ والخوفُ ، وشَخَصَتْ أبصارُهُم كنظرِ المُحْتَضَرِ الذي حَضَرَتْهُ المنيَّةُ والوفاةُ . فهوَ لا يَطْرِفُ بصرَهُ منَ الهولِ ، وهذا يدلُّ على شدَّةِ كراهِيَّتِهم للقتالِ .

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ .

كان الأولى والأجدر بهؤلاء أن يلتزموا طاعةَ الرّسولِ ﷺ وأنْ يقولوا القولَ الحسنَ المعروفَ ، فإذا جَدَّ الجِدُّ ، ونادى منادي الجهادِ لبّوا ؛ لأنَّهم إن صدقوا اللهَ فسيكونُ ذلكَ خيراً لَهُم في الحالِ والمآلِ ، في العاجلِ والآجلِ .

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

أفلا يخشى هؤلاءِ المنافقونَ أَنَّهم بتولِّيهِم عن دينِهم وتخلِّيهم عنِ الجهادِ أن يتسبّبوا في وقوعِ الفسادِ في الأرضِ ؛ فالكفرُ فسادٌ وإفسادٌ ، وهو يؤدِّي إلى قطيعة الأرحام ووقوع الكوارثِ ، وإنَّ المُعرِضِيْنَ عن طاعةِ اللهِ ورَسُولِهِ ، التَّاركين للجِهاد همُ الذين طردَهُمُ اللهُ من رحمته ، وضربَ على آذانهم وعيونهم فهم لا يُبْصِرون ولا يَسْمعون .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

أفلا يقرأُ هؤلاءِ المنافقونَ القرآن بتدبُّرٍ وإعمالِ فكرٍ ، أم أَنَّ قلوبَهم عليها أقفالٌ فلا تَعْقِلُ ولا تَعِي ؟

وتقرّرُ الآيةُ التاليةُ أَنَّ الذينَ يرتدّونَ عن دينِهم ، ويعودونَ إلى الكفر من بعدِ ما اتّضَحَ الهُدى وظهرَ ، هؤلاءِ زيَّنَ لهم الشيطانُ ارتدادَهُم ، ومدَّ لهم أسبابَ الغوايةِ والضّلالِ . وسبَبُ ذلكَ كُلِّهِ أَنَّهم قالوا للكفارِ الكارهينَ للقرآنِ الذي أنزَلَهُ اللهُ ـ وهمُ اليهودُ ـ سنطيعُكُم في بعضِ الأمرِ فيما يَتعلّقُ بالجهادِ ، أي أَنَّنا لنْ نُجاهِدَ مع الرَّسولِ مُحَمَّدٍ ﷺ رعايةً لكم ، وطاعةً منَّا لكم ، واللهُ يعلمُ إسرارَهُم ؛ أي ما يدورُ في الخفاءِ والسرِّ بينَ هؤلاءِ المنافقينَ وهؤلاءِ اليهودِ من أقوالٍ واتفاقاتٍ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المؤمنُ حريصٌ على طاعةِ ربِّهِ ومعرفةِ أحكامِهِ .

٢ـ أمرُ اللهِ ثقيلٌ على نفوسِ المنافقينَ .

٣ـ الجهادُ يَكْشِفُ أصحابَ النّفوسِ الضعيفةِ منَ المنافقينَ .

٤ـ تركُ أمرِ اللهِ فيهِ الفسادُ وتقطيعُ الأرحامِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ كيفَ يكونُ حالُ المنافقينَ إذا نزلتْ سورةٌ فيها القتالُ ؟

٢ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿عَزَمَ الأمر﴾ .

ب ـ ﴿أفلا يتدّبروَن القُرْآن﴾ .

ج ـ ﴿ارتدّوا على أَدْبارِهم﴾ .

٣ـ ماذا يترتَّبُ عَلى تركِ أحكامِ اللهِ والجهادِ ؟

٤ـ ما النتيجةُ المترتِّبَةُ على كلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ فلو صَدَقوا اللهَ. . . .

ب ـ فهل عَسَيْتُم إِنْ تولَّيتُم. . . .

ج ـ أولئكَ الذينَ لَعَنهُمُ اللهُ. . . .

* * *

الدرس الرابع والأربعون

سورةُ محمّدٍ ﷺ - القِسْمُ الخامِسُ

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾

معاني المفردات :

أضغانَهم : أحقادَهم .

فلتعرفنَّهُم بسيماهُم : تعرفُهُم بعلاماتٍ تميِّزُهُم من غيرِهم .

لَحْنِ القَولِ : أسلوبِ من أساليبهِم غيرِ الصَّحيحةِ في الكلامِ .

وَلَنَبْلُوَنَّكُم : وَلَنَخْتَبِرَنَّكُمْ بالجهادِ ونحوهِ مِنَ التكاليفِ الشرعيةِ .

وَنَبْلُوَ أخبارَكُمْ : نُظْهِرَها ونَكْشِفَها .

وَشَاقُّوا الرَّسولَ : خالفوهُ واتَّبَعُوا غيرَه .

التفسير :

هذهِ المجموعةُ من الآياتِ كلُّها في المنافقينَ ووسائلِ كَشْفِهم للمسلمينَ .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

تسألُ الآيةُ الأولى عنْ هؤلاءِ المرتدينَ : كيفَ إذا تَوَفَّتْهُمُ الملائكةُ ، وهيَ تضرِبُ وجوهَهُم بعنفٍ ، وتَضْرِبُ ظهورَهُم وأدبارَهُم ، وسببُ ذلكَ أَنَّهمُ اتّبعوا في حياتِهم كُلَّ الذي يُسْخِطُ اللهَ وَيُغْضِبُهُ ، وكَرِهوا رضوانَهُ فأبطلَ اللهُ أعمالَهُم .

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

هلْ ظنَّ هؤلاءِ المنافقونَ الذينَ في قلوبِهم مرضٌ أنْ لنْ يَكشِفَ اللهُ أحقادَهُم على الإسلام والمسلمينَ ؟ ولو نشاءُ أيُّها النبيُّ ، لعرَّفْنَاكَ بهم منْ خلالِ علاماتٍ وسماتٍ يتميَّزون بها . ولكنَّا تركناكَ لتعرفهم وَحْدَكَ منْ خلالِ أساليبِهِمُ الملتويةِ في الكلام ، وكانَ المنافقونَ يخاطِبونَ الرَّسولَ ﷺ بكلامٍ ظاهرهُ حَسَنٌ وباطِنُهُ قَبيحٌ ، ويتَّفقونَ بينَهم على هذهِ الأساليبِ الملتويةِ غيرِ الصَّحيحةِ . واللهُ لا يَخْفى عَلَيْهِ شيءٌ من أعمالِكم ، فَيُجازِيكم عَلَيْها .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ .

يقسم الحقُّ ـ تبارك وتعالى ـ أنه سَيَخْتَبِرُنا حتى يُظْهِرَ الذينَ يُجاهِدُونَ في اللهِ يُريدونَ وَجْهَهُ ، ويُظْهِرَ الذينَ يَصْبِرُون ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ ، ويُظْهِرَ من خِلالِ التّكاليفِ الشَّرعِيَّة أسرارَ العبادِ وَدَخائِلَهم .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

وتُخْتَمُ هذهِ المجموعةُ من الآياتِ بتقريرِ أَنَّ الذينَ كفروا ومَنعوا غيرَهُم منَ الدُّخولِ في دينِ اللهِ ، وعادَوا الرسولَ ﷺ وخالَفوهُ ، منْ يهودٍ وحلفاءَ لهمْ منْ بعدِ ما ظهرَ لهمُ الهدى واستبانَ ، هؤلاءِ لن يضرُّوا اللهَ شيئاً ، وسَيُبْطِلُ أعمالَهم ؛ فتصبحُ لا وزنَ لها ، ولا يُؤْجَرونَ عليها يومَ القيامةِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الملائكةُ يَقْبِضُونَ أرواحَ الكافرينَ والمنافقينَ ، وهمْ يَضرِبونَهم بعنفٍ .

٢ـ اللهُ يُحاسِبُ النَّاسَ بأعمالِهمُ التي تَصْدُرُ عنهم ، وبذلكَ يُقيمُ الحُجَّةَ عَلَيْهِم .

٣ـ لم يُخْبِرِ اللهُ تعالىٰ رسولَهُ ﷺ عنِ المنافقينَ بأسمائِهم ؛ لِيَجْتَهِدَ المسلمونَ في معرفتِهم بِجُهْدِهِم وذكائِهم منْ خلالِ علاماتٍ يُعْرَفُونَ بها ، وتَصرُّفاتٍ تَصْدُرُ عنهم .

٤ـ لابُدَّ من امتحانٍ يُمَحَّصُ بِهِ الناسُ ، وتُعْرَفُ بِهِ أقدارُ الرِّجالِ .

٥ـ المرادُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿حتّى نعلمَ المجَاهِدِين﴾ عِلْمُ الظُّهورِ ، وإلاّ فإنَّ اللهَ يعلمُ أفعالَ العبادِ قبلَ صُدورِها مِنْهُم .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ كيفَ تَتوفىّ الملائكةُ الكافرينَ ؟

٢ـ كيف يَعرِفُ المسلمونَ المنافقينَ ؟

٣ـ لماذا كانَ الابتلاءُ أمراً ضرورياً لابُدَّ مِنْهُ ؟

٤ـ بيِّن مَعْنى قوله تعالىٰ :

أ ـ ﴿شاقّوا الرَّسُولَ﴾ .

ب ـ ﴿وَنَبْلُوَا أخباركم﴾ .

٥ـ يُعرفُ المنافقونَ في لَحْنِ القولِ . كيفَ يكونُ ذلكَ ؟

* * *

الدَّرسُ الخامسُ والأربعونَ

سُورةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

فلا تَهِنُوا	: فلا تَضْعُفوا .
وتَدْعُوا إلى السَّلْم	: ولا تَدْعُوهم إلى السَّلامِ والمُصالَحةِ عجزاً عنِ المواجهةِ .
ولنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ	: ولنْ يَنْقُصَكُم أجورَ أعمالِكم .
فَيُحْفِكُمْ	: فيشقَّ عليكم في الطَّلبِ .
ويخرجْ أضْغَانَكُم	: يظهرْ أحقادَكم .

التفسيرُ :

هذهِ المجموعةُ مِنَ الآياتِ توجيهاتٌ للمؤمنينَ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

تبتدىءُ بنداءٍ للمؤمنينَ بطاعةِ اللهِ ، وطاعةِ رسولهِ ﷺ ، وألاّ يُبطلوا أعمالَهم بعصيانِ اللهِ

وعصيانِ رسولهِ ، فإنَّ المعصيةَ قد تحبطُ الأعمالَ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

تبيِّنُ هذهِ الآيةُ أَنَّ الذينَ يكفرونَ ، ويصدُّونَ عن سبيلِ اللهِ ، ويعترِضونَ طريقَ دعوةِ اللهِ ، ويموتونَ على ذلكَ الكفرِ ، فلنْ يَغْفِرَ اللهُ لهم .

﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

عودةٌ إلى توجيهِ المؤمنينَ بألا يضعُفوا ويَدعوا إلى مسالمةِ عدوِّهم وصُلْحِهِ دعوةً ناشئةً عنِ الضَّعفِ ، حتى لا يَفْرِضَ العدوُّ شروطَهُ على المسلمينَ فَيُذِلَّهم ؛ لأنَّ المؤمنينَ همُ الأَعْلَوْنَ دائماً في كلِّ شيءٍ ، ولأنَّ اللهَ معَ المؤمنينَ بتأييدِهِ ونُصْرَتِهِ وتوفيقِهِ ، ولنْ يُنْقِصَهُمْ أجورَ أعمالِهم .

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ هذهِ الآيةُ قيمةَ الحياةِ الدُّنيا مَقيسةً بالآخرةِ ، فهيَ لا قيمةَ لها ، وإنَّ المتمسّكينَ بها على حسابِ الآخرةِ خاسرونَ ، فما الدُّنْيا إلا لعبٌ ولهوٌ وباطلٌ وغرورٌ ، لا ثباتَ لها ولا اعتدادَ بها ، فكيفَ تَحولُ بينَ المؤمنِ والآخرةِ ، وتمنعُهُ منَ السَّعْيِ في طلبِ الآخرةِ ؟ وتُبيِّنُ الآيةُ للمؤمنينَ أَنَّكُم إنْ آمنتُم باللهِ واتقيتُمُ اللهَ فإنَّهُ سيعطيكُم جزاءَ أجورِكُم ، ولا يأخذُ منكُمْ أموالَكم .

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ .

يُبكِّتُ اللهُ الَّذينَ يَتقاعَسُونَ عَنِ الإنْفاقِ في سَبيلِهِ وَيَقولُ لَهُمْ : ها أنتم تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقوا الشَّيءَ اليسيرَ منْ أموالِكُم ، ومَعَ هذا فإنَّ منكُمْ مَنْ يبخلُ ، والذي يبخلُ مِنْكُم إنَّما يبخلُ على نَفْسِهِ ، ويُقَصِّرُ عن مصلحةِ نفسِهِ ، لأنَّ الإنفاقَ سبيلٌ إلى مرضاةِ اللهِ وجنتِهِ ، وهذِهِ مصلحةٌ لِلمُنْفِقِ ، واللهُ تعالىٰ هوَ الغنيُّ الذي لا يحتاجُ إلى نَفَقَتِكُم ، ولكنَّهُ يَخْتَبِرُكُم ، وأنتمُ الفقراءُ المحتاجونَ إلى اللهِ ، وإنْ تَتَولَّوْا بعدَ ذلكَ فإنَّهُ سيأتي بقومٍ بَدَلَكُم ولا يكونوا على صفاتِكم .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ طاعةُ اللهِ وطاعةُ رسولِهِ ﷺ أهمُّ مطالبِ الدِّينِ .

٢ـ الكفرُ باللهِ يحبطُ أعمالَ العبادِ ويُبْطِلُها .

٣ـ لا يغفرُ اللهُ لمن ماتَ كافراً ، بل هو خالدٌ مخلّدٌ في النَّارِ .

٤ـ بيانُ حقيقةِ الدّنيا وأنَّها زائلةٌ فانيةٌ .

٥ـ تهديدُ المسلمينَ الذينَ يتهاونُونَ عن نُصْرَةِ دِينِ اللهِ بأنَّهُ يأتي بقومٍ غيرِهم يَنْصُرُونَ هذا الدِّينَ .

٦ـ اللهُ مَعَ المؤمنينَ بنصرِهِ وتأييدِهِ ، وهُوَ يدعوهم إلى عَدَمِ الدَّعْوةِ إلى السَّلامِ مَعَ الأعداءِ عنْ ضعفٍ وَوَهنٍ .

٧ـ مِنْ رحمةِ اللهِ أنَّهُ طلبَ منَّا إنفاقَ اليسيرِ منْ أموالِنا ؛ فالذي يَبْخَلُ إنَّما بُخْلُهُ يعودُ على نفسِهِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّن مَعْنى كُلٍّ مِمّا يأتي :

أ ـ ﴿ولا تبطِلُوا أعمالَكم﴾ .

ب ـ ﴿إن يسألكمُوها فَيُحْفِكُم تبخلوا﴾ .

ج ـ ﴿ثُمَّ لا يَكونوا أَمْثالَكم﴾ .

٢ـ متى تكونُ دعوةُ المسلمينَ الكفارَ إلى السّلامِ ذلَّةً وهواناً ؟

٣ـ ما الذَّنْبُ الذي لا يغفرُ اللهُ لصاحبِهِ ؟

٤ـ لماذا وصفَ اللهُ الدُّنْيا باللّعِبِ واللَّهْوِ ؟

٥ـ اذكر ما يفعلهُ الله بالمسلمينَ إن هم تركوا نصرةَ دينهِ ؟ وما الآيةُ الدالةُ على ذلكَ ؟

نشاط :

اكتبْ حديثاً شريفاً يُبَيِّنُ فضلَ الصَّدَقَةِ .

* * *



الجـــزء الثاني

مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ – نهاية سُورَةِ الحَدِيدِ

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الدرس الأول

سُورَةُ الْفَتْحِ - الْقِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

تعريف بالسّورة :

سُورَةُ الفَتْحِ مدنيَّةٌ ، وآياتُها تسعٌ وعشرونَ آيةً ، وترتيبُها في المُصحَفِ الثامنةُ والأربعونَ ، وهيَ سُورَةٌ تتحدّثُ عنْ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ ، وبَيْعَةِ المؤمنينَ للنبيِّ ﷺ تحتَ شَجَرَةِ الرِّضْوانِ ، على الجهادِ في سبيلِ اللهِ .

وَتَتَحَدَّثُ عَنْ تخاذُلِ المنافقينَ ، وصدِّ كفّارِ مَكَّةَ رسولَ اللهِ ﷺ والمؤمنينَ عَنِ الحَرَمِ ، وعنْ مُستقبلِ هذهِ الأُمَّةِ وظهورِها على أعدائِها .

وفضلُ هذهِ السُّورَةِ أَنَّها نزَلَتْ على النَّبيِّ ﷺ وهُوَ عائِدٌ مِنْ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ في الطَّريقِ بينَ مكَّةَ والمدينةِ ، فَقَرَأَها النَّبيُّ ﷺ على النّاسِ ، وهوَ على راحلتِهِ (أي على ظهرِ جَمَلِهِ أو ناقتِهِ) وقالَ :

« لقدْ أُنْزِلَتْ عليَّ الليلةَ سورةٌ أحبُّ إليَّ مِنَ الدُّنيا وما فيها » (رواهُ البخاريُّ) . وَسُمِّيتْ سُورَةَ الفتحِ ، لأنَّ اللهَ تعالىٰ بَشَّرَ المؤمنينَ بالفتحِ بهذا الصُّلْحِ الذي كانَ بدايةً لفتحِ مَكَّةَ ، الفتحِ الأعظمِ .

وقصَّةُ هذا الصُّلْحِ الذي من أجْلِهِ نزلَتْ هذهِ السُّورَةُ أَنَّ النبيَّ الكريمَ ﷺ خرَجَ مَعَ أَصْحابِهِ في

السَّنَةِ السادِسَةِ مِنَ الهجرةِ ، لِيؤدُّوا العُمْرَةَ ، فَمَنَعَتْهُم قُرَيشٌ مِنْ دُخولِ مَكَّةَ معتمرينَ في مكانٍ يُقالُ لهُ الحُدَيْبِيَةُ ، وانتهى الأمرُ بأنْ طلبَ المشركونَ مِنَ الرسولِ ﷺ الموادعةَ والصُّلْحَ والسَّلامَ ، وتمَّ التوقيعُ على شُروطٍ كانتْ في الظَّاهِرِ مُجْحِفَةً بالمسلمينَ ، ولكنَّها في الواقعِ خيرٌ لهمْ وفتحٌ عظيمٌ .

معاني المُفْرداتِ :

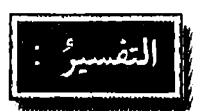
فتحاً مبيناً : نصراً ظاهراً في صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ .

أنزلَ السَّكينةَ : أوجَدَ الطُّمأنينةَ والثباتَ .

يُكَفِّرَ عنهم سيئاتِهم : يَمْحُوَ ذُنوبَهم .

ظَنَّ السَّوْءِ : الظنَّ الفاسِدَ بألاّ ينصرَ اللهُ المؤمنينَ .

عليهم دائرةُ السَّوْءِ : يحيقُ بِهم ، ويرجِعُ عليهم ما ظنُّوهُ وتمنَّوْهُ للمؤمنينَ .



التفسيرُ :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ تعالىٰ في الآيةِ الأولى أنَّ صُلحَ الحديبيةِ كانَ فتحاً فتحَهُ اللهُ على النبيِّ ﷺ وأُمَّتِهِ ، ثُمَّ جَمَعَ النصُّ الكريمُ في الآيةِ الثانيةِ خيرَ الآخرةِ إلى خيرِ الدنيا لهذا النبيِّ ﷺ ؛ إذْ أخبرَهُ أنَّ اللهَ غفرَ لَهُ ما سبقَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا لَحِقَ ؛ لأجلِ أنْ يُتِمَّ اللهُ الفضلَ والنِّعْمةَ على هذا النبيِّ الكريمِ ، ويُوَفِّقَهُ إلى الهُدى والصِّراطِ المستقيمِ ، ويُحَقِّقَ لَهُ النصرَ العظيمَ والعزيزَ بهذا الصُّلْحِ الذي كانَ مقدِّمةً لِفَتْحِ مَكَّةَ ؛ الفتحِ الأعظمِ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ تعالىٰ عَنْ نفسِهِ في هذهِ الآيةِ بأنَّهُ هو ـ سُبْحانَهُ ـ الذي أَوْجَدَ الطُّمأنينةَ والثباتَ في قلوبِ المؤمنينَ بهذا الصُّلحِ ، الذي جاءَ بالأمنِ بعدَ الخوفِ ، لِيزدادَ المؤمنونَ يقيناً إلى يَقِينِهم ، وأَنَّ جنودَ السّماواتِ والأرضِ للهِ وَحْدَهُ ، وكانَ اللهُ فيما فعلَ عليماً حكيماً .

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ .

وتتحدَّثُ الآيةُ الكريمةُ عنْ هذا الصلحِ وأثرِهِ في المؤمنينَ ؛ فكانَ هذا الفتحُ ، وكانتِ السّكينةُ والهدايةُ ؛ لِيُدْخِلَ اللهُ المؤمنينَ والمؤمناتِ جناتٍ كريمةً عظيمةً ، تجري من تحتِها الأنهارُ ، مخلَّدينَ بلا خُروجٍ ، وهذا في ميزانِ اللهِ هوَ الفوزُ العظيمُ .

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ .

أما المُنافقونَ الذينَ عاشوا بلا يقينٍ ، شاكّينَ في نصرِ هذا الدينِ ، فإنَّ اللهَ سيعذِّبُهُم وَيُعذِّبُ المشركينَ ؛ لأنَّهم ظنُّوا باللهِ الظنَّ الفاسدَ الذي لا يَليقُ بِهِ سبحانَهُ ، إذْ تصوَّروا أَنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ المؤمنينَ ، وأَنَّهُ خاذِلُهُمْ ، والصَّوابُ أَنَّ دائرةَ السَّوْءِ والخِذلانِ على هؤلاءِ المشركينَ وَحْدَهُمْ ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم ، وأَبْعَدَهُم من رحمتِهِ ، وجَعَلَ جَهَنَّمَ مصيرَهُمْ وجزاءَهُم ، وبئسَ المصيرُ ، وساءَ المُسْتَقرُّ .

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾ .

وتُخْتَمُ هذهِ المجموعةُ من الآياتِ بتقريرِ حَقيقَةٍ سبقَ ذكرُها في الآيةِ الرّابعةِ ، أَنَّ اللهَ تعالىٰ لَهُ وَحْدَهُ جنودُ السّماواتِ والأرضِ ، وكانَ اللهُ عزيزاً لا يُغالَبُ ، وحكيماً يَضَعُ كُلَّ شيءٍ في موضِعِهِ ، فكانَ هذا الصُّلحُ ، وهذا الفتحُ مِنْ عِزَّتِهِ وحِكمَتِهِ سُبْحانَهُ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ جَمَعَ اللهُ للنَّبيِّ ﷺ بينَ عِزِّ الدُّنيا والآخرةِ ، وذلكَ بالنَّصْرِ في الدُّنيا ، والجنَّةِ في الآخرةِ .

٢ـ صُلْحُ الحديبيةِ نصرٌ للإسلامِ والمسلمينَ ، وظهورٌ لهما ، لِما ترتَّب عليهِ من آثارٍ عظيمةٍ .

٣ـ السَّكينةُ والثَّباتُ مِنْ أعظمِ ما يُكْرِمُ اللهُ بهِ المؤمنينَ وقتَ الشدائدِ والمُلِمَّاتِ .

٤ـ للهِ وَحْدَهُ جُنودُ السّماواتِ والأرضِ ، وهُوَ العزيزُ الذي لا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ .

٥ـ المُشْرِكونَ والمنافقونَ عاقِبَتُهُم عاقبةُ السَّوْءِ ، لأنَّهم يظنُّونَ باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ في أيِّ سنةٍ نزلتْ سُورَةُ الفَتْحِ ؟

ب ـ وفي أيِّ مكانٍ نَزَلَتْ ؟

جـ ـ وعلى أثرِ أيِّ حادثٍ نَزَلَتْ ؟

٢ـ فسِّر كلاً مِمّا يَلي :

أ ـ الفَتْحُ المُبين .

ب ـ النَّصْرُ العَزيز .

ج ـ السَّكِينَةُ .

د ـ ظَنُّ السَّوْءِ .

هـ ـ دائِرَةُ السَّوْءِ .

٣ـ ما النِّعمُ التّي أَنْعمَ اللهُ بها على رَسُولِهِ ﷺ كما جاءَ في الآياتِ الكريمةِ ؟

نشاط :

غَفَرَ اللهُ تعالىٰ لِنَبيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . والسؤالُ : لماذا كانَ يقومُ الليلَ ، ويصومُ النَّهارَ كثيراً ؟ اكتُبِ الإِجابَةَ في دَفترِكَ .

* * *

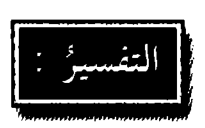
الدرس الثاني

سُورَةُ الفَتْحِ ـ القِسْمُ الثَّاني

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾

معاني المُفْرَدات :

وَتُعَزِّرُوهُ	: تَنْصُرُوهُ .
وتُوَقِّرُوهُ	: تُعَظِّموهُ .
وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً	: تُنَزِّهُوهُ ـ سبحانَهُ ـ صَباحاً وَمَساءً بِقَوْلِكُمْ : سبحانَ اللهِ .
نَكَثَ	: نَقَضَ العَهْدَ .
المُخَلَّفونَ	: الذينَ قَعَدوا عن مُصاحَبةِ النبيِّ ﷺ ولم يخرجُوا مَعَهُ .
الأعرابُ	: سُكّانُ الباديَةِ .
يَنْقَلِبَ	: يعودَ .
بُوراً	: هالكينَ فاسدينَ .
سَعيراً	: ناراً مُلْتَهِبَةً .



التفسيرُ :

مُعْظَمُ آياتِ هذا الدَّرْسِ في بيانِ منزلةِ الرَّسولِ ﷺ ووظيفَتِهِ ، وَوُجوبِ طاعتِهِ ، وسوءِ عاقبةِ التخلُّفِ عنهُ ومخالفتِهِ .

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ .

يُخاطِبُ اللهُ تعالىٰ رسولَهُ ﷺ ويُبَيِّنُ لَهُ بأَنَّهُ أرسَلَهُ شاهداً إلى الناسِ ، ومُبَشِّراً لهم ، ومنذراً إياهم ، منْ أجلِ أنْ تُؤمِنَ الأمةُ ، ويُؤمنَ النَّاسُ باللهِ ورسولِهِ ، ويَنْصُروا اللهَ بِنُصْرَةِ دينهِ ورسولِهِ ،ويُعظِّموا ربَّهُم ، ويُسبّحوهُ صباحاً ومساءً .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

وتُواصِلُ هذهِ الآيةُ بيانَ منزلةِ الرَّسولِ ﷺ فتُبيِّنُ أَنَّ الذينَ يُبايعونَ النبيَّ ﷺ إِنَّما بَيْعَتُهُم للهِ ، واللهُ حاضرٌ هذهِ البيعةَ ، يدُ اللهِ فوقَ أيدي المؤمنينَ ، تعالىٰ اللهُ في عَلْيائِهِ ، وجلَّ في ثَنائِهِ ، وتَقَدَّسَ في صفاتِهِ وأسمائِهِ ، وفي ذلكَ تأييدٌ لهذهِ البيعةِ ، وَرِضىً عن المبايعينَ ، فمن نَقَضَ هذا العهدَ وهذهِ البيعةَ فإِنَّما نَقَضهُ على نفسِهِ ، ومنْ وفَّى بعهدِهِ الذي عاهدَ رَبَّهُ عليهِ فإِنَّ اللهَ سيؤتيهِ على ذلكَ أجراً عظيماً .

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ .

بَعْدَ بيانِ حالِ المؤمنينَ تتكلَّمُ هذهِ الآيةُ عَنْ موقفِ المنافقينَ ضعافِ الإيمانِ مِنَ الرَّسولِ ﷺ وطاعتِهِ ، وهمُ المُتَخلِّفونَ عنِ الخروجِ مَعَكَ في عُمرَتِكَ أيُّها النبيُّ مِنَ الأعرابِ سُكَّانِ الباديةِ ، هؤلاءِ المُتَخلِّفونَ سيأتونَ إليكَ لِيقولوا لكَ : شَغَلَتْنَا عن مصاحبَتِكَ أموالُنا ، والعنايةُ بها ، سواءٌ أكانتْ زُروعاً أَمْ أغناماً ، وشَغَلَنا عنْكَ القيامُ على مصالحِ أهلِنا ، فاسْتَغْفِرْ لنا يا رسولَ اللهِ ، يقولونَ هذا القولَ بألسنتِهم دونَ أن يكونَ لهُ رصيدٌ في قُلوبِهم ، فَقُلْ أيُّها النبيُّ راداً عليهم : مَنْ يملكُ أنْ يَدْفَعَ عنكُمُ الضُّرَّ أوِ النَّفْعَ إذا قدَّرَهُ اللهُ ؟ إِنَّ اللهَ كانَ بما تعملونَ خبيراً ، فهُوَ المطَّلِعُ على أحوالِكُم ، الخبيرُ بما في نُفوسِكُم .

﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

وتستمرُّ الآياتُ الكريمةُ في الرَّدِّ على المنافقينَ وبيانِ كَذِبهم ، ويُبيِّنُ اللهُ تعالىٰ أَنَّ السَّبَبَ الحقيقيَّ وراءَ تَخلُّفِكُمْ عنِ النَّبيِّ ﷺ هوَ ظنُّكُم أنَّهُ لنْ يعودَ مِنْ عُمْرَتِهِ أبداً ، وَسَيَقْضِي المُشْرِكونَ عليهِ وعلى مَنْ معَهُ . ولقد زَيَّنَ الشيطانُ هذا الأمرَ في قلوبِكُم ، وظَنَنْتُم بالمؤمنينَ بلْ باللهِ ظنَّ السوءِ ، وكُنتُم قوماً هالكينَ فاسدينَ ، لا تصلحونَ لشيءٍ من الخيرِ .

وَخُتِمَتِ الآياتُ بتقريرِ أَنَّ جزاءَ الذينَ لا يُؤمنونَ باللهِ ورسولِهِ سيكونُ نارَ جهنَّمَ المستعرةَ المُتَّقِدَةَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مَهَمَّةُ الرَّسولِ ﷺ الشهادةُ والبِشارةُ والإنذارُ ، كي يدلَّنا على الإيمانِ ، ونحقِّقَ العُبوديَّةَ للهِ .

٢ـ بَيْعَةُ الرَّسُولِ ﷺ بيعةٌ للهِ ، وبيعةُ المؤمنينَ للرَّسُولِ ﷺ يُبارِكُها اللهُ ، وَيَرْضَى عَنْ أَصْحابِها .

٣ـ أهميَّةُ الوفاءِ بالعهدِ ، وخطورةُ نقضِ العهدِ مَعَ اللهِ .

٤ـ يَتَذَرَّعُ المنافقونَ بالذَّرائعِ الكاذبةِ ، ليسوِّغوا تَخَلُّفَهُم عَنِ الخُروجِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ ، وذلكَ لعدمِ إيمانِهِم ويقينِهِم بأَنَّ النصرَ مِن عِندِ اللهِ للإسلامِ والمسلمينَ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَهَمَّةُ الرَّسُولِ ﷺ ووظيفتُهُ ؟

٢ـ ما مَوْقفُ المؤمنينَ منَ الرسولِ ﷺ ؟

٣ـ ما الآيةُ التي تدُلُّ على عظمةِ بيعةِ النبيِّ ﷺ ؟

٤ـ ما جزاءُ نقضِ العهدِ مَعَ اللهِ ؟

٥ـ أ ـ بِمَ تذرَّعَ المُتَخَلِّفُونَ لِيُسَوِّغوا عَدَمَ خُرُوجِهِم مَعَ الرَّسولِ ﷺ ؟

ب ـ ما ردُّ اللهِ تعالىٰ عليهِم ؟

٦ـ ما مَعْنى : ﴿وظننتُم ظنَّ السَّوءِ وكنتُم قوماً بُوراً﴾ ؟

نشاط :

١ـ كيفَ يكونُ الرَّسُولُ ﷺ مُبَشِّراً ونذيراً في آنٍ واحدٍ ؟ اكتب الإجابةَ في دفترِكَ .

٢ـ يَدَّعي الإنسانُ أَنَّهُ يحمي مالَهُ ومَتاعَهُ إذ يتخلَّفُ عن الجهادِ والتَّكاليفِ الشَّرْعِيةِ . ما رأيُكَ في هذا الادِّعاءِ ؟ اكتبِ الإجابةَ في دَفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ

سُورَةُ الفَتْحِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

معاني المُفْرداتِ :

ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ	: اتْرُكونا نخرجْ مَعَكُم .
أولي بأسٍ شديدٍ	: ذَوي شِدَّةٍ في الحرب .
حَرَجٌ	: إثمٌ في التَّخَلُّفِ عنِ الجهادِ .

التفسيرُ :

آياتُ هذا الدَّرْسِ تتكلَّمُ عن المتخلِّفينَ عنِ الغزوِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ بغيرِ عذرٍ ، والمعذورينَ منهم .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ .

تبتدىءُ هذهِ المجموعةُ من الآياتِ بتقريرِ أَنَّ اللهَ تعالىٰ لهُ ملكُ السّماواتِ والأرضِ ، وأَنَّهُ ـ

سُبْحَانَهُ ـ يَغْفِرُ لمنْ يشاءُ ، ويُعذِّبُ منْ يشاءُ ، وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً ، واسعَ المغفرةِ والرَّحمةِ .

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

وتُخبِرُنا هذهِ الآيةُ عَنِ المُخَلَّفينَ عنْ مشاركةِ الرسولِ ﷺ الذينَ بَيَّنَتْهُم آياتُ الدَّرْسِ السّابقِ ، وأنَّهم سيقولونَ لكم إذا انطلقتُم إلى المغانمِ التي وَعَدَكُمُ اللهُ إياها في خيبرَ لتغنموها : اتركونا نَخْرُجْ مَعَكُمْ ، وَنَشْهَد القتالَ ، يريدونَ أن يُغَيِّروا وَعْدَ اللهِ لأهلِ الحديبيةِ ، فقد وَعَدَهُم بِغَنائِم خَيْبَر لتعويضِهِم عمَّا ظنُّوهُ فَوْتَ نَصْرٍ ، وفواتَ فُرْصةِ أداءِ مناسكِ العمرةِ التي خرجوا من أجلِها . قلْ جواباً على طلبهم : لنْ نسمحَ لكمْ باتِّباعِنا ، لأنَّ اللهَ قالَ ذلكَ ، وأخْبَرَنا بهذا منْ قَبْلُ ، فسيردّونَ عليكم : إنه الحسدُ يَمْنَعُكُم من مصاحَبَتِنا حتى تَنْفَردوا بالغنائمِ دونَنا . والردُّ عليهم أنَّهمْ لا يفقهونَ طبيعةَ الإيمانِ ، ولا طبيعةَ المؤمنينَ الذينَ لا تَشغَلُهُمُ الدُّنيا وما فيها من غنائمَ ، وما قولُ المنافقينَ واتِّهامُهم للمؤمنينَ إلا لأنَّهم لا يفقهونَ حقيقةَ الإيمانِ ، ولا يعرفونَ منْ صفاتِ المؤمنينَ إلا القليلَ .

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

قل يا أيُّها النبيُّ للمخلَّفينَ من الأعرابِ : إنْ كنتُم حريصينَ على الجهادِ فإنَّ هناكَ فرصةً قادمةً ؛ حينَ تُدْعَوْنَ لقتالِ قوم أولي شدةٍ في الحربِ وبأسٍ ، سَيُطْلَبُ منكم أنْ تُقاتِلُوهم ، أو يَدْخُلوا في الدِّينِ ، فإنْ تُطيعوا اللهَ ورسولَهُ يُؤتِكُم أجراً وثواباً حسناً ، وإنْ تتولَّوا في تلكَ المرَّةِ كما تقاعستُم وتوليتُم في المرّاتِ السّابقةِ فسيُعَذِّبُكم عذاباً أليماً .

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

وفي هذهِ الآيةِ عفوٌ عنِ الذين تخلَّفوا بعذرٍ ، إذ رفعَ اللهُ تعالىٰ الحرجَ والإثمَ عن الذي يَتَخَلَّفُ لعذرِ العمى أو العَرَجِ أوِ المرضِ ، وأنَّ من يطع اللهَ ورسولَهُ فإنَّ جزاءَهُ أنْ يُدخِلَهُ اللهُ جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ ، وأنَّ منْ يتولَّ فسيكونُ العذابُ الأليمُ جزاءَهُ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ العبادُ داخلونَ في مُلْكِ اللهِ ، ولهُ أن يتصرَّفَ فيهم ، فيغفرُ لمن شاءَ منهم بفضلهِ ، ويعذبُ مَنْ يشاءُ بعدلهِ .

٢ـ المُخَلَّفونَ تُحَرِّكُهُمُ المطامعُ وحُبُّ المالِ ، ومنْ هذا المنطلقِ يُفسِّرونَ أعمالَ غيرهم .

٣ـ يُهَيِّءُ اللهُ للنَّاسِ اختباراتٍ تميزُ الصَّادِقَ من الكاذبِ ، والجهادُ أحدُ أهمِّ هذهِ الاختباراتِ .

٤ـ دِينُنا دينُ الرَّحمةِ ورفعِ الحَرجِ ، فأصحابُ الأعذارِ إِنْ تخلَّفوا عنِ الجهادِ لا إِثمَ عَلَيْهِم .

٥ـ أخبرَ اللهُ المؤمنينَ عنِ الغيبِ الآتي ، ومنْ ذلكَ مقاتلةُ أقوامٍ أولي بأسٍ شديدٍ ، وهم الفرسُ والرومُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ ما الذي طَلَبَهُ المُخَلَّفُونَ ؟

ب ـ بماذا رَدَّ المؤمنونَ عَلَيْهِم ؟

٢ـ بماذا فسَّرَ المُخَلَّفونَ رَفْضَ المؤمنينَ مصاحَبَتَهُم ؟

٣ـ بماذا سيُمْتَحَنُ المُتَخلِّفونَ لِيُثْبِتُوا صِدْقَهُم ؟

٤ـ ما الأصنافُ الثَّلاثةُ التي رُفِعَ عنها الحَرَجُ ؟

٥ـ ما جزاءُ مَنْ أطاعَ ومنْ عَصى ؟

٦ـ بيِّنِ المُرادَ بكلٍ مِمّا يلي :

أـ ﴿إذا انطلقتُم إلى مغانمَ لِتَأْخُذوها﴾ .

ب ـ ﴿ستُدْعَون إلى قومٍ أولي بأسٍ شديدٍ﴾ .

ج ـ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعذِّبْهُ عذاباً أليماً﴾ .

* * *

الدرس الرابع

سُورَةُ الفَتْحِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

معاني المفردات :

قدْ أحاطَ اللهُ بها : قَدِرَ عليها .

سُنَّةَ اللهِ : قانونَ اللهِ .



تتكلَّمُ آياتُ هذا الدرسِ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضوانِ ، وما أعدَّ اللهُ لأصحابِها منْ فتوحٍ وغنائمَ ونصرٍ .

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ .

تَبتدِىءُ آياتُ هذا الدَّرْسِ بتقريرِ رضا اللهِ تعالىٰ عن المؤمنينَ الذينَ بايعوا النبيَّ ﷺ تحتَ الشجرةِ . وقصةُ هذهِ البيعةِ أنَّهُ أُشيعَ أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ قدْ قتَلَهُ مُشركُو مكَّةَ ، وكانَ النبيُّ ﷺ قدْ أرسَلَهُ مفاوضاً لهم ، فبايَعَ الصحابةُ ـ رضِيَ اللهُ عنهُم ـ رسولَ اللهِ ﷺ على أنْ يُقاتِلوا

مَعَهُ المشركينَ انتقاماً لعثمانَ ، فسَمِعَتْ قريشٌ بهذهِ البيعةِ فوقعَ الخوفُ في قلوبِهم فأرْجَعوا عثمانَ سالماً إلى المسلمينَ .

وتقولُ الآياتُ مُسَجِّلَةً رضوانَ اللهِ عنِ الأصحابِ الذينَ بايعوا بيعةَ الرِّضوانِ ، تحتَ شجرةِ الرِّضوانِ التي سُمِّيتْ بهذا الاسمِ لهذهِ الكلمةِ منْ هذهِ الآيةِ ﴿لقد رضي الله . .﴾ وكانَ رضا اللهِ تعالىٰ عنهم لأنَّهُ عَلِمَ الصِّدْقَ والإخلاصَ والعزمَ الذي في قلوبِهم ، فأنزلَ الثباتَ والطمأنينةَ عليهم ، وكافأهُم بأنْ جَعَلَ لهم فتحاً قريباً ؛ وهوَ فتحُ خيبرَ ، وَوَعَدَهُم فيهِ بمغانمَ كثيرةٍ يأخذونها ، وكانَ اللهُ عزيزاً أي منيعاً غالباً ، حكيماً في كلِّ ما يَفْعَلُ ، سُبْحَانَهُ .

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

وتُتابعُ الآياتُ ذكرَ رضوانِ اللهِ على أصحابِ بَيْعَةِ الرِّضوانِ ، فَمِنْ ذلكَ أَنَّهُ وَعَدَهُم ـ سُبْحَانَهُ ـ مغانمَ كثيرةً قادمةً سيأخذونَها فعجَّلَ لهم صُلْحَ الحديبيةِ الذي مَكَّنَ للمؤمنينَ في الجزيرةِ ، وسهَّلَ الدعوةَ ، وكفَّ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ أيديَ أهلِ مكةَ عنِ المؤمنينَ ؛ ليكونَ هذا الأمرُ آيةً لهم ، ويهديَهُم اللهُ صراطاً مستقيماً .

وَوَعَدَهُم مغانمَ وفتوحاً أخرى لم تكنْ في مقدورِهم حتى الآنَ ، لكنَّها كانتْ تحتَ قدرةِ اللهِ الذي أحاطَ بها وبكلِّ شيءٍ ، فمكَّنَ المؤمنينَ منها الآنَ ، وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ قديراً .

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

وتُختَمُ آياتُ هذا الدرسِ بهذا التقريرِ العظيمِ ، والسُّنَّةِ الكونيَّةِ التي تتضمنُ إكراماً وتطميناً للمؤمنينَ ، إذْ تقولُ لهم : إنَّ الذينَ كفروا لو قاتَلوكُمْ لَوَلَّوا فارِّينَ ، ولنْ ينصرَهُم أحدٌ ، لأنَّ قانونَ اللهِ الذي لا يتغيَّرُ أَنَّهُ ينصرُ الإيمانَ والمؤمنينَ ، وَيَخْذُلُ الكفرَ والكافرينَ ، ولكنَّ لكلِّ أمرٍ أجلاً وحِيناً . وقانونُ اللهِ هذا وسُنَّتُهُ وناموسُهُ ثابتٌ لا يتغيرُ ، ولا يتبدلُ على مرِّ الدهورِ .

دروسٌ وعِبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ رضوانُ اللهِ عَنْ أهلِ بيعةِ الرِّضوانِ لِعِلْمِهِ بصدقِ نواياهم وإخلاصِهم لَهُ .

٢ـ البيعةُ على الجهادِ غَدَتْ في تاريخِنا مَعْلَماً مِنْ مَعالمِ هذا التاريخِ .

٣ـ أباحَ اللهُ للمؤمنينَ غنائِمَهُم مِنَ الكُفّار في الحَرْبِ والقتالِ .

٤ـ سُنةُ اللهِ أَنَّهُ لو قاتلَنا الكفّارُ فإنهم ينهزمونَ ؛ لأنَّ اللهَ وَعَدَ المؤمنينَ بالنَّصْرِ .

٥ـ إذا انتصرَ علينا الكفَّارُ فسيكونُ ذلكَ عن تقصيرٍ منَّا وخللٍ فينا .

التقويمُ :

أجبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الذي وَعَدَهُ اللهُ للمؤمنينَ ؟

٢ـ تضمّنت آياتُ هذا الدرسِ قانوناً ربّانياً ، ما هو ؟

٣ـ لماذا طلبَ الرسولُ ﷺ البيعةَ يومَ الحديبيةِ ؟

٤ـ أكرمَ اللهُ تعالىٰ المؤمنينَ يومَ الحديبيةِ بعدَّةِ أمورٍ . اذكر ثلاثةً منها .

٥ـ بيِّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمّا يأتي :

أ ـ ﴿سنَّةَ اللهِ﴾ .

ب ـ ﴿وأثابَهُم فتحاً قريباً﴾ .

ج ـ ﴿وكفَّ أيديَ النّاسِ عَنْكُم﴾ .

د ـ ﴿وَأُخْرىٰ لم تَقْدِروا عليها قَد أَحاطَ اللهُ بِها﴾ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ

سُورَةُ الفَتْحِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

- ببطْنِ مَكَّةَ : بالحُدَيْبية .
- أظفرَكُم عليهِم : أظهرَكُم عليهِم .
- والهديَ : ما يُهْدى إلى البيتِ لِيُذْبَحَ تقرُّباً إلى اللهِ من الأنعامِ .
- مَعْكُوفاً : مَحْبُوساً .
- مَحِلَّهُ : مكانَهُ المعهودَ وَهُوَ حَرَمُ مَكَّةَ .
- ولولا رجالٌ مؤمنونَ : ولولا كراهةُ أن تُهلِكوا رجالاً مؤمنينَ .
- أن تطؤوهم : أَنْ تَدُوسوهم وَتُهْلِكُوهُمْ .
- معرَّةٌ : سُبَّةٌ بأنْ يقولَ المشركونَ : قَتَلوا إخوانَهم .
- لو تَزَيَّلوا : لو تميَّزوا .
- الحميَّةَ : الأنفةَ والتَّكبُّرَ .
- سكينَتَهُ : ما يُنزِّلُهُ اللهُ على عبادِهِ المؤمنينَ مِنَ الطُّمأنينَةِ .



﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ امتنانٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ على عبادِهِ المؤمنينَ ، الذينَ خَرَجُوا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ لأداءِ العمرةِ ، في السَّنةِ السادسةِ للهجرةِ ، حينَ عَسْكَرَ المسلمونَ بقيادةِ الرَّسولِ عليه الصّلاة والسّلامُ في الحُدَيْبِيةِ القَريبةِ من مَكَّةَ . وحينَ أرسلَ كفّارُ مَكّةَ عدداً من فرسانِهم المسلحينَ ، لمحاربةِ المسلمينَ هزمَهُم اللهُ ، وأوقعَ عدداً منهم في أَسْرِ المسلمينَ ، ولكنَّ الرَّسول عليه الصّلاةُ والسّلامُ عفا عن هؤلاءِ الأَسْرى ، وأطلقَ سراحَهُم ، وكانَ ذلكَ سَبباً لصُلحِ الحديبيةِ ، الذي جَعَلَ اللهُ فيهِ الخيرَ للمؤمنينَ ، في الدُّنيا والآخرةِ .

نَعَمْ ، إنَّ هذا الترتيبَ لصالحِ المسلمينَ لم يَتِمَّ إلا بأمرِ اللهِ وقدرتِهِ وتدبيرِهِ ؛ فهوَ وَحْدَهُ الذي كفَّ أيديَ المشركينَ عنكُم ، أيها المؤمنونَ ، حينما هَزَمَهُمُ اللهُ على أيديكم ، وأُسِر قسمٌ منهُم .

وهو وَحْدَهُ الذي كفَّ أيديَكُم عنهم حينما عَفا عَنْهُم الرَّسُولُ ﷺ ، فأطلقَ سَراحَهم من بعدِ أنْ نصرَكُم عَلَيْهِم ، وأمكَنَكُم مِنْهم بالأَسْرِ ، وتمَّ كلُّ ذلكَ بأمرِ اللهِ الذي يُبْصِرُ ما تعملونَهُ ، فَيُرتِّبُهُ لصالِحِكُم في الدنيا والآخرةِ ، رحمةً بكم ، وحرمةً لبيتِهِ الحرامِ ؛ لئلا تُسْفَكَ فيهِ الدِّماءُ .

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

الحديثُ في هاتينِ الآيتينِ موصولٌ بالحديث عن غزوةِ الحديبيةِ ، وبيانِ صدِّ الكفَّار للمؤمنينَ عنِ المسجدِ ، وأنَّ اللهَ كانَ قادراً على نصرِ المؤمنينَ في ذلكَ الموطنِ ، فتقولُ الآيةُ الأولى منهما في وصفِ الكفَّارِ : هم الذينَ كفروا باللهِ وبدينِهِ ورسولِهِ الحقِّ ، وَمَنَعُوكم مِنَ الوُصولِ إلى المسجدِ الحرامِ ، ومنعوا الهديَ الذي سُقْتُموه مَعَكُم (والهديُ : ما يَصْطَحِبُهُ الحجَّاجُ مَعَهُم من المواشي ليذبحوها في منطقةِ الحَرَم تَقَرُّباً إلى اللهِ) ؛ هؤلاءِ الكفارُ منعوا الهديَ منْ أنْ يَصِلَ مِحِلَّهُ وهوَ الحرمُ ، فعطَّلوا هذهِ الشعيرةَ ، وَحَرَمُوا الفقراءَ منها .

وَقَدْ أَخْبَرنا ٱللهُ تعالىٰ عَنِ الحكمةِ من وراءِ منعِ المؤمنينَ من اجتياحِ الكفارِ الظَّلَمَةِ الذين منعوهم من العمرةِ ، وإيصالِ الهدي إلى الحرم ، فَمِنْ ذلكَ :

١ـ وجودُ رجالٍ مؤمنينَ ونساءٍ مؤمناتٍ يعيشونَ وسطَ الكفارِ في مكةَ ، ولا يعلمُهُم المؤمنونَ ، فيُخشى أنْ يُهلِكُوهم في أثناءِ الحربِ ، فتلحقَ المَعَرَّةُ بالمسلمينَ من جرّاءِ ذلكَ .

٢ـ أنَّ اللهَ يُريدُ أنْ يُدْخِلَ في رحمتِهِ مَنْ يشاءُ بأنْ يؤمِنَ بعضُ مَنْ لا يزالُ كافراً .

لولا كُلُّ ذلكَ لسلَّطكُم عليهم ، فلو أَنَّ المؤمنينَ خرجوا من بينِ الكُفَّارِ وتميَّزوا عنهم لعذَّبْنا الذينَ كفروا منْ أهلِ مكةَ عذاباً أليماً بالقتلِ والسَّبْيِ على أيدي المؤمنينَ .

ثُمَّ بيَّنَ النصُّ الكريمُ في الآيةِ الثانيةِ حالَ الكافرينَ الذينَ جعلوا في قلوبِهمُ الكبرياءَ والأَنَفَةَ التي وَرِثُوها ، والتي غَرَسَتْها فيهم قِيَمُ الجاهليةِ ، وهي الحميَّةُ للباطلِ ونُصْرَةِ أهلِهِ .

أمَّا المؤمنونَ فألزَمَهُمُ اللهُ بإنزالِ السَّكينةِ ، وهي الطمأنينَةُ والثباتُ في قلوبهم ؛ إذْ أكرمَ اللهُ بها الرَّسُولَ ﷺ والمؤمنينَ معهُ ، وجعَلَهُم ملتزمينَ كلمةَ التَّقوى ؛ وهيَ الكلمةُ التي يتَّقي الإنسانُ بها الشِّرْكَ والعذابَ ؛ وهيَ التوحيدُ ، وكانوا جديرينَ بها ، وكلُّ أهلها جديرونَ بها ، وكانَ اللهُ بكلِّ شيءٍ عليماً .

دروسٌ وعِبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافرونَ هم المتسبِّبونَ في منعِ المؤمنينَ من دخولِ المسجدِ الحرامِ وتعطيلِ شعائرِ الدِّينِ .

٢ـ بيانُ اللهِ الحكمةَ مِنْ وراءِ منعِ المؤمنينَ من مقاتلةِ الكفارِ في الحديبيةِ واجتياحهم ، فمن ذلك وجودُ بعضِ المؤمنينَ وسطَ الكافرينَ في مكةَ ، ولولا خشيةُ لَحاقِ الأذى بِهم ، لسلَّطَ اللهُ المؤمنينَ على الكافرينَ .

٣ـ الكافرونَ في قلوبِهم عصبيّةُ الجاهليَّةِ ، وهي لا تصمُدُ أمامَ عَزَماتِ المؤمنينَ .

٤ـ المؤمنونَ جَعَلَ اللهُ في قلوبِهم السّكينةَ والثّباتَ ؛ وهيَ ثمرةُ الإيمانِ ، وهمْ جديرونَ بكلمةِ التَّوحيدِ .

٥ـ شرعَ اللهُ تشريعاتٍ على المسلمينَ أن يلتزموا بها في حُروبِهم ، كما شَرَعَ لهم تشريعاتٍ في سِلْمهم فِيما بَيْنَهم .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ وضِّح امتنانَ اللهِ على عبادِهِ المؤمنينَ بصلحِ الحديبيةِ .

٢ـ بماذا وصفَ اللهُ الكافرينَ في الآياتِ الكريمةِ ؟

٣ـ ما الذي مَنَعَ العذابَ عَنِ الكافرينَ يومَ الحديبيةِ ؟

٤ـ ما الحميَّةُ التي جعلَها الكفارُ في قلوبِهم ؟

٥ـ ما الذي جَعَلَهُ اللهُ في قلوبِ المؤمنينَ ؟

٦ـ المؤمنونَ أحقُّ بكلمةِ التَّقوى وهمْ أهلُها ، وضِّحْ ذلكَ .

٧ـ اذكُرْ حُكْماً شَرْعِيّاً يجبُ أن يلتزمَهُ المسلمونَ في حربهم مع الكفارِ .

نشاط :

١ـ كيفَ يكونُ الهديُ للهِ ثُمَّ للفقراءِ ؟ اكتبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ كلمةَ التَّوحيدِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سُورَةُ الفَتْحِ - القِسْمُ السَّادِسُ

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

لَقَدْ صَدقَ اللهُ رسولَهُ الرُّؤيا بالحقِّ : لقدْ حقَّقَ اللهُ رُؤيا الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسّلامُ بالحقِّ في عُمرةِ القضاءِ .

فعلِمَ ما لمْ تَعْلَموا : عَلِمَ اللهُ أنَّ المصلحةَ في الصُّلْحِ .

لِيُظْهِرَهُ : لِيُعْلِيَهُ ويُقوِّيَهُ .

سِيماهم : علامَتُهم .

الشَّطء : أوَّلُ ما يخرجُ منَ النَّبْتِ .

فآزَرَهُ : فقوَّى ذلكَ الزَّرعَ .

فاستَغْلَظَ : أصبحَ الزَّرعُ غليظَ السّوقِ .

سُوقِهِ : جَمْعُ ساقٍ .

يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ : يُعجِبُ النباتُ مَنْ زرعوهُ .

قصةُ هذهِ الآياتِ :

كانَ النبيُّ ﷺ قد رأى في منامِهِ قبلَ الحديبيةِ كأَنَّهُ هوَ وأصحابُهُ حَلَقُوا رُؤوسَهم وقصَّروا شعرَهُم ، والحلقُ والتقصيرُ من أعمالِ العُمْرَةِ والحَجِّ ، ورؤيا الأنبياءِ حقٌّ ، فأخبرَ بها أصحابَهُ ، وحَسِبوا أَنَّهم سيدخلونَ مكةَ عامَهُم هذا ، فلمَّا رجعوا من الحديبيةِ دونَ أنْ يَدْخلوا مَكَّةَ قال المنافقونَ : واللهِ ما حَلقْنا ولا قَصَّرْنا ، ولا دَخَلْنا المسجدَ الحرامَ ، فأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ ، ودخلَ رَسُولُ الله ﷺ وأصحابُهُ المسجدَ الحرامَ آمنينَ في العامِ القادمِ ، وحلَقَ بعضُهم ، وقصَّرَ بعضُهم ، بعدَ أداءِ مناسكِ العمرةِ .

التفسيرُ :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يُؤكِّدُ اللهُ تعالىٰ في هذهِ الآيةِ أَنَّهُ سَيُحقِّقُ لرسولهِ ﷺ رُؤْياهُ ، وذلكَ في عُمْرَةِ القضاءِ في السَّنَةِ التي تلتْ سنةَ الرؤيا وسنةَ صلحِ الحديبيةِ ، ووعْدُ اللهِ لرسولِهِ لا يُخْلَفُ ، واللهُ وَعَدَ أنْ يَدْخُلَ رسولُهُ المسجدَ الحرامَ ، فدخَلَهُ في السنةِ التاليةِ ، وكما قالَ النبيُّ ﷺ لبعضِ المستفسرينَ : أقلتُ لكم في هذهِ السَّنَةِ ؟ قالوا : لا . المُهمُّ أَنَّ الوعدَ سيتحقق ، وحقَّقَ اللهُ في سَنَةِ الحديبيةِ فتحاً للمسلمينَ لا يقلُّ أهميةً عن العُمرةِ إنْ لم يَفُقْها في النتائجِ . فجمَعَ اللهُ للمسلمينَ حُسْنَيَيْنِ ، أَنَّهم دخلوا السَّنةَ التاليةَ مكّةَ معتمرينَ عُمرةَ القضاءِ ، وحَلَقوا وقصَّروا كما هوَ الوَعْدُ ، وعَلِمَ اللهُ مصلحةَ المسلمينَ فجعلَ من دونِ العمرةِ وقبلَ العمرةِ فتحاً قريباً ، هو هذا الصلحُ الذي اعترفتْ فيهِ مكّةُ بالإسلامِ والمسلمينَ ، ودخلتِ القبائلُ بعدَهُ في دينِ الإسلامِ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ الأولى أَنَّ اللهَ هو الذي أرسلَ رسولَهُ ، وبعَثَهُ بالهدى ودينِ الحقِّ من أجلِ أنْ يُعْلِيَهُ

ويُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ ، وكفى باللهِ شهيداً .

وبيّنَتِ الآيةُ الثانيةُ أوصافَ النبيِّ ﷺ وأصحابِهِ فقالتْ : مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ والذين مَعَهُ وَصْفُهُمْ أَنَّهم شديدونَ على الكُفَّارِ ، ولكنَّهُم فيما بينَهم رُحَماءُ ، تراهُم راكعينَ ساجدينَ ، يَطْلُبونَ فضلَ اللهِ ورضوانَهُ ، وعلامةُ سُجودِهم للهِ تَظْهَرُ في وجوهِهم ، ذلكَ هُو مثلُهُم في التوراةِ ، أمَّا مَثَلُهُم في الإنجيلِ فقدْ شَبَّهَهُمُ اللهُ هناكَ بالزَّرعِ الذي بدأَ صغيراً ضَعيفاً ثم اشتدَّ شيئاً فشيئاً ، وقامَ على ساقِهِ الذي غَلُظَ مَعَ الأيامِ ، فصارَ منظرُهُ بَهيجاً يَسُرُّ الزارِعينَ ، ويَغيظُ الكافرينَ ، وقد وَعَدَهُمُ اللهُ مغفرةً وأجراً عظيماً لمنْ آمَنَ منهم وعَمِلَ الصالحاتِ .

دروسٌ وعِبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ رُؤْيا الأنبياءِ وَحْيٌ ، ووعدُ اللهِ لهمْ لا يُخْلَفُ .

٢ـ المؤمنُ يُصَدِّقُ وَعْدَ اللهِ وإنْ أبطأَ الإنجازُ بعضَ الوقتِ .

٣ـ الإسلامُ سيظهرُ على الدِّياناتِ كلِّها ، وينتصرُ على المِلَلِ جميعِها .

٤ـ مَثَلُ النبيِّ ﷺ وأصحابِهِ بَشَّرَتْ بهِ التوراةُ والإنجيلُ ، وإن أخفاهُ أصحابُهما .

التقويمُ :

أجبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ ما الرُّؤيا التي رآها رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟

ب ـ هل أنجزَ اللهُ الرؤيا لرسولِهِ ؟ ومتى تمَّ ذلكَ ؟

٢ـ ماذا جعلَ اللهُ قبلَ إنجازِ الرُّؤيا وتحَقُّقِها ؟

٣ـ ما وَصْفُ الرَّسُولِ وأصحابِهِ في التّوراةِ ؟

٤ـ ما وَصْفُهم في الإنجيلِ ؟

٥ـ ما مَعْنى : ﴿سيماهُم في وُجُوهِهِم﴾ ؟

٦ـ بماذا أرسلَ اللهُ تعالىٰ رسولَهُ ﷺ ؟



أ ـ يَخْرُجُ المسلمُ من إحرامِهِ في الصَّلاةِ بالتَّسْليمِ ، ويَخْرُجُ من إحرامِهِ في الصّيامِ بالإفطارِ ، ويخرجُ منْ إحرامِهِ بالحجِّ أو العمرةِ بالحلْقِ أو التقصيرِ . رتِّب ذلكَ في قائمةٍ في دفترِكَ :

الإحرام	الخروج منه
١ـ الصَّلاةُ	
٢ـ الصَّيامُ	
٣ـ الحَجُّ	

ب ـ اكتُبْ موضوعاً عن صفاتِ الرسولِ ﷺ وأصحابِهِ لمجلَّةِ المدرسةِ .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعُ

سُورَةُ الحُجُراتِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

هذهِ السُّورةُ الكريمةُ مدنيَّةٌ وآياتُها ثماني عَشْرةَ آيةً ، وترتيبُها في المصحفِ التاسعةُ والأربعونَ ، وموضوعُها الأخلاقُ والآدابُ والتوجيهاتُ الاجتماعيةُ . وسُمِّيتِ الحُجُراتِ لأنَّها ذَكَرتِ الذينَ يُنادونَ النبيَّ ﷺ من وراءِ حُجُراتِهِ ، أي غُرَفِ بيتِهِ ، ولا يَتأدَّبونَ ولا ينتظرونَ .

معاني المُفْرداتِ :

لا تُقَدِّموا بينَ يدي اللهِ ورسولِهِ	: لا تَقْطَعُوا أمراً حتى يَحْكُمَ اللهُ ورسولُهُ فيهِ .
أنْ تَحْبَطَ أعمالُكُم	: خشيةَ أنْ يَبْطُلَ ثوابُ أعمالِكم .
يَغُضُّونَ أصواتَهم	: يخفضونَها .
امتحنَ اللهُ قلوبَهم للتقوى	: جعلَها خالصةً لها .
الحُجُرات	: الغُرَفَ .



التفسيرُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ .

تَبتدئُ السُّورَةُ الكريمةُ بالنّداءِ لِلْمؤمنينَ ، وبتوجيهٍ عامٍّ شاملٍ لَهُمْ ، هذا التوجيهُ الكبيرُ يتلخَّصُ في أنْ يلتزِمَ المؤمنونَ مقتضى الإيمانِ باللهِ والرَّسولِ ، فلا يَتَقَدَّموا على أمرِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ بأمرٍ من عندِ أنفسِهم ، ولا يعظِّموا كلمةً فوقَ كلمةِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ ، وأمرتْهُم الآيةُ أيضاً بتقوى اللهِ ، فهيَ قاعدةُ كُلِّ خيرٍ ، وأساسُ كُلِّ عملٍ صالحٍ . وخُتِمَتِ الآيةُ بذكرِ صفتينِ من صفاتِ اللهِ تعالىٰ ، أَنَّ اللهَ سميعٌ عليمٌ ؛ فهوَ يسمعُ كُلَّ كلمةٍ ، ويعلَمُ كُلَّ عملٍ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ .

تَبتدىءُ الآيةُ الأولى أيضاً بالنّداءِ للذين آمنوا ، والتوجيهِ بألاَّ يَرْفَعوا أصواتَهم أعلى مِنْ صَوْتِ النبيِّ ﷺ ولا يُساووهُ ، بل يَخفِضوا أصواتَهم عن صوتِهِ ، ولا يحُادِثوهُ كما يحادثُ بعضُهم بعضاً ، وذلكَ خشيةَ أن تبطُلَ أعمالُهم ، وهمْ لا يدرونَ ولا يعلمونَ . وفي هذا تعظيمٌ وإجلالٌ للرَّسُولِ ﷺ . وبيَّنَتِ الآيةُ الثانيةُ أَنَّ الذينَ يخفضونَ أصواتَهم عندَ محادثةِ الرَّسُولِ ﷺ هم الذينَ أخلصَ اللهُ قلوبَهم لتقواهُ ، فجعلَها مَحَلاً لها ، وهؤلاءِ لهم منَ اللهِ مغفرةٌ ، ولهم عندَهُ أجرٌ عظيمٌ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ تكلمتِ الآيةُ الأولى عن فئةٍ مناقضةٍ للفرقةِ السابقةِ ، أمَّا هؤلاءِ فقومٌ جاءوا ينادون النبيَّ ﷺ مِنْ خارجِ أسوارِ دارِهِ ، ومنْ خلفِ غُرَفِهِ وحُجُراتِهِ ، بصوتٍ عالٍ ، ويستعجلونَهُ بالخروجِ كما تعوَّدوا عندَ نداءِ بعضِهِم بعضاً ، وهؤلاءِ وَصَفَهُمُ اللهُ بأَنَّهم لا يعقلونَ .

وبيَّنَتِ الآيةُ الثانيةُ الأدبَ الأكملَ مَعَ النبيِّ ﷺ وهوَ أنْ يصبروا حتى يخرجَ النبيُّ ﷺ مِنْ تِلقاءِ نفسِهِ لِلقائِهم ، ولو امتثلَ هؤلاءِ الأدبَ وصبروا لكانَ خيراً لهمْ عندَ اللهِ في الدُّنْيا والآخرةِ ، واللهُ غفورٌ رحيمٌ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وُجوبُ التأدُّبِ معَ النبيِّ ﷺ .

٢ـ المؤمنُ لا يتقدَّمُ على أمرِ اللهِ ورسولِهِ بل يسمعُ ويطيعُ ، فلا يُشَرِّعُ غَيْرَ شَرْعِ اللهِ ، ولا يَحْكُمُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ .

٣ـ مِنَ الأدبِ مَعَ الرَّسُولِ عَدَمُ رَفْعِ الصَّوْتِ في حَضْرتِهِ في حياتِهِ ، ولا في أَثْناءِ دراسةِ حَديثِهِ بعدَ وفاتِهِ .

٤ـ التأدُّبُ عَلامةُ تقوى القُلوبِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى : ﴿لا تُقدِّموا بَيْنَ يَدِي اللهِ ورَسُولِهِ﴾ ؟

٢ـ ماذا يترتَّبُ على رَفْعِ الصَّوتِ عندَ النبيِّ ﷺ ؟

٣ـ على ماذا يدلُّ خفضُ الصَّوتِ عندَ النبيِّ ﷺ ؟

٤ـ بِمَ وصفَ اللهُ الذينَ يُنادونَ النبيَّ ﷺ مِنْ وَراءِ الحُجُراتِ ؟

٥ـ ما الأدبُ البَديلُ عَنِ اسْتِعجالِ الرَّسُولِ ﷺ ومناداتِهِ مِنْ خَلْفِ الأسوارِ ؟

نشاط :

١ـ اكتبْ في دفْتَرِكَ أدبَيْنِ كريمينِ نَتَأَدَّبُ بِهِما عِنْدَ ذكرِ اسمِ الرَّسُولِ ﷺ .

٢ـ اكتُبْ موضوعاً عَنِ الأدبِ في التَّعامُلِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وخاطِبْ بِهِ زُملاءَكَ في الصَّباحِ .

* * *

الدرس الثامن

سُورَةُ الحُجُرات - القِسْمُ الثَّاني

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

فاسقٌ : خارجٌ عَنْ أحكامِ الشَّرْعِ .

فتبيَّنوا : اطلُبوا البيِّنَةَ والدَّليلَ .

لَعَنِتُّم : لَوَقَعْتُم في الحَرَجِ والعَنَتِ وَالْمَشَقَّةِ .

بَغَتْ إحداهما على الأخرى : تَعَدَّتْ عليها بغيرِ حقٍّ .

تفيءَ إلى أمرِ اللهِ : ترجعَ إلى حُكْمِ اللهِ .

وَأَقْسِطوا : اعْدِلُوا .

التفسيرُ :

تَتَضَمَّنُ هذهِ الآياتُ تَوْجيهاتٍ حَوْلَ التَّأَكُّدِ مِنْ صِدْقِ الأخبارِ والتَّثَبُّتِ منها ، وتتضمَّنُ الإصلاحَ بينَ المؤمنينَ إن وقعَ بينهم نزاعٌ واقتتالٌ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

تبتدىءُ الآيةُ الأولى مِنْ هذهِ الآياتِ بنداءِ المؤمنينَ أيضاً وهوَ النِّداءُ الثالثُ للمؤمنينَ في هذهِ السُّورَةِ ، يقولُ اللهُ لهمْ فيه : يا أيها الذينَ آمنوا إنْ نَقَلَ لكم فاسقٌ خبراً فتثبَّتوا منهُ ، ولا تَبنوا عليهِ مواقفَ ؛ فقد يكونُ الخبرُ غيرَ صحيحٍ ، والمخبرُ غيرَ صادقٍ ، فيُخشى أن تَتَّخِذُوا مواقفَ عليها وتُصيبوا قوماً بجهالَتِكُم الحالَ ، فتندموا فيصيبَكم الغمُّ على وقوعِ شيءٍ كُنتُم تتمنونَ ألاّ يقعَ .

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ .

ويستمرُّ الخطابُ للمؤمنينَ وتذكيرُهم بفضلِ اللهِ عليهم بإرسالِ النَّبيِّ ﷺ إليهم ، هذا الرسولُ الكريمُ لو أطاعَكم واستجابَ لكم في كثيرٍ منَ الأمورِ والمواقفِ لوقعتم في الحَرَجِ ، ولكنَّ اللهَ حبَّبَ إليكمُ الإيمانَ وطاعةَ الرسولِ فامتثلتُم أمرَهُ ، ولم تتمسكوا بآرائِكم ، ولولا الإيمانُ لوقعتُم في المخالفةِ ، وبالتالي في الحَرَجِ ، ومن فضلِ اللهِ أَنَّهُ زَيَّنَ لكمُ الإيمانَ والطاعةَ ، ونفَّرَكُم منَ الكُفرِ والفِسقِ والتَّمرُّدِ على الطاعةِ ، ومن فعلَ الطّاعاتِ وتَرَكَ المعاصي والمنكراتِ فهمُ الراشدونَ .

وهذا مِنْ فضلِ اللهِ ونِعْمَتِهِ عليكم ، واللهُ عليمٌ حكيمٌ ، يعلمُ أينَ يضعُ فضلَهُ ومنْ يَسْتَحِقُّ هذا الفضلَ .

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ توجيهٌ للمؤمنينَ كي يحلُّوا خصومَتهم ونزاعاتِهم فتتكلَّمُ الآيةُ الأولى عن موقفِ المؤمنينَ إنِ اقتتلَ فريقانِ منهم ، والموقفُ هوَ أنْ نُصلحَ بينَ الطائفتينِ المُتقاتلتينِ بالنُّصْحِ ، وإزالةِ أسبابِ الخصامِ ، والرُّجوعِ إلى حُكْمِ اللهِ ، ومخاطبةِ العقلاءِ وأولي الأمرِ ، فإنْ بَغَتْ إحدى الطائفتينِ ، وتجاوزتِ الحدَّ ، واستمرتْ في القتالِ ، وأبتِ الصُّلْحَ ، ورفضتِ الإجابةَ إلى حكمِ اللهِ ، فقاتلوا جميعاً هذهِ الفئةَ الباغيةَ حتّى ترجِعَ إلى حكمِ اللهِ ، فإنْ رجعتْ فعاوِدوا الكَرَّةَ بالصّلحِ بينَ الفئتينِ بالعدلِ وإزالةِ أسبابِ الخصومةِ ، واحرصوا على العدلِ حتى لا يتجدَّدَ القتالُ إن بقيتِ المظالمُ بينَهما . واللهُ تعالىٰ يُحِبُّ المُقسطينَ فيجازيهم أحسنَ الجزاءِ .

وتُقَرِّرُ الآيةُ الثانيةُ قاعدةً عظيمةً ، وهي أُخوَّةُ الإيمانِ والمؤمنينَ ، فالمؤمنونَ يجمعُهُم جميعاً

أصلٌ واحدٌ هوَ الإيمانُ ، كما يجمعُ الإخوةَ أصلٌ واحدٌ وهوَ النَّسبُ ، وكما أن أُخوَّةَ النَّسَبِ داعيةٌ إلى التَّواصُلِ فبالأَوْلى الأُخوَّةُ في الدينِ داعيةٌ إلى التَّواصُلِ . وفيها دعوةٌ إلى إصلاحِ ذاتِ البينِ ، والإِصلاحُ يحتاجُ إلى تقوى اللهِ كي تَسْتَمِرَّ آثارُهُ ، وفي ذلكَ رحمةُ اللهِ تعالىٰ الواسعةُ .

دروسٌ وعِبَرٌ

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ ضرورةُ التَّثَبُّتِ منَ الأخبارِ ، فقد يُبنى على خبرٍ كاذبٍ ما يُؤَدّي إلى النَّدَمِ .

٢ـ لا يُقْبَلُ خَبَرُ الفاسِقِ وَشَهادَتُهُ .

٣ـ لو أطاعَنا الرَّسُولُ في كُلِّ آرائِنا لوقَعْنا في الحَرَجِ ، مما يدلُّ على أَنَّ الوحيَ خيرٌ لنا من آرائِنا ، والخِيَرَةُ فيما اختارَهُ اللهُ ورسولُهُ .

٤ـ مِنْ فضلِ اللهِ على المؤمنينَ أَنَّهُ زَيَّنَ الإِيمانَ في قلوبِهم ، وكَرَّهَ إليهمُ الكفرَ والفسوقَ والعِصْيانَ .

٥ـ إنِ اقتتلَ المسلمونَ فينبغي أنْ تقِفَ الأمةُ منهم موقِفَ المصلحِ ، وتحلَّ النزاعَ كما أمرَ اللهُ .

٦ـ المؤمنونَ إخوةٌ ، وأخوَّةُ الإيمانِ أعظمُ منْ أخُوَّةِ النَّسَبِ وغيرِهِ .

التقويم

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا يُطلَبُ مِنَ المؤمنِ عندَ سماعِ الأَخْبارِ ؟

٢ـ ماذا يترتَّبُ على التسرُّعِ في اتِّخاذِ المواقفِ ؟

٣ـ ماذا يحدثُ لو أطاعَنا الرَّسُولُ في كُلِّ أُمورِنا ؟

٤ـ أ ـ ما الذي حبَّبَهُ اللهُ إلينا ؟

ب ـ ما الذي كَرَّهَهُ اللهُ إلينا ؟

٥ـ أ ـ ماذا تفعلُ الأمةُ إذا اقتتلتْ فِئتانِ منها ؟

ب ـ وماذا تفعلُ إذا أصرَّتْ فئةٌ على عدمِ وَقْفِ القتالِ ؟

ج ـ وماذا تفعلُ الأمةُ إنْ خَضَعَت الفئةُ المتمرِّدةُ ؟

٦ـ ما الَّذي يَجْمَعُ المؤمنين ؟

نشاط :

ما الحِكْمةُ مِنْ ذِكْرِ الأُخوَّةِ في مَعْرِضِ الحديثِ عن القتالِ والخِصامِ ؟ اكتبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سُورَةُ الحُجُراتِ ـ القِسمُ الثَّالِثُ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

معاني المُفْرداتِ :

لا يَسْخَرْ قومٌ من قومٍ : لا يَحْتَقِرْ بعضُ المؤمنينَ بعضاً .

قومٍ : رجالٍ .

ولا تَلمزوا أنفسَكُم : لا يَعِبْ بعضُكم بعضاً .

ولا تنابَزوا بالألقابِ : لا يَدْعُ بعضُكم بعضاً بما يكرهُ منَ الألقابِ .

بئسَ الاسمُ الفسوقُ بعدَ الإيمانِ : ما أسوأَ أنْ يُذكَرَ المؤمنونَ بالفسقِ بسببِ ارتكابِ أحدِ الأمورِ الثلاثةِ .

إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ : بعضُ الظنِّ يُسبِّبُ الإثمَ ، أي الذَّنْبَ الذي يستحقُّ العقابَ .

ولا تجسَّسوا : لا تتبعوا معايبَ المسلمينَ .

ولا يغتَبْ بعضُكم بعضاً : لا يَذْكُرْ أحدُكم عيوبَ أخيهِ وهوَ غائبٌ .

خبيرٌ : عليمٌ بدقائقِ الأشياءِ .

شعوباً : جمعُ شعبٍ، وهوَ الجمعُ العظيمُ منَ النَّاسِ المنسوبِ إلى أصلٍ واحدٍ.

لتعارفوا : لِيعرِفَ بعضُكم بعضاً فتصِلوا الأرحامَ .

قصةُ هذهِ الآياتِ :

رُوِيَ أَنَّها نَزَلَتْ في قومٍ مِنْ بَني تميمٍ سَخِروا من بلالٍ وعمارٍ وصهيبٍ وأمثالِهم ، لِما رأَوْا مِنْ رثاثةِ حالِهم ، فأنزلها اللهُ تعالىٰ تأديباً وتعليماً للمسلمينَ .

التفسيرُ :

هذهِ الآياتُ الثلاثُ التي يتضمَّنُها هذا الدرسُ ، كلُّها توجيهاتٌ أخلاقيةٌ اجتماعيةٌ ، تمنعُ المجتمعَ مِنْ أنْ يَنْتَقِصَ بعضُهُ بعضاً ؛ لما يُحدثُهُ ذلكَ مِنْ عَداوَةٍ .

والملاحظُ أَنَّ الآياتِ الثَّلاثَ مُبتدأةٌ بالنداءِ ؛ اثنتانِ للذينَ آمنوا ، والثالثةُ للنَّاسِ . وقرَّرتِ الآيةُ الأخيرةُ قاعدةً في تساوي البشرِ في الأصلِ ، وتفاضُلِهم في التَّقْوى والعَمَلِ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

تبتدىءُ الآيةُ بِنداءِ الذينَ آمنوا بألاّ يحتقرَ المؤمنونَ بعضُهم بعضاً ، ولا يهزأَ بعضُهم من بعضٍ ، والسخريةُ هيَ احتقارُ الإنسانِ قولاً أو فعلاً بحضرَتِهِ على وجهٍ يُضحِكُ الناسَ ، وذكرتِ الآيةُ الرِّجالَ ، ثم النِّساءَ ليكونَ أَدْعى للتنفيذِ ، ثُمَّ نَهَتْ أنْ يلمزَ بعضُ المؤمنينَ بعضاً .

واللَّمْزُ أنْ يعيبَ الشَّخْصُ أخاهُ بقولٍ أو إشارةٍ ، سواءٌ أكانَ على وجهٍ يضحِكُ أم لا ، وسواءٌ أكان بحضرَتِهِ أم لا .

وكيفَ يسخرُ المؤمنُ منَ المؤمنِ ، فعسى أن يكونَ المسخورُ منهُ أو المسخورُ منها خيراً من الساخرِ أو الساخرةِ .

ونهتِ الآيةُ الثالثةُ عن التّنابُزِ بالألقابِ ؛ أيْ لا يَدْعُ بعضُكُم بعضاً بما يكرهُ منَ الألقابِ ، والذين يرمي بعضهم بعضاً بالألقابِ يدخلونَ في زُمْرةِ الفاسقينَ ، وبئسَ ما يَدْخُلون فيه ، ويَتَسَمَّون به ، وَتُهدِّدُ الذين يرفُضون الاستجابةَ لأَمْرِ اللهِ بأنْ يعذِّبَهم عذابَ الظّالِمينَ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

نادى الله المؤمنين مُحذِّراً إياهم مِنْ كَثيرٍ مِنَ الظُّنونِ التي تعتملُ في صُدورهم ، فكثيرٌ من الظُّنونِ بالآخرينَ باطِلةٌ ، وهيَ مِنْ وَساوسِ الشَّيْطانِ ، تُوقعُ صاحِبَها في الإثم ، وَنَهَتْنا الآياتُ أيْضاً عَنِ التَّجسُّسِ الذي يَفْضَحُ الأَسْرارَ ويكشفُ عوراتِ الآخرينَ ، كما نهتْ عَنِ الغِيبَةِ ، والغيبةُ ذِكْرُكَ أخاك بما يَكْرَهُهُ ، وكَرَّهَتِ الآيةُ الغِيبةَ بإظهارِ المُغْتابِ في صُورَةِ الذي يأكُل أَخاه مَيْتاً ، وهي صورةٌ شَنيعةٌ مُقزِّزَةٌ تَكْرَهُها النُّفوسُ وَتَنْفِرُ مِنْها .

وفي الآية الأخيرة نداءٌ لكلِّ الناسِ يُقرِّرُ حقيقةَ أَنَّ اللهَ خَلَقَهُم مِنْ ذكرٍ وأنثى ، فأصلُهم واحدٌ ، فهمْ مِنْ هذهِ النّاحيةِ سواسيةٌ ، وَمِنَ الرَّجُلِ والمرأةِ جعلَ اللهُ شعوباً كثيرةً وقبائلَ ليتعارفَ الناسُ فيما بينَهم ، لا ليستعليَ بعضُهم على بعضٍ ، ولا لِيتعارَكوا . ثمَّ قرَّر أَنَّ أكرمَ الخَلْقِ هُمْ أتقاهم للهِ . وخُتِمَتِ الآيةُ بقولهِ تعالىٰ ﴿إنّ اللهَ عليمٌ خبير﴾ فهو سبحانَهُ العليمُ بخلقِهِ ، الخبيرُ بهِم وبأحْوالِهم .

دروسٌ وعِبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الإسلامُ حريصٌ على وَحْدَةِ المجتمعِ ، فقدْ نهى القرآنُ عنِ الأخلاقِ السَّيِّئَةِ التي تُهدِّدُها .

٢ـ حَرَّمَ اللهُ على المؤمنينَ أن يَسْخَرَ بعضُهُمْ من بَعْضٍ ، وأن يرمِيَ بعضُهُم بَعْضَاً بما يَكْرَهُهُ مِنْ أَلْقابٍ .

٣ـ حَرَّمَ الله الغِيبةَ ، ومَثَلُ المُغتابِ مَثَلُ الذي يأكلُ لَحْمَ أخيه .

٤ـ ضرورةُ تجنُّبِ الظنِّ السَّيِّءِ ؛ لأنَّه خاطِىءٌ يتسبَّبُ في الوُقوعِ في الإِثْمِ .

٥ـ النّاسُ سَواسِيَةٌ لأنَّ أصلَهُم واحدٌ ، وأَكْرَمُهم في ميزانِ الله أَتْقاهم .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذكُرْ ثلاثةَ أخلاقٍ نهى عنها النصُّ الكريمُ في هذا الدَّرْسِ .

٢ـ ما حكمةُ النَّهيِ عن تلكَ الأخلاقِ الفاسدةِ ؟

٣ـ بِمَ شُبِّهَ اغتيابُ المُسْلمِ ؟

٤ـ ما أساسُ التَّفاضُلِ بينَ النّاسِ ؟

٥ـ اكْتُبْ في كلِّ فراغٍ ما يناسِبُهُ منَ الآياتِ الكريمةِ :

أ ـ لا يسخرْ قومٌ من ....

ب ـ ولا نِساءٌ من ....

ج ـ ولا تَلْمِزوا ....

د ـ ولا تَنَابَزُوا ....

هـ ـ بِئْسَ الاسْمُ .... بعدَ الإيمانِ .

و ـ إنَّ بعض الظنِّ ....

ز ـ أيحبُّ أحدُكُم أنْ يأكلَ لحمَ .... مَيْتاً .

ح ـ إنَّ أكرمَكُم عندَ اللهِ ....

نشاط :

اكتُبْ في دفترِكَ الحديثَ الشَّريفَ الَّذي يُعَرِّفُ فيهِ الرَّسُولُ ﷺ الغِيبةَ .

* * *

الدَّرسُ العاشِرُ

سُورَةُ الحُجُراتِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

آمنّا : صَدَّقْنا واطْمَأَنَّتْ قُلوبُنا .

أَسْلَمْنا : الإسلامُ : الانقيادُ الداخليُّ بالجَوارحِ .

يلِتكُم : يَنْقُصْكُم .

أَتُعَلِّمونَ اللهَ : أتخبرونَهُ بإيمانِكُم .

قصةُ هذهِ الآياتِ :

نَزَلَتْ في بني أسدِ بنِ خزيمةَ ، وقدْ أظهروا الإسلامَ نفاقاً طمعاً في الغنائمِ ، وكانوا يَمُنُّونَ على الرَّسُولِ ﷺ بإسلامِهِم ، فأنزلَ اللهُ تعالىٰ قرآناً يُبيِّنُ حقيقةَ الإيمانِ وصفاتِ المؤمنينَ .



التفسيرُ :

يشتملُ هذا الدَّرْسُ على خَمْسِ آياتٍ تَدورُ حولَ فريقٍ منَ النَّاسِ ادَّعَوُا الإيمانَ ، ولم يُحَصِّلوهُ حقيقةً ، ثُمَّ بيَّنَتِ الآياتُ صفاتِ المؤمنينَ حقاً .

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ .

تشتملُ هذهِ الآيةُ على دعوى قومٍ منَ الأعرابِ أنَّهم آمنوا ، وردَّ اللهُ عليهِم بأنَّهم لم يُؤْمِنوا ، ولكنْ علَّمَهُم أنْ يقولوا : أسلمْنا ؛ أيْ أطَعْنا بظواهِرِنا بانتظارِ أنْ يتَغَلْغَلَ الإيمانُ في القُلوبِ ، أما الآنَ فإنَّ الإيمانَ لم يصلِ القلوبَ بعدُ ، وإنَّما المسألةُ دعوى لسانٍ ، وإنْ تطيعوا اللهَ ورسولَهُ لا يَنْتَقِصْكُمْ من أجورِكم شيئاً .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ بيانُ صفاتِ المؤمنينَ حقاً ، فبيَّنَتِ الآيةُ بصيغةِ الحَصْرِ « إنَّما » أنَّ المُؤْمنينَ همُ الذينَ آمنوا باللهِ ورَسُولِه ، وصدَّقوا تصديقاً يقينياً جازِماً ، ثُمَّ لم يداخِلْهُم شكٌّ ولا ريبٌ في هذا الإيمانِ ، وبعدَ ذلكَ أتْبَعوا الإيمانَ جهاداً في سبيلِ اللهِ بأموالِهم وأنفسِهم ، أولئكَ همُ الصّادقونَ في إيمانِهم ، لا الَّذينَ تَقوَّلوا بألْسِنَتِهم فَقَطْ .

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ .

تسألُ هؤلاءِ الذينَ ادَّعوا الإيمانَ فتقولُ : هل تخبرونَ اللهَ تعالىٰ بحقيقةِ إيمانِكم ، وكأنَّها مسألةٌ غائبةٌ عنِ اللهِ تُعَلِّمونَهُ بها ؟ واللهُ تعالىٰ يعلَمُ كُلَّ ما في السماواتِ وما في الأرضِ ، وهوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ عليمٌ بكلِّ شيءٍ لا يحتاجُ إلى من يُعَلِّمَهُ ؛ فهوَ العليمُ الخبيرُ .

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

بيَّنَتِ الآيةُ هذهِ صفةً سَيِّئةً أُخرى في هؤلاءِ المُدَّعينَ الإيمانَ ، أنَّهمْ يمنُّونَ على النبيِّ ﷺ إسلامَهُم ، ويقولُ اللهُ تعالىٰ للنبيِّ ﷺ قُلْ لهم : لا تمُنُّوا عليَّ إسلامَكُم ، بلِ اللهُ يمنُّ عَلَيْكُم ، فهوَ صاحبُ الفضلِ ؛ إذْ هداكُم لِتُؤمنوا وتُسلِموا ، هذا إنْ كنتُم صادقينَ أنَّكم مسلمونَ مؤمنونَ .

ثُمَّ خُتِمَتْ آياتُ هذا الدَّرْسِ والسُّورَةُ كُلُّها بآيةٍ تُثبتُ العلمَ المطلقَ للهِ فقالت : إنَّ اللهَ يعلمُ غيبَ السّماواتِ والأرضِ ، وهو ـ سُبْحَانَهُ ـ بصيرٌ بكلِّ ما تعملونَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ الإيمانُ حقائقُ وليسَ دعاوى يَدَّعيها الإنسانُ بلسانِهِ .

٢ ـ المنافقُ مَنِ ادَّعى الإيمانَ بلسانِهِ ولم يؤمنْ قلبُهُ .

٣ ـ الإيمانُ الشَّرْعِيُّ اعتقادٌ في القلبِ وقولٌ باللسانِ وعملٌ بالجوارحِ .

٤ ـ مَنْ داومَ على أعمالِ الإسلامِ أَنْتجَتْ في قلبِهِ الإيمانَ بإذنِ اللهِ .

٥ ـ المؤمنُ الحقُّ هو الذي لا يرتابُ ، ويصدِّقُ إيمانَهُ ويثبِّتُهُ بالجهادِ في سبيلِ اللهِ .

٦ ـ عِلْمُ اللهِ مطلقٌ ولا أحدَ يُخْبِرُهُ بما لا يَعْلَمُ .

٧ ـ اللهُ هُوَ المُنْعِمُ على الإنسانِ بالهدايةِ إلى دينِهِ ، فعلى الإنسانِ أنْ يَشْكُرَ اللهَ على ذلكَ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ ـ أ ـ ما الّذي ادَّعاهُ الأعْرابُ ؟

ب ـ وهلْ قَبِلَ القرآنُ دَعْواهُم ؟

٢ ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿لا يَلِتْكُم﴾ .

ب ـ ﴿يَمُنّونَ عليك أنْ أَسْلَموا﴾ .

٣ ـ ما علامةُ الإيمانِ الحقِّ ؟

٤ ـ مَنِ الذي يَمُنُّ على الخَلْقِ ؟ وبماذا يَمُنُّ ؟

٥ ـ اذكُرِ الرَّدَّ القرآنيَّ على كلِّ دَعْوى مِمّا يلي :

أ ـ قالتِ الأعراب آمنَّا .

ب ـ يمُنُّونَ عليكَ أنْ أَسْلَموا .

الدرس الحادي عشر

سُورَةُ ق ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

تعريفٌ بالسّورة :

سُورَةُ ق مكّيةٌ ، وآياتُها خمسٌ وأربعونَ آيةً ، وترتيبُها في المصحفِ الخمسونَ ، وموضوعُ هذهِ السُّورَةِ هو القيامةُ (البعثُ والنشورُ) ، واستغرابُ الكافرينَ وتعجُّبهُمُ منها ، وأدلّتها الكونيّة ، ومشاهدُها الأُخْرَويّة .

معاني المُفردات :

ق : من الحروفِ المُقطَّعةِ التي تشير إلى التحدّي والإعجازِ .

والقرآنِ المجيدِ : قَسَمٌ بالقرآنِ الكريمِ الكثيرِ الخيرِ .

هذا شيءٌ عجيبٌ : يتعجَّبُ الكفارُ من البعثِ الذي أنذرَهم بهِ النبيُّ ﷺ .

ذلكَ رجعٌ بعيدٌ : البَعْثُ بعدَ الموتِ أمرٌ بعيدٌ عنِ الحصولِ .

تَنقُصُ الأرضُ منهم	تأكلُ الأرضُ من أجسادِهم بعدَ الموتِ .
كتابٌ حفيظٌ	سِجلٌّ يحفظُ تفاصيلَ الأشياءِ كُلَّها .
أمرٍ مَريجٍ	مُختلطٍ ومُضطربٍ .
فروج	صدوعٍ وشقوقٍ .
مدَدْنَاها	بَسَطْناها كَما تَبْدُو لِلْعَينِ .
رَواسيَ	جبالاً ثوابتَ تمنعُها من الاضطرابِ .
بهيجٍ	حَسَنِ المنظرِ .
مُنيبٍ	راجعٍ إلى ربِّهِ .
مباركاً	كثيرَ المنافعِ .
حبَّ الحصيدِ	حبَّ النباتِ الذي يُحصدُ كالقمحِ والشعيرِ .
باسقاتٍ	طوالاً .
طلعٌ	أولُ ما يخرجُ منَ النخلةِ ، ثم يصيرُ تمراً .
نضيدٌ	منضود أي : مرتَّبٌ متراكبٌ بعضُه فوقَ بعضٍ .
بلدةً ميتاً	أرضاً جدبةً لا زرعَ فيها .
كذلكَ الخروجُ	مثلُ إحياءِ تلكَ الأرضِ خروجُكم بالبعثِ من الأرضِ .

التفسيرُ :

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ .

آياتُ هذا الدَّرْسِ موضوعُها القيامةُ ، تبتدىءُ بالحروفِ المقطَّعةِ ، لاسيما حرفُ القافِ الذي هُوَ أولُّ حروفِ كلمةِ القيامةِ وأَبْرَزُها ، والمقصودُ منْ هذا الحرفِ وأمثالِهِ تَحدّي العربِ ، وإثباتُ إعجازِ القرآنِ ، وأَنَّهُ ليسَ في مستطاعِهم الإتيانُ بمثلِهِ .

وبعدَ حرفِ (قاف) أقسَمَ اللهُ تعالىٰ بالقرآنِ المجيدِ ، الكثيرِ الخيرِ والبركةِ والكرمِ ، ثمَّ انتقلَ النصُّ الكريمُ ، إلى استغرابِ الكافرين وتعجُّبِهم من موضوعِ القيامةِ الذي أنذرَهم إياهُ الرسولُ ﷺ ، من خلالِ ما بلَّغَهُم من آياتِ القرآنِ .

فقالوا عنِ القيامةِ وحديثِها : هذا أمرٌ مستغرَبٌ متعجَّبٌ منهُ . فهل إذا مِتنا وأصبحنا تراباً سنعودُ من جديدٍ ؟ ذلكَ أمرٌ مستبعَدٌ ورجوعٌ بعيدٌ . ويَردُّ عليهمُ القرآنُ الكريمُ بأَنَّ اللهَ الذي يَعلَمُ كُلَّ ذَرَّةٍ تندثرُ في الأرضِ منْ أجسادِهم ، ويُسَجِّلُها في كتابٍ حفيظٍ يحفظُ التفاصيلَ ، قادرٌ على أنْ يعيدَهم مِنْ جَديدٍ ، ولكنَّهم قومٌ كذَّبوا بالحقِّ الذي جاءَهم على لسانِ الرَّسُولِ ﷺ وهو هذا القرآنُ المتضمِّنُ البعثَ ، فأصبحوا في أمرٍ مختلِطٍ مضطربٍ .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ .

يلفتُ النصُّ الكريمُ نظرَ الكافرينَ الذينَ أنكروا البعثَ في هذهِ الآياتِ إلى السَّماءِ التي فوقَهُم ، كيفَ بناها اللهُ بناءً متيناً وزيَّنها ، فما ترى فيها من تشقُّقاتٍ ولا صدوعٍ فهي محكمةٌ ، وإلى الأرضِ كيفَ مدَّها اللهُ ، وجعلَها فسيحةً ، وثبَّتها بالجبالِ التي لولاها لاهتزتِ الأرضُ واضطربتْ ، وكيفَ أَنَّ اللهَ أنبتَ في هذهِ الأرضِ من كلِّ نوعٍ من النباتِ حسنٍ يسرُّ الناظرينَ .

وقد جعلَ اللهُ كلَّ ذلكَ بصائرَ وهدايةً لكلِّ عبدٍ راجعٍ إلى ربِّهِ بالتدبرِ في بدائعِ الصُّنعِ ودلائلِ قدرةِ اللهِ ، ويُضيفُ السيِّاقُ من آياتِ اللهِ الكونيةِ أَنَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ نزَّلَ من السَّماءِ ماءً كثيرَ البركةِ عظيمَ المنافعِ ، فأنبتَ بهِ حدائقَ وحبّاً مِنَ النَّباتِ الذي يُحصدُ كالقمحِ والشَّعيرِ ، وأنبتَ بهِ النَّخلَ الطوالَ التي لهَا طلعٌ مرتَّبٌ يكونُ بعدَ نُضْجِهِ تمراً يصبح رزقاً للعبادِ ، وغذاءً مهماً لهم ، وقد أحيا اللهُ بهذا الماءِ بلداً وأرضاً كانتْ جدبةً قاحلةً ، فكما أحياها اللهُ بهذا الماءِ فهوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ قادر على بعثِ البشرِ بعدَ الموتِ ، فهذهِ الآياتُ كلُّها دلائلُ قدرةٍ يَستَدِلُّ بها أصحابُ البصائرِ على أَنَّ اللهَ قادرٌ على البعثِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القرآنُ كثيرُ البركةِ والكَرَمِ ، من لاذَ بهِ استَغْنى عَنْ غيرهِ .

٢ـ تعجَّبَ الكافرونَ مِنَ البعثِ لأنَّهمْ قاسوا قدرةَ اللهِ على قدرةِ الخلقِ .

٣ـ عِلْمُ اللهِ محيطٌ مطلقٌ ، ومنْ صورِ هذهِ الإحاطةِ أَنَّهُ ـ سبحانَهُ ـ يعلمُ كلَّ ذرةٍ تتحلَّلُ من أجسامِ الأمواتِ أينَ تصيرُ ، وكلُّ ذرة في الكونِ مسجلةٌ ومحفوظةٌ .

٤ـ مَنْ كذَّبَ بالحقِّ اختلطتْ أمورُهُ واضطربتْ حياتُهُ .

٥ـ وجوبُ النظرِ في آياتِ اللهِ في الكون ، فهو طريقُ الإيمانِ والهدايةِ .

٦ـ نزولُ المطرِ من السَّماءِ ، وإنباتُ النّباتِ ، دليلٌ على البعثِ ، فالعاقلُ يستنتجُ مِمّا يرى من مظاهرِ قدرةِ اللهِ أَنَّهُ سبحانَهُ وتعالىٰ قادرٌ على بعثِ العِبادِ .

٧ـ رحمةُ اللهِ بالعبادِ مِنْ خلالِ ما يسوقُ لهمْ مِنْ مطرٍ ، ويُنبتُ لهمْ من رزقٍ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما العَلاقةُ بينَ الحرفِ في أوّلِ السُّورَةِ وموضوعِها ؟

٢ـ ما دَلالةُ الحروفِ المقطَّعةِ في أولِ السُّورِ القرآنيةِ ؟

٣ـ بيِّن مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿والقُرْآنِ المَجيدِ﴾ .

ب ـ ﴿ذلكَ رَجْعٌ بعيدٌ﴾ .

جـ ـ ﴿فهم في أمرٍ مريجٍ﴾ .

د ـ ﴿والنَّخْلَ باسقاتٍ لها طَلْعٌ نَضيدٌ﴾ .

٤ـ اذكر ثلاثةَ أدلَّةٍ كونيةٍ على قدرةِ اللهِ على البعثِ .

٥ـ ما الرّواسي ؟ وما فائدتها ؟

نشاط :

١ـ اكتب الآيةَ مِنْ سورةِ (يس) الدَّالَّةَ على إنكارِ الكافرينَ للبعثِ .

٢ـ اكُتبْ من سورةِ (يس) الآياتِ الدّالةَ على قدرةِ اللهِ في إِحياءِ الأرضِ وإِخراجِ النَّباتِ والشَّجرِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني عَشَرَ

سورةُ ق - القِسْمُ الثَّاني

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

معاني المُفْرداتِ :

الرَّسّ	: البِئْرِ ، وأصحابُ الرَّسِّ القومُ الذين كانوا مقيمينَ حولَها .
الأيْكَة	: الحدائقِ والبسَاتينِ ، وأصحابُ الأيْكةِ هم قومُ شُعَيْبٍ عليهِ السّلامُ .
وقومُ تُبَّعٍ	: قومٌ باليَمَنِ ، وتُبَّعٌ مَلِكُهُم ، وكُلُّ ملكٍ حكمَ اليمنَ في ذلكَ الوقتِ لقبهُ تُبَّعٌ .
فحقَّ وعيدِ	: وَجَبَ ونزلَ بهِ عذابي ووعيدي .
أفَعَيِينا بالخَلْقِ الأوَّلِ	: هلْ عَجَزْنا عنِ الخَلْقِ الأوَّلِ .
لَبْسٍ	: خَلْطٍ .
خَلْقٍ جَديدٍ	: الإعادةِ والبعثِ .
تُوَسْوِسُ بِهِ نفسُهُ	: تُحَدِّثُهُ بِهِ .
حَبْلِ الوَرِيدِ	: العِرْقِ الذي في باطنِ العُنُقِ .
يتلقَّى المُتَلَقِّيَانِ	: يَكْتُبُ المَلَكانِ في صَحيفتَي الحَسناتِ والسّيئاتِ .
رقيبٌ	: حافظٌ .

عتيدٌ : مُعَدٌّ مهيَّأٌ حاضرٌ لا يفارقُ .

سكرةُ الموتِ : شِدّةُ الموتِ وكَرْبُهُ .

بالحقِّ : بحقيقةِ الأمرِ من سعادةِ الميِّتِ وشقائِهِ .

تَحِيدُ : تتهرَّبُ .

سائقٌ : مَلَكٌ يسوقُها إلى المحشَرِ .

وشهيدٌ : مَلَكٌ يشهدُ عليها بِعَمَلِها .

التفسيرُ :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

تَتضمَّنُ هذهِ الآياتُ الثلاثُ صوراً من التاريخِ لأقوامٍ من المكذِّبينَ بالبعثِ ، ذكرَ النصُّ الكريمُ منهم سبعةَ أقوامٍ انتُهوا بالعذابِ في الدُّنيا ، واستحقُّوا العذابَ في الآخرةِ ، وذكرَ قِصَصَهُم تسليةً للرَّسُولِ ﷺ ، وتهديداً للكافرينَ المكذّبينَ .

يقولُ النَّصُّ الكريمُ مُواسياً النبيَّ الأمينَ ﷺ : إنَّ قومَكَ ليسوا أوَّلَ منْ كذَّبَ الرُّسُلَ في عقيدةِ البعثِ ، فقدْ كَذَّبتْ قبلَ قومِكَ أقوامٌ منهم على سبيلِ المثالِ :

قومُ نوحٍ ، وقومٌ آخرونَ كانوا مقيمينَ عندَ بئرٍ يعيشونَ حَوْلَها ، لم يُسَمِّهِمُ القرآنُ كما سمَّى غيرَهُم ، وقومُ صالحٍ ثمودُ ، وعادٌ قومُ هودٍ ، وفرعونُ ، وقومُ لوطٍ وسمَّاهُمُ القرآنُ : إخوانَ لوطٍ ، وكذلكَ كذَّبَ أصحابُ الجنَّاتِ والبساتينِ وهُم قومُ شُعيبٍ ، وقومُ تُبَّعٍ ، وكانوا باليمنِ . كُلُّ هؤلاءِ كذَّبوا الرُّسُلَ فاستحقُّوا وعيدي وتهديدي ، ووجَبَ عليهم عذابي .

﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

هذهِ الآياتُ الأربعُ تُفَنِّدُ تكذيبَ المُكَذّبينَ بيوم الدينِ ، فتسألُهم الآيةُ الأولى : هَلْ عَجَزْنا عَنْ إيجادِكم أولَ مرّةٍ ؟ فكيفَ نَعْجَزُ عن إعادَتِكُم ، ونحنُ لمْ نَعْجَزْ عن إنشائكم أوَّلَ مرةٍ ؟ ولكنَّ القومَ في خَلْطٍ والتباسٍ من إعادةِ خَلْقِهِم منْ جديدٍ .

والحقُّ أنا خلقنا الإنسانَ ونعلمُ كُلَّ ما يدورُ في نفسِهِ من خطراتٍ ، ونحنُ أقربُ إلى الإنسانِ منْ

أقربِ شيءٍ إليهِ ، وضربَ القرآنُ لذلكَ مثلاً بالوريدِ الرئيسِ الذي في الرقبةِ والمسمَّى حبلَ الوريدِ .

وقدْ جعلَ مَعَ كُلِّ إنسانٍ مَلَكَيْنِ يَكْتُبانِ الحسناتِ والسَّيئاتِ فيسجلانِها ، أحدُهُما عنِ اليمينِ يُسجِّلُ الحسناتِ ، والآخرُ عنِ الشِّمالِ يُسجِّلُ السيئاتِ ، كُلٌّ منهُما قاعدٌ منتظِرٌ لا يفوتُهُ شيءٌ ، فهوَ يبادِرُ إلى تسجيلِ كُلِّ عملٍ وقولٍ ، فلا يَنْطِقُ العبدُ لفظةً واحدةً إلاَّ لديهِ مراقبٌ ، مُعَدٌّ ، لا يغيبُ ، حافظٌ لكلِّ قولٍ .

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

هذهِ الآياتُ الثلاثُ بدأتْ بالبعثِ بعدَ أنْ بيَّنتْ أَنَّ الملَكَينِ يُسجِّلانِ كُلَّ شيءٍ فهما حاضرانِ مستَعِدّانِ لكتابةِ كُلِّ ما يصدُرُ عنِ الإنسانِ ، فإذا جاءَ أجَلُهُ طُويتْ صحيفتُهُ ، فساعةُ الموتِ ـ وهيَ حقٌّ ـ لابدَّ أنْ يواجِهَها الإنسانُ ، ولحظةُ صدقٍ لابدَّ أن يمرَّ بها ، فلا بدَّ أن يقاسيَ كلُّ مخلوقٍ شدائدَ الموتِ وسكَرَاتِهِ ، فهذا حقٌّ لا محيدَ عنهُ ، مَعَ أَنَّ الإنسانَ كانَ يتهرَّبُ من مواجَهَتِهِ ، وهوَ ملاقيهِ أينما تَوَجَّهَ .

ثُمَّ انتقلتِ الآيةُ الثانيةُ منْ لحظةِ الموتِ إلى لحظةِ النَّفْخِ في الصُّورِ ، وهو البوقُ الذي يُنْفَخُ فيهِ ، فتقومُ الخلائقُ مِنَ القبورِ ، ذلكَ اليومُ هُوَ يومُ الوعيدِ والعذابِ الشديدِ لكلِّ مَنْ كذَّبَ بهذا اليومِ . وجاءتْ كُلُّ نفسٍ يسوقُها سائقٌ ، ويشهدُ عليها شهيدٌ كانَ حاضراً كُلَّ عملٍ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ التكذيبُ باليومِ الآخِرِ وصفٌ مشترَكٌ بينَ الأقوامِ الكافرةِ .

٢ـ كذَّبَتْ أقوامٌ كثيرةٌ باليومِ الآخِرِ ، فأخذَها اللهُ بالعذابِ الشَّديدِ .

٣ـ إنَّ الذي لمْ يَعْجَز عنِ الخلقِ الأوَّلِ قادرٌ على أنْ يُعيدَ الخَلْقَ مَرَّةً ثانيةً .

٤ـ كُلُّ إنسانٍ يُرافِقُهُ مَلَكانِ عنِ اليمينِ للحسناتِ ، وعَنِ الشِّمالِ يُقَيِّدُ السيِّئاتِ ، وكُلُّ قولٍ ولفظٍ يَنطقُ بهِ الإنسانُ خيراً كانَ أو شراً مُسَجَّلٌ عليهِ .

٥ـ الموتُ حقٌّ لابُدَّ أنْ يمُرَّ بهِ كُلُّ الناسِ .

٦ـ يومُ القيامةِ يُبدأُ بالنَّفْخِ في الصُّورِ ، وهوَ بوقٌ ضخمٌ لا يعلمُ قدرهُ إلا اللهُ ، عندَها تُبعَثُ كُلُّ نفسٍ يسوقُها سائِقٌ ويشهدُ عليها شهيدٌ .

التَّقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ عدِّدْ خمسةَ أقوامٍ كَذَّبتْ بالبعثِ .

ب ـ ما الحكمةُ من إيرادِ خبرِ هؤلاءِ الأقوامِ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمّا يأتي :

أ ـ ﴿أَصْحابَ الرَّسِّ﴾ .

ب ـ ﴿قومُ تُبَّعٍ﴾ .

ج ـ ﴿فحَقَّ وَعيدِ﴾ .

د ـ ﴿المُتَلَقِّيانِ﴾ .

هـ ـ ﴿حَبْلِ الوَريدِ﴾ .

و ـ ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الموتِ بالحَقِّ﴾ .

٣ـ كم مَلَكاً مَعَ الإنسانِ في الدُّنْيا ؟ وكمْ مَلَكاً معهُ حينَ البَعْثِ ؟

٤ـ صِلْ بينَ كُلِّ قومٍ والرَّسُولِ الذي أُرسِلَ إليهم في القائمةِ الآتيةِ :

القَوْمُ	الرّسلُ عَلَيْهِم السَّلامُ
أ ـ ثمود	أ ـ نوح
ب ـ عادٌ	ب ـ شعيب
ج ـ فرعونُ	ج ـ صالح
د ـ أصحابُ الأيكةِ	د ـ هود
هـ ـ موسى	
و ـ لوط	

تَعلَّمْ :

اشْتُهِرَ في الزَّمَنِ الماضي أسماءُ ملوكٍ في بقاعِ الأرضِ .

ففي اليمنِ يُسمَّى المَلِكُ تُبَّعاً .

وفي بلادِ الفُرْسِ يُسمَّى كِسْرى .

وفي بلادِ الرُّومِ يُسمَّى قَيْصَراً .

وفي مِصْرَ يُسمَّى فِرْعَوْنَ .

وفي الحَبَشَةِ يُسمَّى النَّجاشِيَّ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ العذابَ الذي أصابَ كلاً من الأقوامِ التاليةِ نتيجةَ تكذيبِهم لِرُسُلِهم :

أ ـ قومِ ثمودَ .

ب ـ قومِ عادٍ .

ج ـ قومِ فرعونَ .

د ـ قومِ لوطٍ .

هـ ـ أصحابَ الأيكةِ .

٢ـ اكتبْ مَا تَفْهَمُهُ مِنْ قولِ الرَّسولِ ﷺ عندَ موتِهِ : « سبحانَ اللهِ إنَّ للموتِ سكراتٍ » .

٣ـ اكتُبْ في دفترِكَ الآيَةَ التي تَدُلُّ على شهادةِ أعضائِكَ عليكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سُورَةُ ق ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

معاني المُفْردات :

فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ : أَزَلْنا عَنْكَ الغَفْلَةَ التي كانتْ تَحجُبُكَ عن الآخرَةِ .

فَبَصَرُكَ اليومَ حديدٌ : نافذٌ قويٌّ تُبصرُ بهِ ما كنتَ تَجحَدُهُ في الدُّنيا .

قرينُهُ : شيطانُهُ الذي يرافِقُهُ .

عتيدٌ : مُهَيّأٌ للعَرْضِ والحساب .

كفارٍ عنيدٍ : كافرٌ مُبالِغٌ في الكُفرِ والعِنادِ .

معتدٍ : ظالمٍ متجاوزٍ .

مريبٍ : شاكٍّ .

أُزلِفَت : قُرِّبتْ وأُدْنِيَت .

أوّابٍ حفيظٍ : رجّاعٍ إلى اللهِ حافظٍ لحدودِهِ .

منيب : راجع إلى الله مخلصٍ في طاعتِهِ .

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾

هذا مشهدٌ منْ مشاهدِ القيامةِ تَضَمَّنَتْهُ هذهِ الآياتُ الخمسُ ، وقد وردَ فيهِ الإلقاءُ في جهنَّمَ مرَّتَيْنِ .

تقولُ الآياتُ : إنّكَ أيُّها الكافرُ الذي عاينتَ الآخرةَ وأهوالهَا قد انكشَفَ عنكَ الغِطاءُ ، وزالَ عنكَ حجابُ الوهمِ الذي كانَ يُعطِّلُ بصرَكَ وبصيرتَكَ ، فأنتَ اليومَ حديدُ النَّظرِ بحيثُ تُبصرُ ما كنتَ تَجحَدُهُ وتنكرُهُ في الدنيا . وقالَ الملَكُ الموكّلُ بكتابةِ السِّيئاتِ من أعمالِ هذا الكافرِ : هذا ما لَدَيَّ حاضِرٌ ، ومعهُ سجلُّه ، وأصْبَحَ معدًّا ومهيأً للعرضِ ومناقشةِ الحساب .

عندئذٍ يقالُ للملَكَيْنِ السّائقِ والشّهيدِ : أَلْقِيا في جَهَنَّمَ وَاطَّرِحا في النّارِ كلَّ شديدِ الكفرِ ، معاندٍ للحقِّ ، كثيرِ المنعِ للخيرِ ، وشديدِ النهيِ عن فعلِهِ ، متجاوزٍ كلَّ الحدودِ ، شاكٍّ في اللهِ وفي الدِّينِ ، مشركٍ ادّعى مَعَ اللهِ آلهةً أُخْرى ، فألقياهُ في عذابِ جَهَنَّمَ الشّديدِ .

﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

قالَ ـ عندئذٍ ـ الشَّيْطانُ الملازِمُ لهذا الإنسانِ : ربَّنا إنَّني ما أضللتُهُ ولكنَّهُ هوَ الضالُّ ، وكلُّ الذي فعلتُهُ أنَّني زيَّنتُ له ، ودعوتُهُ ، ولم أُلزِمْهُ بالضَّلالِ . . ، بل هوَ الذي كانَ غارقاً في الضّلالِ البعيدِ .

فيقولُ اللهُ لهم : لا تَخْتَصِموا عِنْدي ، وقد سبقَ الوعيدُ لكمْ على لسانِ الرُّسُلِ بأنَّ منْ كذَّبَ عُذِّبَ فلم تأْبَهوا ولم تَنْتَبِهوا ، وإنّ القولَ لا يتغيَّرُ عندي ، فالوعيدُ الذي سبقَ أن بُلِّغتموه هو الذي عايَنْتُموه . . ، ولستُ أَظْلِمُ عِبادي ، بل أَجْزِيهم بِعَمَلِهم بالعدلِ . . يومَ نقولُ لجهنَّمَ : هل اكتفيتِ ؟ هل امْتَلأْتِ ؟ فتجيبُ : إنّني أريدُ وأطلبُ المزيدَ ، فهلْ مِن مزيدٍ ؟ وذلكَ مُنتهى الوَعيدِ والتَّهْديدِ .

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

هذهِ الآياتُ السِّتُّ تتكلَّمُ عن مصيرِ المتقينَ وجزائِهم ونعيمِهم ، وهذا أسلوبُ القرآنِ في التَّرغيبِ والترهيبِ ؛ فكلَّما ذَكَر النارَ ذكرَ الجنَّةَ . الجنةُ التي تُقرَّبُ إلى المُتَّقينَ ، فتكونُ غيرَ بعيدةٍ

منهم إكْراماً لهم ، ويُقالُ لهم : هذا الذي كنتم تُوعدون يُجْزى به كُلُّ رجَّاعٍ إلى اللهِ ، حفيظٍ لعهدِهِ معه ، الذي خافَ ربَّهُ بالغيبِ ، وجاء إلى اللهِ بقلبٍ سليمٍ راجعٍ إلى اللهِ ، ويقالُ لهم : ادْخُلوها بسلامٍ مخلّدينَ ، فهذا يومُ الخلودِ ، فالحياةُ في الآخرة بلا نهايةٍ ، سواءٌ في النَّعيمِ أم في الشَّقاءِ والجَحيمِ . وفي الجنّةِ يُعْطَوْن مِنْ ألوانِ النَّعيمِ ما يشتهونَ وَيَطْلُبونَ ، ويزادُ لهم في العَطاءِ منْ غيرِ طلبٍ منهم .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافرُ في الدُّنيا في غَفْلةٍ كالنّائمِ لا يستيقظُ إلا بالموتِ والبعثِ .

٢ـ جَهَنَّمُ مصيرٌ وجزاءٌ لكلِّ كافرٍ معانِدٍ محاربٍ للهِ ودينِهِ مانعٍ للخَيْرِ .

٣ـ أَهْلُ النّارِ هم الكُفّارُ بالحَقِّ الذي أَنْزَلَهُ اللهُ ، والمُعانِدونَ للهِ ، المانِعُونَ خَيْرَهُم عَنِ العِبادِ ، المُعْتَدونَ على عِبادِ اللهِ ، المُرْتَابونَ في الحَقِّ ، الذين يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ آلهةً أُخْرَى يَعْبُدونَها مِنْ دُونِهِ .

٤ـ الشَّيطْانُ يُزيِّنُ فقط ، ولا يَمْلكُ الإلزامَ .

٥ـ تَخاصُمُ أَهلِ النّارِ حقٌّ بعدَ أنْ كانوا أصدقاءَ في الدُّنيا .

٦ـ مِنْ مظاهرِ إكرامِ المُتَّقينَ تقريبُ الجنّةِ لهمْ ، وإتحافُهم بألوانِ النَّعيمِ .

التقويم :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ ﴿فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَك فَبَصَرُكَ اليومَ حديدٌ﴾ .

ب ـ ﴿وأُزلفتِ الجنَّةُ﴾ .

ج ـ ﴿قرينه﴾ .

د ـ ﴿أوّابٍ حفيظٍ﴾ .

٢ـ ما جَوابُ جَهَنَّمَ عَنْ سُؤالِ اللهِ لها عنِ امتلائِها ؟

٣ـ اكتُبْ في كلِّ فراغٍ ما يناسُبهُ من الآياتِ :

أ ـ ادْخُلوها . . . . ذلكَ يومُ الخلودِ .

ب ـ هذا ما تُوعَدونَ لكلِّ أَوّابٍ . . . .

ج ـ وأزلفتِ . . . . للمُتَّقينَ غيرَ بعيدٍ .

د ـ ما يُبدَّلُ القولُ لديَّ وما أنا . . . . للعبيدِ .

هـ ـ لهم ما يشاءونَ فيها ولَدَينا . . . .

نشاط :

اكتُبْ في دفترِكَ الآيةَ من سورةِ الحَشْرِ الدالَّةَ على تضليلِ الشيطانِ للإنسانِ .

* * *

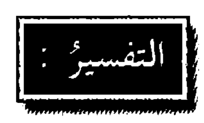
الدَّرسُ الرَّابعَ عشَرَ

سورةُ ق ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

- قرنٍ : قوم .
- بَطْشاً : قُوَّة .
- نَقّبوا : سَارُوا وَطافُوا .
- مَحِيصٍ : مَهْرَب .
- لُغوبٍ : تَعَبٍ .
- وسَبِّحْ : نَزِّهْ رَبَّكَ .
- قبلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وقبلَ الغروبِ : وَقْتَ الفَجْرِ وَوَقْتَ العَصْرِ .
- وأدبارَ السُّجودِ : أَعْقابَ الصَّلَواتِ .
- الصَّيْحَةَ : النَّفخةَ الثانيةَ .
- الخُرُوج : البَعْثِ منَ القبورِ .
- تَشقَّقُ الأرضُ عنهم : تنفلِقُ الأرضُ فيخرجونَ منها .
- بِجَبّارٍ : بِمُسلَّطٍ عليهم تُجبرُهم على الإيمان .



﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يُذكِّرنا الله في هاتين الآيتين بقِصَصِ الأولينَ وتاريخِ الماضينَ ، وكيفَ أنّهم لمّا كذّبوا بالآخرةِ عُذِّبوا ، فتقولُ : كثيرٌ منَ الأممِ أهلكناهُم منْ قبلِ قومِكَ وقدْ كانوا أشدَّ قوةً منهم ، فساروا في البلادِ يَبحثونَ عن مَهرَبٍ فلم يجدوا . . . ، إنَّ في ذلكَ العذابِ لتذكرةً لمنْ كانَ لهُ قلبٌ حَيٌّ ، أو استمعَ الكلامَ ، وهو شاهد العقل حاضرٌ .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

ثم انتقلَ السِّياقُ مِنَ التاريخِ إلى الكونِ مرةً أخرى ، فقالَ : لقد خَلَقنا السماواتِ والأرضَ وما بينهما في مدة ستةِ أيامٍ ، واللهُ يستطيعُ خلْقَها في لمحةِ بَصَرٍ ، ولكنْ ليعلِّمنا التّدَرُّجَ والأناةَ ، ليقولَ اللهُ : إنه خَلَقَ هذا الكونَ ، وما أصابَهُ تعبٌ ، وهذا يَردُّ على زعمِ اليهودِ القائلينَ بأنَّ اللهَ تَعِبَ مِنْ خَلْقِهِما فاسْتَراحَ يومَ السبتِ قاتَلَهُمُ اللهُ .

ثُمَّ يقولُ النصُّ للنبيِّ الكريمِ ﷺ : اصبرْ على ما يقولونَ ، ونزِّهْ ربَّكَ تعالى عنْ كلِّ ما لا يليقُ ، وسبِّحْهُ قبلَ طلوعِ الشّمسِ ، أي : وقتَ صلاةِ الفجْرِ ، وقبلَ الغروبِ ، أيْ : وقتَ صلاةِ العصرِ ، وباللّيل أي : وقتَ المغربِ والعشاءِ ، وسبِّحْهُ عَقِبَ الصلواتِ .

واستمعْ يومَ يُنادي المُنادي مِنْ مكانٍ قريبٍ ، في ذلكَ اليوم يسمعونَ النّفْخةَ الثانيةَ ، وهيَ حقٌّ لا ريبَ فيها فذلكَ هوَ الخروجِ منَ القبورِ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾

يقرِّرُ اللهَ أنهُ هوَ الذي يُحْيي ، وهو الذي يُميتُ ، وإليهِ المصيرُ ـ سبحانَهُ ـ يومَ تنفلِقُ الأرضُ ، فتُخْرِجُ ما فيها من النّاسِ ، فيخرجونَ سِراعاً ، وذلكَ جمعٌ للناسِ يسيرٌ على اللهِ ، وسهلٌ لا يُعجزُهُ سبحانَهُ .

وخُتِمَتِ السُّورَةُ بتقريرِ عِلمِهِ تعالى ، كما بُدِئتْ ، بتقريرِ عِلْمِهِ ، يقول : نحنُ أعلم بكل

ما يقولونَ ، ولستَ ـ أيها النبيُّ ـ مسلّطاً عليهم تُجبِرُهُم على الإيمانِ ، فانصرفْ عن تقوُّلاتِهم ، وذكِّرْ بالقرآنِ من يخافُ عذابَ اللهِ ووعيدَهُ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كثيرةٌ هي الأقوامُ التي عذّبهَا اللهُ لمّا كَذَّبَتْ ، وكانوا أشدّ قوةً منَ العربِ .

٢ـ السَّعيدُ الذيْ يتَّعظُ بما جَرَى لِغَيْرِهِ من أَهْلِ الضَّلالِ .

٣ـ لمّا وقعَ العذابُ لم ينفعِ المعذَّبينَ كلُّ محاولاتِ التَّهَرُّبِ .

٤ـ مما يُعينُ على الصَّبرِ الصَّلَواتُ ولا سِيَّما الفَجْرُ والعَصْرُ ، والتَّسْبيحُ عَقِبَ الصَّلواتِ .

٥ـ ليس النبيُّ مسيطراً ولا مجبراً أحداً على الإيمان ، بل هوَ داعيةٌ إلى اللهِ مذكِّرٌ منْ كانَ عِنْدَهُ قلبٌ حيٌّ وخافَ عذابَ الآخِرَةِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿فنقّبوا في البلادِ هل من محيصٍ﴾ .

ب ـ ﴿تشقّقُ الأرضُ عنهم سِراعاً﴾ .

ج ـ ﴿وما أنتَ عليهم بجبّارٍ﴾ .

٢ـ مَنِ الذّي يَنْتَفِعُ مِنْ ذِكْرَى التّاريخِ وعِبَرِ الماضينَ ؟

٣ـ ذكرَ النصُّ الصَّلواتِ الخمسَ . أينَ ذَكَرَها ؟

نشاط :

١ـ ما الأذكارُ التي سنَّها الرَّسُولُ ﷺ بعدَ صلاةِ الفريضةِ . اكتُبها في دفترِكَ .

٢ـ اكتُبْ مَوْضوعاً عَنْ تَدَبُّرِ القرآنِ الكريمِ واقرأْهُ على طلابِ مدرستِكَ في الصّباحِ .

الدرس الخامس عشر

سُورَةُ الذّارياتِ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾

تعريفٌ بالسُّورة :

سُورَةُ الذّارياتِ مَكِّيةٌ ، وآياتُها سِتُّون آيةً ، وترتيبُها في المصحفِ الحادية والخمسون ، وموضوعُها الرئيسيُّ بناءُ العقيدةِ الراسخةِ على أساسِ التَّقْوى ، ومنْ أهمِّ موضوعاتِها الرِّزقُ ، وأنَّ منْ مظاهرِ قدرةِ اللهِ رِزْقَهُ لعبادِهِ .

معاني المفردات :

وَالذَّارِياتِ ذَرْواً : يقسمُ اللهُ بالرياحِ التي تذرو أو ترفعُ السحابَ .

فالحاملاتِ وِقْراً : قَسَمٌ آخرُ بالغيومِ المحمّلةِ بالأمطارِ .

فالجارياتِ يُسراً : قَسَمٌ ثالث بالسُّحُبِ ، وهيَ تنتقلُ بيسرٍ مَعَ ثِقَلِ حمولَتِها .

فالمقسِّماتِ أمراً : قَسَمٌ رابع بها وهي تُمطِرُ حيثُ أمَرَها اللهُ تعالى .

إنّ الدينَ لواقعٌ	: إنّ الجزاءَ بعدَ الحسابِ حاصلٌ لا محالةَ .
والسّماءِ ذاتِ الحُبَكِ	: قَسَمٌ جديدٌ بالسّماءِ ذاتِ الصنعةِ المتقنَةِ .
قولٍ مختلفٍ	: قولٍ متناقضٍ في توحيدِهِ تعالى ، وفي البعثِ ، وفي الرَّسُولِ ﷺ .
يُؤْفَكُ عنهُ مَنْ أُفِكَ	: يُصْرَفُ عن الإيمانِ منْ صُرِفَ .
قُتِلَ الخَرّاصونَ	: لُعِنَ الكذابونَ أصحابُ القولِ المختلِفِ .
في غمرةٍ	: في جهالةٍ تَغْمُرُهُم .
ساهونَ	: غافلونَ .
يومَ همْ على النّارِ يُفتَنونَ	: يومَ يُحْرقونَ بالنّارِ .
يهجعونَ	: ينامونَ .
الأسحارِ	: جمعُ سَحَرَ ، وهو الجزءُ الأخيرُ من الليلِ .
السّائلِ	: منْ يسألُ الناسَ .
المحرومِ	: الذي لا يسألُ الناسَ، فيُحْرَمُ الصَّدقةَ، أوْ هوَ الذي لا يَجِدُ مالاً يُنْفِقُ منه .



التفسيرُ :

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

هذهِ الآياتُ السّتُّ منَ السُّورَةِ تتكلّمُ عن أهمِّ مصادرِ الرِّزقِ وهوَ المطرُ ، وقدْ ابتدئَتْ بالبدايةِ الأولى لتكوُّنِهِ ، فأَقْسَمَ اللهُ بالريحِ تذرو السَّحابَ الذي يتبخّرُ فوقَ البحارِ والمحيطاتِ ، فترفعُ بهِ الريحُ إلى أعلى ـ بأمرِ اللهِ ـ ثمَّ تنقلُهُ وهوَ مُثقَلٌ بالماءِ ، فتجري بهِ بيُسرٍ بأمرِ اللهِ إلى حيثُ يشاءُ اللهُ أنْ يُنْزِلَهُ ، ويوزِّعَ الرزقَ بعلمِهِ وحكمتِهِ ، ثمَّ قالَ بعدَ ذلكَ : إنَّ كلَ الذي توعدونَ ، أيُّها الناسُ ، من رزقٍ ومنْ أجلٍ ، ومِنْ حسابٍ كلُّ ذلكَ صادقٌ ، والجزاءُ على الأعمالِ واقعٌ لا محالةَ .

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

بعدَ أنْ أقسمَ اللهُ في المجموعةِ الأولى بالريحِ تذرو السَّحابَ الموقرَ ، وتنقلُهُ ثم يَنزلُ مطراً ،

يُقسِمُ في بدءِ هَٰذهِ المجموعةِ بالسّماءِ ذاتِ البناءِ الشديدِ المحكمِ المتقنِ ، ويقسِمُ على حقيقةٍ هيَ أنّ الكافرينَ في قولِ مضطربٍ مختلفٍ متناقضٍ ؛ إذ يعترفونَ بوجودِ اللهِ ويدعونَ معَهُ الشركاءَ! ويُنكرونَ البعثَ! ويجادلونَ في نبوّة النبيِّ ﷺ!

هذا القولُ المضطربُ جعلَ أصحابَهُ ينصرفونَ عنِ الإيمانِ ، ثم دعا على الكاذبينَ المفترينَ بالقتلِ ، واللّعنةِ ، وهمُ الذينَ في جهالةٍ تغمرُهُم ، ولهوٍ يشغَلُهُم ، ساهونَ عما ينتظرُهم ، يسألونَ عنْ يومِ الدِّين : متى يكون ؟ وكيفَ ؟

ويجيبُهُم اللهُ تعالى : يومَ يُحرقونَ بالنارِ سيُصَدِّقونَ بوجودِها ، ويقالُ لهم : ذوقوا عذابَكُم ، هذهِ النّارُ التي كنتُم تكذبونَ بها ، وتنكرونَها ، فهلْ صدَّقْتُم ، إذ حُرِّقتُم بها ، أنّها موجودةٌ ؟

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وتتحدَّثُ هذهِ الآياتُ عن المتقينَ ، وما أُعِدَّ لهم منْ نعيمٍ ، فتقولُ : إنَّ المتقينَ في نعيمٍ ، في جناتٍ وعيونٍ ، متمتعينَ بما آتاهمْ ربُّهمْ جزاءَ ما كانوا عليهِ في الدنيا ، فقدْ كانوا محسنينَ ، ومنْ صُوَرِ إحسانهم أنّهم كانوا يقومونَ الليلَ فقليلاً ما ينامونَ ، وقبلَ الفجرِ يستغفرونَ ، ويجعلونَ في أموالِهم نصيباً مفروضاً لِمَنْ يَسْأَلُ وَلِمَنْ لا يَسْأَلُ ، فهمْ للزكاةِ فاعلونَ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يُقسمُ اللهُ بالآياتِ الكونيةِ ليلفت نظرنا إلى عظمَتِها .

٢ـ وعدُ اللهِ من رزقٍ وأجلٍ وحسابٍ وغيرِ ذلكَ صادقٌ لا يَختلفُ ، والقيامةُ حقٌّ واقعٌ لا دافعَ لَهُ .

٣ـ الكُفّارُ مُتناقِضونَ في أقوالِهم واعتقاداتِهم ؛ فهمْ يفترونَ الكذب ، ويغرقونَ في الجهلِ والغَفْلَةِ .

٤ـ جزاءُ المتقينَ جناتٌ وعيونٌ ونعيمٌ مقيمٌ ، جزاءَ ما كانوا عليهِ في الدنيا من القيامِ والاستغفارِ بالأسحارِ والإنفاقِ في سبيلِ اللهِ .

التقويمُ :

أجب عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ كَمْ قَسماً في آياتِ هذا الدَّرْسِ ؟

ب ـ على ماذا أقسمَ اللهُ تعالى ؟

٢ـ ما مَعْنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ ﴿والذّارياتِ﴾ .

ب ـ وما مَعْنى ﴿الحُبُك﴾ .

ج ـ وما مَعْنى ﴿في قولٍ مختلفٍ﴾ .

د ـ ﴿قُتِلَ الخرّاصونَ﴾ .

٣ـ عَدِّدْ ثلاثَ صفاتٍ للمتقينَ ذكرتْها الآياتُ الكريمةُ .

٤ـ ضَع الكلمةَ القرآنيةَ المناسبةَ في كلٍّ من الفراغاتِ الآتيةِ :

أ ـ إنما توعدونَ ....

ب ـ والسَّماءِ ذاتِ ....

ج ـ قُتِلَ ....

د ـ يومَ همْ على .... يُفتنونَ .

هـ ـ إن المُتَّقينَ في .... وعيونٍ .

و ـ وبالأَسْحارِ هم ....

* * *

الدَّرسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سُورَةُ الذّارياتِ ـ القِسْمُ الثّاني

وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

آياتٌ للموقنينَ	: دَلائلُ لِلْمُوَحِّدين .
وفي أنفسِكم	: في نشأتِها وأطوارِها وسائِرِ أحوالِها .
وفي السَّماءِ رزقُكُم وما توعدونَ	: مكتوبٌ رزقُكُم في السَّماءِ ، وما توعدونَ من خيرٍ وشرٍّ كذلكَ .
إنه لحقٌّ	: ثابتٌ لا مِرْيةَ فيهِ .
مثلما أنّكم تنطِقونَ	: أيْ كمثلِ نطقِكُمُ الذي تعلمونَهُ وتوقنونَ بهِ .
ضيفِ إبراهيمَ	: الملائكةِ الذين نزلوا عندَهُ .
قومٌ منكرونَ	: غرباءُ لا نعرفُهُم .
فراغَ إلى أهلِهِ	: تسلّلَ إليهم في خفّةٍ وخُفيةٍ .
فأوجسَ منهم خيفةً	: أحسّ منهم في نفسِهِ خوفاً .
بغلامٍ عَليم	: هو إسحقُ عليهِ السلامُ .
في صَرَّةٍ	: في صَيْحَةٍ تعجبٍ من هذهِ البشارةِ .
فصكَّت وجْهَها	: لطمتْهُ بيدِها تعجّباً .



التفسيرُ :

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

تبتدىءُ هذهِ الآياتُ بتقريرِ أنَّ في الأرضِ آياتٍ لكلِّ من أرادَ الهدى ، وفي الأنفسِ آياتٌ تدلُّ على وجودِ اللهِ ؛ فوجودُنا بحدِّ ذاتِهِ آيةٌ ، والسّمعُ والبصرُ والعقلُ آيةٌ . ثم قَرَّرتْ حقيقة أَنَّ الرزقَ مكتوبٌ في السَّماءِ ، لا يتحكّمُ بهِ أهلُ الأرضِ ، قالتْ : وفي السَّماءِ رزقُكُمْ ، وفي السَّماء كذلكَ كلُّ ما توعدونَ من خيرٍ وشرٍ وثوابٍ وعقابٍ وبلاءٍ وإنعامٍ ، كلُّه في كتابٍ محفوظٍ .

ثُمَّ أَقسَمَ اللهُ على ذلكَ بقَسَمٍ عجيبٍ ، أقسمَ فيهِ باسم الربِّ ، وهو ربٌّ لهُ السَّماءُ والأرضُ فقالَ : فوربِّ السماءِ والأرضِ إنّهُ لحقٌّ ، وشبّهَ هذهِ الحقيقةَ وقرّبَها فقالَ : مثلما أنّكُمْ تَنطقونَ ، يعني : هل تَشكّونَ في أنكمْ تنطقونَ ؟ والجوابُ بالطبعِ : لا ، فكذلكَ حقيقةُ أنَّ رزقَكُم مقررٌ عِندَ اللهِ ، وما توعدونُ كذلكَ ، وهذا حقٌّ ثابتٌ لا شكَّ فيه مثلُ نُطقِكُم .

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

هذهِ المجموعةُ من الآياتِ كلُّها في قِصَّةِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ ، وهي تأكيدٌ للحقيقةِ السّابقةِ ، فاللهُ تعالى قد ساقَ لإبراهيمَ الملائكةَ تُبَشِّرُهُ بالولدِ ، وهوَ غيرُ قادرٍ على ذلكَ ، فهذا وعدٌ مكتوبٌ عندَ اللهِ لا يعلَمُهُ أحدٌ إلاّ اللهُ ، ولا يؤثّر فيهِ أحدٌ ، ولا يمنعُهُ عن إبراهيمَ أحدٌ ، كذلكَ في القصّةِ قصةُ قوم لوطٍ الذين توعّدهُمُ اللهُ بالعذابِ على لسانِ رسولهِ ، عليهِ السلامُ ، فها هو وَعْدُ اللهِ ينفّذُ لمّا جاءَ أَوانُهُ .

وتبتدىءُ بسُؤالٍ مُوَجّهٍ إلى سيدِ النبيّينَ محمدٍ ﷺ : هلْ بَلَغَكَ أيها النبيُّ حديثُ الضيوفِ مِنَ الملائكةِ المكرَّمينَ الذينَ جاءوا إلى إبراهيَم ؟ وقد سلّموا عليهِ عندما دخلوا فقالوا : نسلمُ عليكَ سلاماً ، وقال : وعليكم سلامٌ ، ثمّ قال في نفسِهِ : هؤلاءِ قومٌ غرباءُ لا نعرفُهم ، ومعَ هذا ذهبَ بخفَّةٍ دونَ أن يُشعرَ ضيوفَهُ ، ذهب إلى أهلهِ ، فأعدّ لهم طعاماً ، فما لبثَ طويلاً حتى عادَ إليهمْ بعجلٍ سمينٍ وأدناهُ منهم ، ووضعَهُ قريباً في متناوَلِهم ، وقال : تفضّلوا هذا طعامُكُم .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كلُّ ما في الكونِ آياتٌ تدلُّ على الله تعالى ، والأنفسُ فيها آياتٌ كذلكَ .

٢ـ رزقُنا وما نوعدُ بهِ من خيرٍ أو شرٍّ مكتوبٌ في كتابٍ في السَّماءِ . وعلى المؤمنِ أن يطمئِنَّ لوعدِ اللهِ الذي لا يؤثِّرُ فيه أحدٌ ؛ لأنَّ أقدارنا عندَ اللهِ .

٣ـ لطفُ اللهِ بالبشرِ حينَ يُقسمُ بِرَبِّهم لِيُصَدِّقوهُ وهوَ الرَّبُّ الجليلُ العظيمُ .

٤ـ قدرةُ الملائكةِ على التَشكُّلِ في صورةِ البشرِ ؛ فلا يعرفُهم حتى الأنبياءُ .

٥ـ من إكرامِ الضيفِ ألاّ تشعرَهُ بأنّكَ تُعِدُّ له طعامهُ ، وأنْ تقرِّبَهَ لَهُ بسرعةٍ .

٦ـ إكرامُ اللهِ لأوليائِه كما أكرمَ إبراهيمَ بإسحقَ على غيرِ المألوفِ والمعتادِ .

٧ـ قدرةُ اللهِ لا يحدُّها حدٌ ، فهو القادرُ على كلِّ شيءٍ .

التقويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عدِّد خمساً من الآياتِ الأرضيّةِ الدالَّةِ على قدرةِ اللهِ وتوحيدِهِ .

٢ـ عدِّد خمساً من آياتِ الأنفسِ .

٣ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿وفي السَّماءِ رزقكُم وما توعدونَ﴾ .

ب ـ ﴿فراغ إلى أهلهِ فجاءَ بعجلٍ سمينٍ﴾ .

ج ـ ﴿في صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وجْهَها﴾ .

٤ـ على ماذا أقسمَ اللهُ ؟

٥ـ ما عَلاقةُ قِصّةِ إبراهيمَ عليهِ السّلامُ بالآياتِ التي قَبْلَها ؟

٦ـ أ ـ ما اسمُ الولدِ الذي بُشِّرَ بهِ إبراهيمُ عليهِ السلامُ ؟

ب ـ ما صِفَةُ هذا الولدِ المذكورةُ بالبُشْرى ؟



اكتب ما قالَهُ زكريّا ـ عليه السّلامُ ـ عندما بشّرَهُ اللهُ بيحيى ـ عليهِ السّلامُ ـ كما جاءَ في أوّلِ سُورَةِ مَرْيَمَ .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ الذّارياتِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

فما خطبُكُم : فما الشأنُ الخطيرُ الذي أُرسلتُم لأجْلِهِ .

مُسوَّمَةً : مُعلَّمةً .

فتولّىٰ بِرُكْنِهِ : أعرضَ عَنِ الإيمانِ .

مُليمٌ : أتى ما يستحقُّ أنْ يلامَ عليهِ .

الرِّيحَ العقيمَ : الرّيحَ الشَّديدةَ التي لا خيرَ فيها .

كالرَّميم : كالهشيمِ المفتَّتِ .

فَعتَوا عن أمرِ ربِّهم : فاستكبروا عن طاعةِ ربِّهم .

فأخذتْهمُ الصَّاعقةُ : أهلكتْهُمُ الصّاعِقَةُ .



﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

آياتُ هذا الدَّرْسِ كلُّها من القَصَصِ القرآنيِّ ، تَتحدّثُ عن الذين كذّبوا ، وكيفَ عُذِّبوا ، وتبتَدىءُ الآياتُ التي نتحدّثُ عنها ضِمْنَ هذهِ المجموعةِ باستكمالِ قصّةِ إبراهيمَ عليهِ السّلامُ والملائكةِ ، وذلك بسؤالِ إبراهيمَ للملائكةِ بعدَ أنْ عَلِمَ أنَّ ضيوفَهُ ليسوا بشراً ، وإنّما هُمْ ملائكةٌ ، فلا بدَّ إذاً أنْ يكونوا أتَوا لأمرٍ مهمٍّ ، فيسألُهم : ما هذا الأمرُ الجَلَلُ المهمُّ الذي أرسلتم بهِ سوى أنّكم بَشَّرْتُموني بغلامٍ ؟ فتجيبُ الملائكةُ : إنا أُرسِلْنا لإهلاكِ قومٍ مجرمينَ ، بإرسالِ حجارةٍ من طينٍ مُعَلَّمةٍ مُعَدَّةٍ عندَ ربِّكَ لِرَجْمِ المُسرفينَ المتجاوزينَ لحدودِ اللهِ من قومِ لوطٍ . وجئنا لإنجاءِ المؤمنينَ من قومِ لوطٍ ، فأخرجناهم من القريةِ ، فما وجدنا فيها غيرَ بيتٍ واحدٍ من المستسلمينَ لأمرِ اللهِ هوَ لوطٌ وذرّيتُهُ ، أما زوجتُهُ فكافرةٌ ، ولقدْ تركنا آيةً وعلامةً في هذهِ القريةِ المهلَكَةِ تدلُّ على قدرةِ اللهِ ، وعلى تعذيبهِ للمكذِّبينَ ، كي يَعْتَبِرَ بهذهِ الآيةِ كلُّ منْ يخافُ أنْ يمسَّهُ العذابُ الأليمُ في الدُّنيا والآخرة .

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

أما الآياتُ المتبقيّةُ منَ الدّرسِ ففيها قصّةُ موسى وفرعونَ ، وعادٍ وثمودَ ، وقومِ نوحٍ ، وكيفَ أهلكَ اللهُ الكافرينَ مِنْ كلِّ هذهِ الأقوامِ .

تعطِفُ الآياتُ قصّةَ موسى على قصّةِ لوطٍ ، فهيَ تقولُ : إنّ في قصةِ موسى أيضاً آياتٍ ، فقدْ أَرْسَلناهُ إلى فرعونَ بسلطانٍ واضحٍ ، وهوَ مجموعةٌ منَ الآياتِ بلغتْ تسعاً ، منها العصا واليدُ . . . ومع هذا فقد استكبرَ واعتدّ بقوّتِهِ واغترَّ ، وأعرضَ عنِ الإيمانِ وكفرَ ، وقالَ عنِ الرّسولِ عليه الصّلاة والسّلامُ : هذا ساحرٌ أو مجنونٌ ، فأخذَهُ اللهُ وجنودَهُ مَعَهُ فَرَماهُمْ في البحرِ ، فأغرقَهُم وهمْ مستحقُّونَ اللّومَ والعقابَ الذي حلَّ بِهم .

وكذلكَ حَصَلَ لقومِ عادٍ مَعَ رَسُولِهم هودٍ ، فقد كذَّبوا رسولَهم ، فأرسلَ اللهُ عليهمُ الرّيحَ التي لا خيرَ فيها ، وهيَ شديدةٌ عاتيةٌ ، فأهلكتْهُم ودمَّرتْ كلَّ شيءٍ مرّتْ بهِ ، فجعلتْهُ مفتَّتاً كالهشيمِ المفتَّتِ .

وفي قصّةِ ثمودَ مَعَ رَسُولِهم صالحٍ آياتٌ كذلكَ ، فقدْ كَذَّبوا رَسُولَهم ، فأبلغَهمْ أنَّ العذابَ واقعٌ بهم خلالَ أيامٍ فتَمَتَّعوا في حياتِكُم حتى نهايةِ مُهلتِكُم ، فطغَوا ، وتَجاوَزُوا الحُدودَ ، وَخَرجُوا عنْ أمرِ ربِّهم وطاعتِهِ وعبادَتِهِ ، فأهلكهُم اللهُ بصاعقةٍ ضَرَبَتْهُمْ وهُمْ يَتَطَلَّعونَ وينظروَن ، فما استطاعوا فِراراً ، ولا قاموا مِنْ مكانِهم ، وما انتَصَروا في معركَتِهم مَعَ الحقِّ ، بل خُذلوا ، ودُمِّروا ، واندَثَروا .

وقومُ نوحٍ قبلَهُم في التاريخِ كذّبوا رَسُولَهم ، فأصابَهمُ العذابُ . إنّ هذهِ الأقوامَ كُلَّها كانتْ فاسقةً خارجةً عنْ أمرِ ربِّها ، وَمَنْ تَحَدّى اللهَ وخرجَ عن أمرِهِ قَصَمَهُ وأهلَكَهُ . هذا وعدٌ غيرُ مكذوبٍ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المَلائكةُ رُسُلُ اللهِ يرسِلُهُم في مهماتٍ جليلةٍ .

٢ـ قومُ لوطٍ أُهلِكوا بالخَسْفِ ، وَبِرَجْمِهم بحجارةٍ من طينٍ معدَّةٍ عندَ اللهِ .

٣ـ سنَّةُ الله في الأقوامِ عَرَضَتْها هذهِ الآياتُ : أنَّ مَنْ كَذَّبَ عُذِّبَ .

٤ـ اغترارُ فِرْعَوْنَ بقوّتِهِ دَفَعهُ للاستكبارِ فقصَمَهُ اللهُ بأذلِّ ميتةٍ وأشنَعِها .

٥ـ مَنْ حادَّ الله وحادَ عَنْ طريقهِ غُلبَ وأُهلِكَ .

التقويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ سَمِّ خَمْسَةَ أقوامٍ كَذّبوا فَعُذِّبوا ذكرتهمُ الآياتُ .

٢ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأْتي :

أ ـ ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ ربِّك للمُسْرِفينَ﴾ .

ب ـ ﴿فتولّى بركنِهِ وقالَ ساحرٌ أو مجنونٌ﴾ .

ج ـ ﴿فنبذناهم في اليمِّ وهو مُليمٌ﴾ .

د ـ ﴿الرّيحَ العَقيمَ﴾ .

٢ـ صِلْ بِخطٍّ بينَ العذابِ والقَوْمِ الذينَ أصابَهم بسببِ تكذيبِهم للرُّسُلِ :

العَذابُ	القَوْمُ
أ ـ حجارة مِنْ طينٍ	أ ـ ثمودُ قومُ صالحٍ
ب ـ الغَرقُ في الماءِ	ب ـ قومُ نوحٍ
ج ـ الصّاعِقةُ	ج ـ قومُ لوطٍ
د ـ الرّيحُ العقيمُ	د ـ عادٌ قومُ هودٍ
هـ ـ قومُ فِرْعَوْنَ	

نشاط :

عذّبَ اللهُ أبرهةَ وجيشَهُ بنوعٍ من الحجارةِ ، اكتُبِ الآيةَ الدّالةَ على ذلكَ في دفتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سُورَةُ الذّارِياتِ - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

والسّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ : والسَّماءَ بنيناها بقُدرتِنا وقوّتِنا ، لم يبنِها أحدٌ معنا .

وإنّا لمُوسعونَ : وسنوسِّع بنيانها على الأيامِ .

والأرضَ فرشناها : مَهَّدْناها كالفِراشِ .

فنِعمَ الماهدونَ : المُسَوّونَ المُصْلِحونَ .

فَفِرُّوا إلى اللهِ : فاهْرُبوا مِنْ عِقابِهِ إلى ثوابِهِ .

أَتَوَاصَوْا بِهِ : هل جَمَعَهُم على هذا القولِ وصيةُ بَعضِهم لبعضٍ .

ذَنُوباً : نَصيباً مِنَ العذابِ ، وأصلُ الذَّنوبِ الدَّلوُ الكبيرُ .

فَوَيْلٌ : هَلاكٌ وَحَسْرَةٌ .

التفسيرُ :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ .

تَبْتدىءُ الآياتُ الخمسُ هذهِ بتقريرِ أنَّ اللهَ تعالى بَنى السَّماءَ بقدرتِهِ وقوّتِهِ ، لمْ يُعاونْهُ أحدٌ ، تَعالى اللهُ عن أنْ يحتاجَ إلى مَعُونةِ أحدٍ ، فكيفَ يُشْرَكُ مَعَهُ غيرُهُ ما دام أنّهُ لم يَخلُقْ مَعَه ؟ واللهُ تعالى قادرٌ وفي وُسْعِهِ ذلكَ ، ـ وهوَ سبحانَهُ ـ خلَقَ السّماواتِ ، وجَعَلَها قابلةً للتمدُّدِ والتّوسُّعِ إلى ما شاءَ اللهُ ، وهذهِ حقيقةٌ اكْتَشَفَها العِلْمُ حديثاً .

والأرضَ جَعَلْناها لَكُمْ كالفِراشِ المُمَهَّدِ ، فأحسنّا تمهيدَها وتسويتَها ، فأكرم بنا ماهدينَ ومسوّينَ لها مُصْلِحينَ ، ثمَّ أشارتِ الآيةُ التّالِيةُ إلى نظامِ الزَّوْجيّةِ الذي قامَ عليهِ الكَوْنُ ، ففي الإنسانِ والنّباتِ والحَيوانِ والجَمادِ ظاهرةُ الزوجيّةِ واضحةٌ في كلِّ شيءٍ ، واللهُ وحدَهُ الفردُ الذي لا يحتاجُ إلى صاحبةٍ ولا شريكٍ ولا وَلَدٍ .

هذه الزَّوْجيّةُ في الكونِ تدلُّ على حكمةٍ ، وتَدُلُّ على الحكيم الموجودِ سبحانَهُ ، جعلها اللهُ لعَلّكُم تتذكرونَ حِكمةَ اللهِ وقدرةَ اللهِ ، فَتُوَحِّدوا اللهَ ، وتأمُرُ الآيةُ التاليةُ الخلْقَ أن يَفِرُّوا مِنْ عقابِ اللهِ إلى مَرْضاتِهِ فتقولُ : فَفِرُّوا إلى اللهِ . . إني لكم منه منذرٌ بيّنُ الإنذارِ ، ولا تُشْرِكوا مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ ، إنّي أُنذِرُكُم ذلكَ إنذاراً واضحاً بيّناً .

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

يُعَلِّمُنا اللهُ في هذهِ الآياتِ أَنَّ المُكَذِّبينَ مِنْ جَميعِ الأُمَمِ اتَّهَمَ كُلٌّ مِنْهم الرَّسُولَ الذي أُرْسِلَ إليه بالسِّحْرِ أو الجُنونِ فَهَلْ أَوْصى بَعْضُهم بعضاً بذلكَ أم أَنَّ الطُّغيانَ هو الذي جَمَعَهم ودَفَعَهم إلى قَوْلِ ذلكَ ؟ فاتركْهُم يا سَيِّدَ الأنبياءِ ؛ فلا لَوْمَ عليكَ ، وذكِّرْ منْ كانَ في قلبِهِ حياةٌ وإيمانٌ ، فإنَّ الذكرى تنفعُ المستعدِّينَ للإيمانِ . ثُمَّ قَرَّرَتِ الآياتُ التاليةُ أنّ الخَلْقَ مَخْلُوقونَ لِلْعِبادَةِ ، فقالَ اللهُ : ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدونِ﴾ أيْ لَمْ أخلُقْهم لِأَنّي أحتاجُ إِلَيْهِمْ حَتّى يَرْزُقوني ، بل أنا الّذي

أَرْزُقهُمْ ، ولا لِيُطْعِموني ، فأنا الذي أُطْعِمُهُم . قَرَّرتِ الآيةُ أنَّ اللهَ هوَ الرّزّاقُ صاحبُ القُوَّةِ المتينُ . وخُتِمَتِ السُّورَةُ بتقريرِ أنّ للمكذبينَ منْ هذهِ الأمّةِ عذاباً وافراً وافياً كعذابِ الذين سَبقوهُم ، فلا يَسْتَعْجِلوا نُزولَ هذا العذابِ . فويلٌ لِلذينَ كفروا . . ينتظرُهُم في يومٍ موعودٍ آتٍ لا يُخْلَفُ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ السَّماءُ آيةٌ عظيمةٌ منْ آياتِ اللهِ بناها اللهُ بقوّتِهِ .

٢ـ الأرضُ آيةٌ أُخرى أعدَّها اللهُ وهيَّأَها لعَيْشِ البشرِ .

٣ـ الزَّوجيّةُ ظاهرةٌ تنتظِمُ الكونَ إنسانَهُ وحيوانَهُ ونباتَهُ وجمادَهُ .

٤ـ التكذيبُ ، مَعَ وضوحِ الآياتِ ، هوَ القاسِمُ المُشْتَرَكُ بينَ الكافرِينَ مِنَ البَشَرِ .

٥ـ الحِكْمَةُ مِنَ خَلْقِ اللهِ الجنَّ والإنسَ هيَ العبادَةُ .

٦ـ اللهُ هو الرّازقُ ، وهو غنيٌّ عن الخَلْقِ ، وهمْ فُقَراءُ إليهِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْيْدٍ وإنّا لمُوسِعونَ﴾ .

ب ـ ﴿ففِرّوا إلى اللهِ﴾ .

ج ـ ﴿فإنَّ للذينَ ظلموا ذَنوباً مثلَ ذَنوبِ أَصْحابِهم﴾ .

٢ـ علامَ تَدلُّ ظاهرةُ الزوجيّةِ في الكونِ ؟

٣ـ ما الحكمةُ مِنْ خَلْقِ الإنسانِ والجانِّ ؟

٤ـ اذكُرِ الآيةَ الواْضحةَ الدالَّةَ على قُدْرةِ اللهِ تعالى في كلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ السّماءِ .

ب ـ الأَرْضِ .

ج ـ جَميعِ المخلوقاتِ .

نشاط :

اكتُبْ في دَفْترِكَ سورَةَ الإخلاصِ .

* * *

الدرس التاسع عشر

سُورَةُ الطُّورِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

تعريفٌ بالسّورة :

سُورَةُ الطُّورِ مَكّيّةٌ ، وآياتُها تِسْعٌ وأربعون آيةً ، وترتيبُها في المُصْحَفِ الثانية والخمسون ، وموضوعُها العقيدةُ ، تتكلّمُ في موضوعِ البَعْثِ والقيامةِ ، شأنَ كثيرٍ مِنْ سُوَرِ القرآنِ المكّيّ ، فتَعرِضُ عذابَ المكذّبينَ ، ونعيمَ المؤمنينَ .

وَسُمِّيتْ بسُورَةِ الطُّورِ لأنّ اللهَ بدأَ السُّورةَ الكريمةَ بالقَسَمِ بِالطُّور الذي كلّم اللهُ تَعالى عليهِ موسى عليهِ السَّلامُ .

معاني المُفردات :

وَالطُّورِ : يُقسِمُ اللهُ بطُورِ سَيْناءَ ، وهو الجبلُ الذي كلّم اللهُ موسى ـ عليهِ السلامُ ـ عِندَهُ .

وكتابٍ مسطورٍ : الكتابِ المكتوبِ المخطوطِ .

رَقٍّ : كلُّ ما يكتبُ فيهِ من وَرَقٍ أو جلدٍ أو نَحْوِهِما .

منشورٍ : مفتوحٍ غير مطويٍّ .

والبيتِ المَعْمُورِ : بيتٍ في السَّماءِ يناظرُ الكعبةَ تطوفُ به الملائكةُ .

والسَّقْفِ المَرْفوعِ : والسَّماءِ .

والبَحْرِ المَسْجُورِ : والبَحْرِ المَمْلوءِ ماءً والمُشْتَعِلِ ناراً .

تَمورُ : تَضْطربُ .

وتسيرُ الجبالُ : تزولُ عن أماكِنها .

فَوَيْلٌ : هَلاكٌ وحَسْرَةٌ .

في خَوْضٍ يلعبونَ : في اندفاعٍ للباطل يَلْهونَ ، لا يذكرونَ حِساباً .

يُدَعُّونَ : يُدفعونَ دفعاً شديداً عنيفاً .

اصْلَوْها : ادْخُلوها .



﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ ﴾ .

تبتدىءُ الآياتُ الأولى مِنَ السُّورةِ بالقَسَمِ ، فاللهُ تعالى أَقْسَمَ بخمسةِ أشياءَ متتابعةٍ :

* أقسم بالطُّورِ ، وهوَ طورُ سَيْناءَ ، الذي نُبِّىءَ عِندَهُ موسى ـ عليه السَّلامُ ـ وبعُثِ إلى بني إسرائيلَ ، والطّورُ في اللّغةِ الجبلُ : وهوَ في القرآنِ عَلَمٌ على طُورِ سَيْناءَ .

* ثُمَّ أَقْسَمَ بالكتابِ المَسْطورِ ، وهو اللّوحُ المحفوظُ . وهذا الكتابُ المسطورُ مكتوبٌ في رَقٍّ منشورٍ غيرِ مطويٍّ .

* ثُمَّ أقسمَ ثالثاً بالبيتِ المَعْمورِ ، وهو كعبةُ أَهْلِ السَّماءِ ، التي يحجُّ إليها الملائِكَةُ .

* ثُمَّ أقسمَ رابعاً بالسَّماءِ وهي السَّقْفُ المَرْفوعُ فوْقَنا ، كما قال سبحانه : ﴿وجعلنا السّماءَ سقفاً محفوظاً﴾ .

* ثُمَّ أقسمَ خامساً وأخيراً بالبحرِ الممتلىءِ ماءً والمُشْتَعِلِ ناراً .

هذهِ الأشياءُ كُلُّها أقسمَ اللهُ بها على أنَّ عذابَ اللهِ لواقعٌ ، لا يرفعُهُ ولا يدفعُهُ أحدٌ .

﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

هذهِ الآياتُ الثَّماني كُلُّها في مشاهدِ القيامةِ .

تَبْتدىءُ بذكرِ اليومِ الذي تَضْطربُ فيه السَّماءُ بشدَّةٍ ، وتزولُ الجبالُ عَنْ أماكِنها ، وتطيرُ كالسَّحابِ ، فالويلُ والحسرةُ في ذلكَ اليومِ للمكذِّبينَ بِهِ ، أولئكَ الذين يَنْدَفِعُونَ في باطِلِهم ، لاهينَ لا يذكُرونَ يومَ الحسابِ ، ولا يَخْشَونَ العِقابَ ، في ذلك اليوم يُدْفَعونَ إلى جهنَّمَ بعنفٍ ، ويُطرحونَ فيها ويقالُ لهم : ادخُلوا وقاسُوا حَرَّها وَشَدائِدَها ، فَلَطالَما كذَّبْتُم بها ، وادَّعَيْتمُ أنَّ ما جاءَكمَ مِنْ عندِ اللهِ سِحْرٌ ، فهل ما أنتمْ فيهِ من العذابِ سِحْرٌ أم أنتمْ لا تُبْصرونَ ؟ لقد آنَ لكمْ أنْ تُصَدِّقوا بها عِنْدَما تَذُوقونَ عذابَها العظيمَ ، وسواءٌ عَلَيْكُم حينَئذٍ أَصَبَرْتُم على عذابِها أم جَزِعْتُم منه ، إنما تُجْزَوْنَ الذي كنتمْ تَعْمَلونَه في حياتِكُم .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أقسمَ اللهُ بآياتٍ كونيةٍ ترتبطُ بالقيامةِ ، أقسمَ على أنَّ القيامةَ حقٌّ واقعٌ ، واللهُ وَحْدَهُ يُقسِمُ بما شاءَ مِنْ خَلْقِهِ ، ولا يجوزُ لنا ذلكَ .

٢ـ من آياتِ اللهِ يومَ القيامةِ اختلالُ نظامِ الكونِ ، فالسَّماءُ الثابتةُ تضطَرِبُ ، والجبالُ الرّاسِيَةُ تصبِحُ كالسّرابِ .

٣ـ المُكذِّبونَ بالآخرةِ سَيُصَدِّقونَ بها عندما يَصْلَونَ عذابَ الجحيمِ .

٤ـ الجزاءُ الإلهيُّ يومَ القيامةِ جزاءُ عَدْلٍ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ اذكُرِ الآياتِ الكَوْنيةَ الَّتي أَقْسَمَ اللهُ بها في مَطلَعِ سورةِ الطُّورِ .

ب ـ على ماذا أقسمَ اللهُ تعالى ؟

٢ ـ أ ـ ما الطُّورُ ؟

ب ـ ولماذا أقسمَ اللهُ بالطُّورِ ؟

٣ـ ما الكتابُ المَسْطورُ ؟

٤ـ ما البحرُ المَسْجورُ ؟

٥ـ وضِّحْ بلغتِكَ كُلاً مِنَ الآياتِ التاليةِ :

أ ـ ﴿في رَقٍّ منشورٍ﴾ .

ب ـ ﴿والبَيْتِ المَعْمورِ﴾ .

ج ـ ﴿والبَحْرِ المَسْجورِ﴾ .

د ـ ﴿يومَ تمورُ السماءُ مَوْراً﴾ .

هـ ـ ﴿الذين همْ في خَوْضٍ يَلْعَبونَ﴾ .

نشاط :

اكتُبْ في دفترِكَ مِنْ سورةِ القارِعَةِ الآيَةَ التي تدلُّ على عذابِ الكافرينَ .

* * *

الدَّرسُ العِشرونَ

سُورَةُ الطُّورِ - القِسْمُ الثَّاني

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

فاكِهينَ : مُنَعَّمين .

حُورٌ عِينٌ : الحَوَرُ شِدَّةُ بَياضِ العَيْنِ وَشِدَّةُ سَوادِها ، والعِيْنُ : الواسِعاتُ العُيونِ .

سُرُرٍ مصفوفةٍ : موضوعةٍ على صفٍّ ونسقٍ يقابلُ بعضُهم بعضاً .

ألحقنا بهم ذريَّتهم : أَتْبَعْنا بهم أَبْناءَهم ، وإن كانوا أقلَّ رتبةً منهم إكراماً لهم .

وما أَلَتْناهُم : وما نقَصْناهم مِنْ ثوابِ أعمالِهم شيئاً .

كلُّ امرىءٍ بما كسبَ رَهينٌ : كلُّ إنسانٍ مقترنٌ بعملِهِ مجزيٌّ بِهِ .

يَتنازَعونَ : يتعاطَوْنَ شراباً واحداً .

لؤلؤٌ مكْنونٌ : لؤلؤٌ محفوظٌ في الصَّدَفِ لم تَمسَّه الأَيْدِي .

مُشْفِقينَ : خائفينَ مِنْ عذابِ اللهِ تَعالى .

عذابَ السَّمومِ : عذابَ النّارِ النافذةِ في المَسامِ .

البَرُّ : المُحسنُ إلى عبادِهِ .



التفسيرُ :

آياتُ هذا الدَّرْسِ بأَجْمَعِها تتكلَّمُ عَنْ نَعيمِ أهلِ الجنَّةِ في الجنَّةِ . فبعدَ أن ذكرتِ السُّورَةُ عذابَ الكافرينَ بيّنتْ نعيمَ المُتَّقينَ .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

تبتدىءُ هذهِ الآياتُ بتقريرِ أنّ المتّقينَ في جَنّاتٍ ونعيمٍ سُعَداءُ مُنَعَّمونَ بما أعطاهمُ ربُّهمُ الذي نَجّاهُم من عَذابِ الجَحيمِ ، يُقالُ لهم : كُلُوا واشْرَبُوا هانِئين جزاءَ ما كُنْتُمْ تَعملونَ مِنْ أعمالٍ صالِحاتٍ في الدُّنيا . وهم مُتّكئونَ على سُرُرٍ وُضِعَتْ على صفٍّ وَنَسَقٍ يقابلُ بعضُهم بعضاً ، وَزَوَّجْناهم بَزْوجاتٍ مِنَ الحُورِ العينِ ، أي النِّساءِ ذواتِ الحُسْنِ والجَمالِ والعُيونِ الواسِعَةِ . ثُمَّ ذكرَ اللهُ منْ إنعامِهِ على المؤمنينَ أنْ يرفعَ درجاتِ أبناءِ المؤمنينَ الذينَ قَصَّروا عن آبائِهم ، لكنّهم كانوا مؤمنينَ يعملونَ الصّالحاتِ ، ولكنَّ رُتبتَهم أقَلُّ ، فإنَّ الله تَفضُّلاً منهُ يرفعُ درجتَهم إلى درجةِ آبائِهم ليتِمَّ النَّعيمُ لَهُمْ جَميعاً باجْتِماعِهم ، ولم يَنْقُصْ ربُّنا تعالى مِنْ أَجْرِ أَحْدٍ منهم شيئاً ، فكلُّ امْرِىءٍ وكلُّ إنسانٍ مقترنٌ بعملِهِ يجزيهِ اللهُ بهِ .

وقدْ أمدَّ اللهُ أهلَ الجنَّةِ بفاكهةٍ كثيرةٍ متنوعَةٍ ، ولحمٍ تشتهيهِ أنفسُهُم ، وألوانٍ من شَرابٍ يشربونَها ، وَيَدْعو بعضُهُمْ بَعْضاً إلى تَناوُلِها ، هذا الشَّرابُ لا لغوَ فيه ولا إثمَ كما في خَمْرِ الدُّنْيا ، ويطوفُ على خِدْمَتِهِم خَدَمٌ لهم كأنّهم لؤلؤٌ محفوظٌ لم تمسَّهُ الأيدي .

وأقبلوا يتحدَّثونَ بَيْنَهم ، ويسألُ بعضُهم بَعْضاً ، ويذكرونَ أحوالَ الدُّنْيا ، فقالوا : إنّا كُنّا في الدُّنْيا خائفينَ مِنْ عَذابِ ربِّنا ، فأمَّنَنَا اللهُ منَ العذابِ ، ومنَّ علينا بالنَّجاةِ مِنْ نارِ السَّمومِ التي تحرقُ مسامَ الجلدِ كريحِ السَّموم ، لَقَدْ كُنّا نَدْعُو ربَّنا بالنَّجاةِ منَ النّارِ ، فاستجابَ دُعاءَنا ، إنهُ المُتفضِّلُ على عبادِهِ بالإحسانِ ، الرَّحيمُ بِهِم .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشد الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ جَزاءُ المُتَّقينَ الجَنّاتُ والنَّعيمُ ، وَصُوَرُ النّعيمِ لا تُحصى ولا تُعَدُّ .

٢ـ مِنْ رَحْمةِ اللهِ بالمؤمنينَ أنْ يجمعَ شَمْلَهم يومَ القيامةِ ، فمنْ كانَ أقلَّ في درجتِهِ منْ أهْلِهِ رَفَعَهُ اللهُ إلى درجتِهِم لِيكمُلَ نَعيمُهم .

٣ـ الجزاءُ الأُخرويُّ الجزاءُ العَدْلُ ، فكلُّ إنسانٍ مقترنٌ بعملِهِ .

٤ـ شرابُ الجَنَّةِ لا إسكارَ فيهِ ، ولا إثمَ معهُ ، ولا قولَ لغوٍ يحدثُ نتيجةَ شربِهِ .

٥ـ أهلُ الجَنَّةِ كانوا في الدُّنْيا يخَافونَ العذابَ ، ويدعونَ ربَّهُم بالنَّجاةِ يومَ الحِسابِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ أربعةً من ألوانِ نعيمِ أهلِ الجنّةِ .

٢ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿فاكِهينَ﴾ .

ب ـ ﴿حُورٍ عينٍ﴾ .

ج ـ ﴿كلُّ امرىءٍ بما كَسبَ رهينٌ﴾ .

د ـ ﴿لؤلؤٌ مَكْنون﴾ .

٣ـ صِفْ حالَ أهلِ الجنّةِ في الدُّنيا كما ذكرتْهُ الآياتُ الكريمةُ .

٤ـ اكتُبِ الكلمةَ القرآنيةَ المناسِبَةَ في كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ ﴿إن المتَّقينَ في .... ونعَيمٍ﴾

ب ـ ﴿وَوَقاهُم ربُّهم عذابَ .... ﴾

ج ـ ﴿وزَوَّجْناهُم .... عينٍ﴾

د ـ ﴿ألْحَقْنا بِهِم ذُرِّيَتهم وما .... من عملِهم منْ شيءٍ﴾

هـ ـ ﴿إنّا كنا قبلُ في أهلِنا .... ﴾

نشاط :

ماذا تَفْهَمُ مِنْ كَوْنِ الرَّسولِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ دُعاءِ رَبِّه بقوله : « ﴿ربَّنا آتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النّارِ﴾ » . اكتُبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الحادي والعشرونَ

سُورَةُ الطُّورِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنونِ : ننتظرُ به حوادثَ الدَّهْرِ المُهْلِكِ أو أجلَهُ المحتومَ .

أحلامُهم : عُقولُهم .

قومٌ طاغونَ : مُجاوِزونَ الحدَّ في المُكابرةِ والعنادِ .

تقوّلَهُ : اختلقَ القرآنَ ، وجاءَ بِهِ منْ عندِه .

المُسَيْطِرونَ : الأربابُ القاهرونَ .

التفسيرُ :

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

آياتُ هذا الدرسِ كلُّها نقاشٌ مع الكافرينَ حولَ الرَّسُول ﷺ والقرآنِ والتَّوْحيدِ ، تبتدىءُ بأمرِ الرَّسُول ﷺ بأنْ يَثْبُتَ على التَّذكيرِ ويُداوِمَ عليه ، فهو بفضلِ اللهِ ليسَ كاهناً كما يزعمُ الكافرونَ

يتكلمُ عن الغيبِ بلا وَحْيٍ ، وليس مَجْنوناً يقولُ مالا يَقْصِدُ ، ينكرُ اللهُ على المُشْرِكيَن دَعْواهُمْ أنَّ الرَّسُولَ ﷺ شاعَرٌ يَنْتَظِرونَ أَنْ تُصيبَهُ صُروفُ الدَّهْرِ المُهلكةُ وحوادثُهُ الكثيرةُ ، فيموتَ وينتهى منهُ ، كما يزعمونَ ويتمنَّوْنَ . فَقُلْ رَدّاً عَلَيْهِم : انتَظِروا ، فأنا ايضاً مِنْ المنتظرينَ ، فسنرى لمنْ تكونُ العاقبةُ ، أم يزعمون أنهُ اختلقَ القرآنَ ، وجاء بِهِ من تِلقاءِ نفسِهِ . بل همْ قومٌ كافرونَ ؛ لا يؤمنونَ أنَّهُ كلامُ اللهِ .

وإنْ كانوا يَشكُّونَ أنّهُ كلامُ اللهِ ، ويعتقدونَ أنّهُ كلامُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلْيَقُولوا مِثلَهُ ولو بأقصِر جزءٍ منهُ إنْ كانوا صادقينَ .

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

ثُمَّ الْتَفتَ السِّياقُ إلى مَعْنى آخرَ في النِّقاشِ ، التفتَ إلى أَصْلِ خَلْقِهِم فَسَأَلَهُمْ : هَلْ خُلِقْتُمْ مِنْ غَيْرِ خالِقٍ أم أنتمْ خَلَقْتُم أَنْفُسَكُم ؟ لِيُفَهِّمَنا أنَّهم كافرونَ بمصدرِ وجودِهِم ، ومنْ هنا نشأتْ ألوانُ كفرِهِم .

أم همُ الذينَ خَلَقوا السماواتِ والأرضَ ؟ بل هُمْ قومٌ لا يعرِفُ اليقينُ قُلوبَهم وعُقولَهم . أم همُ الذينَ يملكونَ خزائنَ اللهِ التي يَرزُقُ منها خلقَهُ ؟ أم همُ المسيطرونَ على هذا الكونِ وما فيهِ ؟

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ النبيُّ ﷺ مُذَكِّر ، وينبغي ألاّ يعوقَهُ عَنِ التَّذْكيرِ عقباتُ الطريقِ ، وكذلكَ الدّاعِيَةُ إلى اللهِ .

٢ـ مِنْ أوهامِ الكافرينَ التي تَصُدُّهم عنِ الإيمانِ تَصوُّرُهُم أنَّ الرَّسُولَ شاعرٌ وكاهنٌ ومجنونٌ ، فهم قومٌ عطّلوا عقولَهم .

٣ـ تُعلِّمُنا الآياتُ الكريمةُ كيفَ نُقيمُ الحُجَّةَ على الكافرينَ . فالقرآنُ يَتحدّاهم بأنْ يأتوا بسُورَةٍ تُشبهُ القرآنَ في وجهٍ من وجوهِهِ إن شكّوا في ربانيتِهِ .

٤ـ العودةُ في الحوارِ إلى البديهياتِ مِنْ مثلِ : هَلْ هؤلاءِ الكافرونُ خَلَقوا أنفسَهُم أم اللهُ خَلَقَهم ؟

٥ـ إقامةُ الحُجَّةِ على المُكذِّبين باللهِ ، فالمُكَذِّبونَ إمّا أنَّهم خُلِقوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ ، أَو أَنَّهُم خَلقَوا أنفسَهُم ، وكلُّ ذلك باطلٌ ، وإذا ادَّعَوا كَذِباً وزُوراً أنَّهم خَلَقوا أَنْفُسَهُمْ ، فهلْ هُم الذينَ خَلَقُوا السَّماواتِ والأرضَ ، وإذا ثَبَتَ بُطلانُ كلِّ هذه الاحْتمالاتِ لم يبقَ إلا أنَّ اللهَ هو الَّذي خَلَقَهُمْ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما تَصوُّراتُ المشركينَ عنِ الرَّسُولِ ﷺ ، كما جاءَ في الآياتِ ؟

٢ـ ما مَعْنى :

أ ـ ﴿نتَرَبصُ بهِ ريبَ المنونِ﴾ .

ب ـ ﴿تأمُرُهُم أحلامُهم﴾ .

٣ـ كمَ مرَّةً تردَّدتْ كلمة « أم » في هذا الدَّرْسِ ؟

٤ـ كيفَ نُثْبِتُ رَبّانيةَ القرآنِ لمنْ يجادلونَ ؟

٥ـ اكتُبْ في كلِّ فراغٍ ما يناسبُهُ مِنَ الآياتِ :

أ ـ ﴿أمْ يقولونَ تقوَّلَهُ بلْ ....﴾

ب ـ ﴿أم خُلقوا مِنْ غيرِ شيءٍ أمْ ....﴾

ج ـ ﴿أم خَلَقوا السّماواتِ والأرضَ بلْ ....﴾

د ـ ﴿أمْ عِندَهُم خزائنُ رَّبك أمْ ....﴾

نشاط :

اكتُبْ في دفترِكَ آيةً فيها تَحدٍّ للكُفّارِ بأنْ يأتوا بِسُورةٍ مِنْ مثلِ هذا القرآنِ وردتْ في سُورَةِ البَقَرَةِ .

* * *

الدرس الثاني والعشرون

سُورَةُ الطُّورِ - القِسْمُ الرّابِعُ

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

معاني المفردات :

سُلّمٌ يستمعون فيه : مِصْعَدٌ يَصعدونَ به إلى السَّماءِ فيستمعونَ ما يدورُ هناكَ .

فهمْ منْ مَغْرَمٍ مُثقلونَ : فهمْ مِن ثقَلِ ما حمّلتَهم مُتعبونَ .

همُ المكيدونَ : همُ المغلوبونَ .

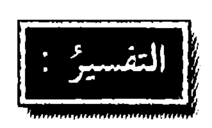
سحابٌ مركومٌ : غيمٌ متراكمٌ بعضُه فوْقَ بَعْضٍ .

يُصْعَقونَ : يُهلَكونَ .

دُونَ ذلكَ : غيرَ ذلك .

حينَ تقومُ : إمّا من النومِ ، وإمّا مِنَ المَجْلِسِ .

إدبارَ النجومِ : وقتَ غيابِها آخرَ الليلِ .



﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

تُواصِلُ الآياتُ في هذا الدَّرْسِ إقامةَ الحُجَجِ على الكافرينَ المكذِّبينَ ؛ فهيَ تبتدىءُ بسُؤالِ الكافرينَ : هل لَهُمْ مِصْعد يَصعدونَ فيهِ إلى السَّماءِ ، فيستمعونَ حديثَ الملأ الأعلى ، فيتكلمونَ بما يتكلمونَ بهِ عنْ علمٍ ، فليأتِ مستمِعُهم هذا بِحُجَّتِهِ أَنَّهُ كانَ يستمعُ ما يدورُ هناكَ .

وتسألُهُمُ الآيةُ التاليةُ : هَلِ اتَّخذَ اللهُ البناتِ وتركَ لكمُ البنينَ ؟ وكانَ المشركونَ يزعمونَ أنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ وهم يكرهونَ البناتِ فَسَأَلهمُ اللهُ : لِمَ جَعَلْتُم للهِ ما تكرهونَ ؟

والآيةُ التاليةُ سألتِ النبيَّ ﷺ ليُحاجَّ الكافرينَ : هل سألتَهُم أجراً فأثقلت عَلَيهمْ فهمْ منْ ثِقَلِ ما طلبت منهم من الأموال مُتعَبونَ ، فلذلكَ لمْ يَتَّبعُوك ؟ أمْ هلْ عِنْدَ هؤلاءِ الكافرينَ عِلْمُ الغيبِ فهمْ يَكتبونَ ما في الغيبِ ؟ أمْ هلْ يُريدونَ بكَ كيداً ؟ فإنّهمْ هُمُ المغلوبونَ ، الذينَ يحيقُ بهمْ كَيْدُهُم ، ويعودُ عليهمْ وبالُهُ ، أمْ لهم إلهٌ غيرُ اللهِ عزّ وجلّ تنزَّهَ اللهُ وتعالىَ عَمّا يَدَّعونَ وَيُشرِكونَ ، إنها أسئلة مُتلاحِقَةٌ تُظْهِرُ باطلَ المُشْرِكينَ وَضَلالَهم .

﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

انتهتِ الأسئلةُ في المجموعَةِ الأُولى ، وبدأتِ الآنَ في هذهِ المجموعةِ محاكَمَتُهُم ومحاسبَتهُم ، فابتدأتْ بعرْضِ مشهدٍ منْ مشاهدِ يومِ القيامةِ ، فهؤلاءِ الكافرونَ لعنادِهِمْ واستكبارِهِمْ إنْ يَرَوْا قِطْعَةً ضخمةً مِنَ السَّماءِ ساقطةً بعذابهم فإنّهم سيبادِرونَ لمكابَرتهم إلى القولِ : هذا غيمٌ مُتراكمٌ بعضُهُ فوقَ بعضٍ وكما قال مَنْ قَبْلَهُم مِنَ المُعذَّبين : ﴿هذا عارضٌ مُمْطِرُنا﴾ ، فاتركْ هؤلاءِ الكافرينَ ـ أيُّها النبيُّ ـ حتى يُلاقوا اليومَ الذي فيهِ يُهلكونَ ، إمّا بعذابٍ يُهلكهم في الدنيا أَوْ بأَخْذِهِم يَوْمَ القيامَةِ ، في ذلكَ اليوم لا يُجْدِيهم مَكْرُهُمْ ولا يُنصرون مِنَ اللهِ .

وإنَّ لهؤلاءِ الكافرينَ عذاباً غيرَ ذلكَ العذابِ ، لعلَّهُ يشيرُ إلى ما سيقعُ عَلَيْهِمْ في الدُّنيا مِنْ عذابِ

القَتْلِ والجَرْحِ في ٱلمعاركِ مَعَ المسلمينَ . ولكنَّ أكثرَ هؤلاءِ الكافرينَ لا يعلمونَ ما أعدَّ اللهُ لهم ، فاصبرْ أيُّها النبيُّ لحكمِ ربِّكَ وأَمْرِهِ وقضائِه فإنّكَ بمرأىً مِنَ اللهِ وحفظٍ ، وسبّحْ بحمدِ ربِّكَ ؛ أيْ سبِّحْهُ حامداً لَهُ حينَ تقومُ منْ مجلسٍ ، أو منْ منامِكَ ، أوْ حينَ تقومُ إلى الصلاةِ ، وَسَبِّحْ بالليلِ أيضاً ، ووقتَ غيابِ النُّجومِ آخِرَ اللّيلِ ؛ أيْ صلاةَ الفجرِ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافرونَ يدّعونَ على اللهِ ما لا يعلمونَ ، فَيَنْسِبونَ له بناتٍ وشركاءَ ، ولكنَّ كَيَدهُم لا يعودُ إلاّ عليهم .

٢ـ يَنبغي أَلاّ يَنْشَغِلَ الداعيةُ إلى اللهِ بما يفترِيهِ الكافرونَ ، بلْ عَلَيهِ الاستمرارُ في دعوتِهِ حتى يُبَلِّغَ دينَ اللهِ ، واللهُ تكفَّلَ برعايتِهِ وحِفْظِهِ .

٣ـ عَلى المُسْلِمِ أَنْ يَكون بَصيراً بالحَقِّ ، مُعْمِلاً عَقْلَهُ وَفِكْرَهُ في كَشْفِ باطلِ المُشْرِكينَ .

٤ـ يَنتظرُ الكافرونَ ألواناً منَ العذابِ في الدنُّيا والآخرةِ .

٥ـ التَّسْبيحُ في أوقاتٍ معينةٍ ، والصّلواتُ في أوقاتٍ مفضّلةٍ ، مما يعينُ على الصَّبْرِ والاستمرارِ في هذهِ الدعوةِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ فَسِّرْ كلاً منَ الآياتِ الآتيةِ :

أ ـ ﴿أمْ لهمْ سُلَّمٌ يستمعونَ فيهِ﴾ .

ب ـ ﴿فالذينَ كفروا هُمُ المكيدونَ﴾ .

ج ـ ﴿وسبّحْ بحمدِ رَبِّك حينَ تقومُ﴾ .

د ـ ﴿ومن اللّيلِ فسبحْهُ وَإدبارِ النجومِ﴾ .

هـ ـ ﴿واصبرْ لِحُكمِ ربِّك فإنَّكَ بأعيُنِنا﴾ .

٢ـ اكتبِ النهاياتِ المناسبةَ لكلٍّ مِنَ الآياتِ التاليةِ :

أ ـ ﴿أمْ لهمْ سُلَّمٌ يستمعونَ فيه . . . . ﴾

ب ـ ﴿أم لهُ البناتُ ولكمُ . . . . ﴾

ج ـ ﴿أم تسألُهْم أجراً فَهُمْ . . . . ﴾

د ـ ﴿أم يريدون كَيْداً . . . . ﴾

هـ ـ ﴿وإنْ يروا كِسْفاً من السَّماءِ ساقِطاً يَقولوا . . . . ﴾

نشاط :

١ـ اكتبِ الآيةَ الكريمةَ مِنْ سُورَةِ الحَجِّ الدالَّةَ على حِمايةِ السَّماءِ مِنَ اسْتراقِ السَّمْعِ .

٢ـ اكتُبْ آيةً قرآنيةً تَدُلُّ على أنَّ علمَ الغيبِ للهِ وَحْدَهُ .

٣ـ اكتبْ في دفتَرِكَ كمْ مَرَّةً تكررتْ كلمةُ « أَمْ » في سورةِ الطّورِ .

* * *

الدرس الثالث والعشرون

سُورَةُ النَّجْمِ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾

تعريفٌ بالسُّورة :

سُورَةُ النَّجْمِ مَكّيّةٌ ، وآياتُها اثنتان وستون آيةً ، وترتيبُها في المصحفِ الثالثة والخمسون ، وموضوعُها الرِّسالةُ والإيمانُ بالبَعْثِ والنُّشور ، والجزاءُ العادلُ يومَ القيامةِ . بدأتِ السُّورَةُ بالحديثِ عَنْ مَوْضوعِ المِعْراجِ الذي كانَ أحدَ مُعْجزاتِ الرَّسُولِ ﷺ وَخُتِمَتْ بالحديثِ عَنْ مصيرِ المُكَذِّبينَ بالرِّسالةِ مِنَ الأمُمِ السابقةِ ، وما حلَّ بِهِمْ مِنْ عَذابٍ ودَمارٍ ، كقوم عادٍ وثمودَ وقوم لوطٍ تذكيراً وتهديداً لكفارِ مكةَ منْ المصيرِ نَفْسِهِ في حالِ تكذيبِهِم لمُحَمَّدٍ عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ ، لأنّ مَنْ كذّبَ الرُّسلَ عُذِّبَ .

معاني المُفْردات :

والنَّجْمِ إذا هَوى : قَسَمٌ بالنَّجْمِ وقتَ غُروبِهِ .

هَوى : سَقَطَ إلى أسفلَ .

ما ضَلَّ صاحِبُكُم : ما حادَ عَنْ طريقِ الحقِّ .

ما غوى	: ما اعتقدَ باطلاً قطُّ .
وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى	: لا يَصْدُرُ نُطْقُهُ فيما يأتيكم بِهِ عَنْ هوى نفسِهِ .
وَحْيٌ يُوحَى	: مُوحىً بِهِ إليهِ منَ اللهِ .
عَلَّمَهُ شَديدُ القوى	: عَلَّمَ جِبْريلُ النَّبيَّ ﷺ .
ذو مِرَّةٍ	: ذو قُوَّةٍ وحكمةٍ .
فَاسْتَوى	: فاسْتَقامَ .
وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلى	: بالجِهَةِ العُلْيا منَ السَّماءِ .
ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى	: قَرُبَ جِبريلُ مِنَ النبيِّ عليهما السلامُ .
قابَ قوسَيْنِ	: قَدْرَ ما بينَ قَوْسَيْنِ من الأقواسِ العربيّةِ .
فَأَوْحى إلى عَبْدِهِ	: فأوحى جبريلُ إلى عبدِ اللهِ محمدٍ ﷺ .
ما كَذَبَ الفؤادُ ما رأى	: ما كَذَبَ فؤادُ محمدٍ ﷺ ما رآهُ بَصَرُهُ .
سِدْرَةِ المُنْتَهى	: شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ في السَّماءِ السّابِعَةِ ، ينتهي علمُ الخلائقِ عندَها ، ولا يعلمُ ما بعدَها إلاّ اللهُ .
جَنَّةُ المَأْوى	: الَّتي يَأْوِي المُتَّقونَ إليها .
ما زاغَ البَصَرُ وما طغى	: ما مالَ ولا تجاوَزَ .



﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ﴾ .

تَبتدئُ هذهِ السُّورَةُ الجَليلةُ بالقسَمِ بالنَّجْمِ ، وقتَ غروبِهِ أوْ سقوطِهِ بسرعةٍ ، على أنَّ محمداً ﷺ مُنزَّهٌ عَنِ الضَّلالِ والغِوايةِ ، فما عدلَ عنَ الطريقِ الحقِّ ولا اعتقدَ باطلاً قطُّ ، وهوَ صاحِبُكُمُ الذي تعرفونَهُ لطولِ صُحْبَتِكُم لهُ ، ولا يَصْدُرُ هذا النبيُّ فيما جاءَ بِهِ عَنْ هوى نفسِهِ ورأيِهِ ، فليسَ الذي يَنطِقُ بِهِ إلا وحيٌ يُوحَى به إليهِ مِنَ اللهِ تعالى ، بلَّغهُ إياهُ وعلَّمَهُ القرآنَ جبريلُ القويُّ الأمينُ ذو الحِكْمَةِ والقُوَّةِ ، وقد رآهُ النبيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ أَوَّلَ الوَحْيِ بِصورتِهِ الملائكيةِ الحقيقيّةِ حينَ استقامَ بالأفقِ بالجهةِ العليا منَ السَّماءِ فَسَدّ الفضاءَ ، وأمّا باقي مَرّاتِ الوَحْيِ ، فكانَ يأتي في صورةِ بَشَرٍ ، أو يَسْمَعُ صَوْتَهُ ولا يراهُ .

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ .

وقَدِ اقتربَ جبريلُ عليهِ السّلامُ منَ النبيِّ الأمين ﷺ ، حتى صارَ مِنْهُ قَدْرَ قوسينِ (أيْ ذِراعَيْنِ تقريباً) ، فكانَ جبريلُ قريباً جدّاً من النبيِّ ﷺ فالنبيُّ لا يَتَوَهَّمُ ، فأَوْحَى الملَكُ الأمينُ جبريلُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ما أوحى لَهُ منَ القرآنِ العظيمِ ، وما كَذَبَ فؤادُ محمدٍ ﷺ ما رأتْ عيناهُ ، لأنَّهُ عَرَفَهُ بقلبِهِ كما رآهُ بِبَصَرِهِ ، فهلْ تجادلونَهُ أيُّها الكافرونَ فيما يراهُ ؟ ولقدْ تكرَّرتْ رؤيةُ جبريلَ في صورتِهِ الحقيقيةِ مَرّةً أخرى ، وجبريلُ نازلٌ مِنَ السَّماءِ ، وذلكَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنتهى ؛ وهيَ شجرةٌ عظيمةٌ في السَّماءِ السّابعةِ لا يعلمُ قَدْرَها إلا اللهُ ، وعندَها وإليها يَنْتَهِي عِلْمُ الخلائِقِ ، وهناكَ جَنّةُ المأوى حيثُ يأوي المؤمنونَ إليها يومَ القيامةِ . ويغطّي السِّدْرةَ ما يغُطِّيها ويَغشاها ويَنْزلُ عليها مالا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ ، فما مالَ نظرُ النبيِّ ﷺ ولا بَصَرُهُ عنْ حقيقةِ ما يَرى ، ولا تجاوزَ ، بلْ هو يرى ما يرى حقّاً ، لقدْ رأى في ليلةِ المِعْراجِ من آياتِ ربِّهِ الكُبْرى .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ رأى النبيُّ ﷺ ليلةَ المعراجِ منْ آياتِ اللهِ في الكونِ ما رآه .

٢ـ رأى النبيُّ ﷺ جبريلَ في صورتِهِ الحقيقيَّةِ مرَّتَيْنِ : مَرَّةً في بدايةِ الوَحْيِ ، ومَرَّةً ليلةَ المِعْراجِ .

٣ـ نُطْقُ النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حقٌّ ، فلا يصدُرُ عنِ الهوى ، إنّما هُوَ وحيٌ يوحيهِ اللهُ إليهِ .

التقويمُ :

١ـ أ ـ كَمْ مَرَّةً تكرَّرتْ لفظةُ (الرُّؤية) في آياتِ الدَّرْسِ ؟

ب ـ على ماذا يدلُّ تَكَرُّرُ هذهِ اللفظةِ ؟

٢ـ ما الحَدَثُ الكبيرُ الذي تَتحدَّثُ عنهُ سورةُ النَّجْمِ ؟

٣ـ ما مَعْنى : ﴿والنَّجْمِ إذا هوى﴾ ؟

٤ـ أ ـ مَنِ الذي وَصَفَهُ القرآنُ بأنَّهُ ﴿ذو مِرَّةٍ﴾ ؟

ب ـ وما مَعْنى : ﴿ذو مِرّةٍ﴾ ؟

٥ـ ما مَعْنى : ﴿قابَ قوسينِ﴾ ؟ وماالقَوْسُ ؟

٦ـ ما مَعْنى : ﴿ولقد رآهُ نَزْلَةً أخرى﴾ ؟

أ ـ مَنِ الذي رأى ؟

ب ـ مَنْ المَرْئِيُّ ؟

٧ـ ما مَعْنى ﴿سِدْرَةِ المنتهى﴾ ؟

٨ـ مَنِ المقصودُ في كُلٍّ مِنَ الآياتِ الآتيةِ :

أ ـ ﴿ما ضلَّ صاحِبُكُم وما غوى﴾ .

ب ـ ﴿وما يَنْطِقُ عنِ الهوى﴾ .

ج ـ ﴿ثُمَّ دنى فتَدَلّى﴾ .

د ـ ﴿لقد رأى مِنْ آياتِ ربِّهِ الكُبْرى﴾ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ ما دارَ بينَ الرّسولِ ﷺ وجبريلَ عليهِ السّلامُ في غارِ حراءَ .

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ منْ أينَ بدأَ مِعْراجُ النبيّ ﷺ وإلى أينَ انتهى ؟

* * *

الدرس الرابع والعشرون

سورةُ النَّجْمِ - القِسْمُ الثَّاني

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

اللاَّتَ : رَجُلٌ صَالِحُ كان يَلِتُ السَّويق للحاجِّ بالطائِفِ على صَخْرَةٍ لقبيلةِ ثقيفٍ ، فلمّا ماتَ عَبَدوا تِلْكَ الصَّخْرَةَ .

والعُزّى : شجراتٌ لقبيلةِ غَطَفانَ كانوا يُعظِّمونَها ويعبدونَها .

ومناةَ : صخرةٌ لقبيلةِ هُذيلٍ كانتْ تقيمُ الشعائرَ عِنْدَها وتعظِّمُها وتعبدُها .

قسمةٌ ضِيزى : قِسْمةٌ جائرةٌ .

أم للإنسانِ ما تَمنّى : هل يحصلُ الإنسانُ على ما يشتهي ؟

سلطانٍ : برهانٍ ودليلٍ .



التفسير :

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

هذهِ الآياتُ الاثنتا عشرةَ موضوعُها التوحيدُ ، ومناقشةُ الكافرينَ في آلهتِهم الباطِلة ، وشركِهمُ المزعومِ . أما رَبْطُها بما سَبَقها من آياتٍ فإنّ الآياتِ السّابقةَ كانتْ تتكلّمُ عمّا رأى النبيُّ ﷺ من الآياتِ الكبرى . وهذه تبتدِىءُ الكافرينَ « أفرأيتم ؟ » كأنَّ السياقَ الكريمَ يقولُ : إن محمداً ﷺ رأى منْ دلائلِ قدرةِ الله وآياتِ اللهِ ما يُدهِشُ ، فما رأيتمْ أنتم ؟ أرأيتم أصناماً تافهةً أنتم صنعتموها ، وأنتم سَمَّيْتُموها ؟ وسَمّى النصُّ الكريمُ ثلاثةَ أصنامٍ كانتِ العربُ تعظِّمُها جهلاً وسفاهةً هي : اللاتُ ، وهي تحريفٌ للاسمِ الجليلِ اللهِ ، والعُزّى وهي تحريفٌ لاسمِ اللهِ العزيزِ ، ومناةُ وهي أعظمُ آلهةُ العرَبِ ، وهي ليست إلا صخرةً ، ويَصِفُها القرآنُ بأنَّها الثالثةُ الأخرى تحقيراً لها في مقابلِ تعظيمِ الوثنيّينَ المشركينَ منَ العربِ لها . وقد كانوا يزعمونَ أنَّ هذهِ الآلهةَ : اللاّتَ والعُزَّى ، ومناةَ بناتُ اللهِ ، فهم يعظِّمونَها لأنّها بناتُهُ ـ تعالى اللهُ عمّا يقولونَ ـ فيسألُهُمُ اللهُ : أجعلتم الذَّكَرَ لكمْ والأنثى التي تكرهونَها للهِ ؟ هذهِ قسمةٌ جَائرةٌ ظالمةٌ .

إنّ هذهِ الآلهةَ المزعومةَ إنْ هيَ إلا أسماءٌ لا حقيقةَ لَها ، ولا مُسمّىً واقعٌ بها ، وإنْ أطلقتُم عليها أوصافَ الآلهةِ وأسماءَها لمْ تصبحْ آلهةً ، فما لها إلا الاسمُ الذي أطلقتموهُ أنتم وآباؤُكم عليها ، ولمْ يجعلِ اللهُ لها وصفَ الألوهيّةِ ولا النبوّةِ كما تزعمونَ ، إنّكم إنّما تَتَّبعونَ الظنّ لا اليقينَ ، وما تشتهيهِ أنفسُكُم ، وقد جاءَكُمُ الهدى والحقُّ منْ ربِّكُم لو كنتُم تريدونَ الحقَّ ، فهلْ للإنسانِ كلُّ ما تشتهيهِ نفسُهُ ، والجوابُ بالطبعِ : لا .

إنَّ اللهَ هو الذي يَمِلِكُ الآخرةَ والأولى ، وهوَ الذي يُعطي ما يشاءُ لِمَنْ يشاءُ ، ثُمَّ ردَّ اللهُ زَعْمَ الكافرينَ أنَّ الأصنامَ تشفعُ لهُمْ ، فقالَ : إنَّ الملائكةَ مَعَ ما همْ عليهِ من القُربِ والمنزلةِ والشأنِ لا تَنْفَعُ شفاعَتُهُم ، إلاّ إذا أذِنَ اللهُ أنْ يشفعوا لمنْ يشاءُ اللهُ لهُ الشفاعةَ فكيفَ تشفعُ الأصنامُ ؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

ثُمَّ وصفتِ الآياتُ هؤلاءِ الكافرينَ بأنهمْ لا يؤْمنونَ بالآخرةِ ، وهذا الذي جَعَلَهُم يتطاولونَ ويَزعمونَ منْ شؤونِ الغيبِ كما يشاءونَ ، ويُسَمُّونَ الملائكةَ تسميةَ الأُنْثى .

ولَيْسُوا في ذلِكم يَصدرونَ عَنْ عِلْمٍ ، إنّما هوَ اتّباعُ الظنِّ كما قررتِ الآياتُ قبلَ قليلٍ ، والظنُّ لا يغني أمامَ الحقِّ . ثُمَّ توجَّهتِ الآياتُ بالأمرِ للنبيِّ ﷺ أنْ يُعرِضَ عن الذي أعْرَضَ عنْ ذكرِ اللهِ ولمْ يُرِدْ إلا الحياةَ الدنيا ، وجعَلَها همَّهُ وهَدَفَهُ ، وذاكَ هو مقدارُهم من العِلم ، فقدْ قَصَّرتْ علومُهم وهِمَمُهُم عن الآخرةِ ،

ثمَّ قرَّرتِ الآياتُ أنَّ اللهَ هوَ أعلمُ بالذي ضلَّ عنِ الطريقِ ، وَهُوَ ـ سبحانَهُ ـ أعلمُ بمنِ اهتدى .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ فَضْلُ اللهِ على العَربِ عظيمٌ ؛ إذْ نقلَهُم من الوثَنيَّةِ والشِّرْكِ إلى التَّوْحيدِ .

٢ـ إذا فسدَ اعتقادُ الإنسانِ وعَقْلُهُ قَلَبَ الحقائقَ ، واتَّبعَ الأوهامَ والظنَّ ؛ وهذا الظنُّ لا يُثْبِتُ حقاً ، ولا يجلِّي شيئاً .

٣ـ لا أَحَدَ يستطيعُ أنْ يحصُلَ عل كلِّ ما يريدُ كما قيلَ : (ما كلُّ ما يتمنى المَرْءُ يُدرِكُهُ) .

٤ـ للكافرينَ أوهامٌ منها أنّ الأصنامَ تشفعُ عندَ اللهِ ، واللهُ يَرُدُّ ذلك بأنَّ الملائكةَ ـ على قَدْرِها ـ لا تشفعُ إلا بإذنِ اللهِ .

٥ـ الإعراضُ عنِ الكافرينَ ، والثباتُ على الحقِّ ، ومداومةُ الدعوةِ والتذكيرِ ، نهجُ الدُّعاةِ .



التقويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أـ كَمْ صَنَماً مِنْ أَصْنامِ العَرَبِ ذَكَرَ النصُّ ؟

ب ـ اذكُرِ القبيلةَ التي كانتْ تعبدُ كُلاً منْ هذهِ الأصنامِ ؟

٢ـ لماذا وصَفَ النَّصُّ الكريمُ « مناة » بوصفِ : الثالثةِ الأُخْرى ؟

٣ـ أ ـ ما مَعْنى ﴿قسمةٌ ضِيزى﴾ ؟

ب ـ ما الذي عَدَّهُ القرآنُ قِسْمةً ضِيزى ؟

٤ـ بِمَ ردَّ اللهُ على مَن ادّعَوا أنّ الأصنامَ تشفعُ لهم ؟

ضع إشارَةَ (✓) أمام العبارةِ الصَّحيحَةِ وإشارَةَ (x) أمامَ العبارةِ غَيْرِ الصَّحيحَةِ فيما يأتي :

أ ـ ادَّعى المُشْرِكونَ أنّ لهم الذكورَ وللهِ الإناثَ ( ) .

ب ـ القِسْمةُ الضِّيزى هي القسمةُ العادلةُ ( ) .

ج ـ يَتَّبعُ الكافرونَ الظنَّ وما تهوى النفسُ ( ) .

د ـ الملائكةُ يشفعونَ لَمِنْ يريدونَ ومتى يريدونَ ( ) .

هـ ـ مِنْ أَسْبابِ كُفْرِ الكافرينَ أنّهم يَعدّونَ الملائكةَ إناثاً ( ) .

نشاط :

اكتُبِ الآيَةَ الدّالّةَ على وصفِ الرجّلِ إذا بُشِّر بمجيءِ مولودٍ أنثى لَهُ كما كان في الجاهليةِ .

* * *

الدرس الخامس و العشرون

سورة النَّجمِ - القِسْمُ الثالثُ

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾

معاني المُفْرداتِ :

كَبائِرَ الإثمِ : ما كبُرَ عقابُهُ مِنَ الذُّنوبِ .

الفواحِشَ : ما عظمُ قُبْحُهُ من الكبائرِ كالزِّنا .

اللَّمَمَ : صغائرَ الذُّنوبِ .

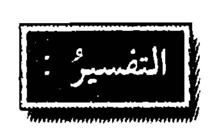
فلا تُزَكُّوا أنفسَكُم : فلا تَمْدَحوا أنفُسَكُم .

أفرأيتَ : أَخْبِرْني .

وَأَكْدى : قَطَعَ العَطاءَ .

وَفّى : أَتَمَّ وأكملَ ما أُمِرَ بهِ .

وأنْ ليسَ للإنسانِ إلاّ ما سَعى : لا يُثابُ الإنسانُ بعملِ غيرِهِ ، ولا يؤاخذُ بذنبِ غيرِهِ .



التفسيرُ :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

تبتدىءُ آياتُ هذا الدرسِ بتقريرِ حقيقةِ أنَّ لله ما في السّماوات وما في الأرضِ ، وأنّهُ خلَقَ ومَلَكَ ما فيها ليجزيَ الذينَ عَمِلوا السّيئاتِ بِعَمَلِهم ، ويجزي المُحْسِنينَ بالحُسْنى ، ثُمَّ وصفَ المحسنينَ بأنَّهمُ الذينَ يجتنبونَ الوقوعَ في الكبائرِ والفواحشِ والموبقاتِ مِنَ الذُّنوبِ ، ولكنّهم قد يقَعونَ في الصَّغائرِ ، ولكنَّ اللهَ يغفرُها لهم بأعمالِهمُ الصالحة ، ورحمتِه قبلَ كُلِّ شيءٍ .

إنَّ ربَّكَ واسعُ المغفرةِ ، وهوَ أعلمُ بخلقِهِ منذُ أنشأهمْ منَ الأرضِ بِخَلْقِ أبيهم آدمَ ، وهوَ أعلمُ بضعفِهم ، وما ركَّب فيهم . وهو أعلمُ بهمْ إذْ هم أجنّةٌ في بُطونِ الأُمَّهاتِ لا يدبِّرُهم ولا يَغْذوهم إلا اللهُ ، فلا تَمْتَدِحُوا أنفسَكم ، ولا تغترُّوا بعملِ الصالحاتِ والبعدِ عنِ السّيئاتِ ، فما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ وفضلٍ فمنَ اللهِ ، وهوَ ـ سبحانهُ ـ أعلمُ بالمتقينَ منكُم ، بل عليكمْ شكرُ اللهِ على هدايتِهِ وتوفيقِهِ .

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ .

تبتدىءُ هذهِ الآياتُ بسُؤالِ النبيِّ ﷺ عنْ أحوالِ الذي تولّى عنِ اتّباعِ الحقِّ ، مِنْ كُفّارِ مَكَّةَ ، أفرأيتَ هذا الذي أعرضَ وأعطى قليلاً مِمّا تعهدَ به ثمَّ انقطعَ ؟ ألم يأتِ هذا الكافرَ نبأُ ما في كتابِ إبراهيمَ وكتابِ موسى عليهما السّلامُ ؟ وإبراهيمُ عليه السّلامُ هو النبيُّ الذي وفّى بما أمرهُ اللهُ ، وأتى به كاملاً ، فقد جاءَ في صُحُفِ هذين النبيَّيْنِ الكريمَيْنِ أنّهُ لا تحملُ نفسٌ آثمةٌ ولا غيرُ آثمةٍ إثمَ غَيْرِها ، وإنَّما تحملُ كلُّ نفسٍ إثمَ ذَنْبِها . . وأنَّ الإنسانَ ليس يُجْزى إلا بعملِهِ ، وليس له إلاّ سعيُهُ ، وأنَّهُ سيُجزى الجزاءَ الأتمَّ على العَملِ ، لأنّ عملَهُ سوفَ يَطّلِعُ اللهُ عليهِ ، ويراهُ ويحاسبُهُ عليهِ ، ثم يُجزى بهِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الجزاءُ على العملِ قانونٌ إلهيٌّ .

٢ـ مَنْ تجنّبَ الكبائرَ والفواحِشَ غفرَ اللهُ لَهُ صغائرَ الذُّنوبِ .

٣ـ اللهُ رؤوفٌ بعبادِهِ لأنّهُ خبيرٌ بضعفِهم ونشأتِهم مِنَ الأرضِ .

٤ـ لا ينبغي أنْ يمتدحَ الإنسانُ نفسَهُ ، فاللهُ أعلمُ بالإنسانِ وتقواهُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ كَمْ مَرّةً وردَ ذكرُ الجزاءِ في هذهِ الآياتِ ؟

ب ـ وعلى ماذا يدلُّ ذلكَ ؟

٢ـ أ ـ ما مَعْنى « كبائرِ الإثمِ والفواحشِ » ؟

ب ـ مَثِّلْ لها بأمثلةٍ ؟

٣ـ أ ـ ما مَعْنى « اللَّمَمِ » ؟

ب ـ مَثِّل لها بأمثلةٍ ؟

٤ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿فلا تُزَكُّوا أنفسَكُم﴾ .

ب ـ ﴿ألاّ تَزِر وازرةٌ وِزرَ أخرى﴾ .

ج ـ ﴿وأنْ ليسَ للإنسانِ إلاّ ما سعى﴾ .

٥ـ اكتُبْ فيّ كُلِّ فراغٍ ما يناسبُهُ من الآياتِ الكَريمةِ :

أ ـ ﴿لِيجزيَ الذينَ أساؤوا بما .... ﴾

ب ـ ﴿ويجزيَ الذينَ أحسنوا .... ﴾

ج ـ ﴿الذينَ يجتنبونَ كبائرَ الإثمِ و .... ﴾

د ـ ﴿فلا تُزكُّوا أنفسَكم .... ﴾

هـ ـ ﴿ألاّ تزرَ وازرةٌ وزرَ .... ﴾

و ـ ﴿وأنْ ليسَ .... إلاّ ما سعى﴾

ز ـ ﴿ثم يُجزاهُ .... الأوفى﴾

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ الحديثَ الشّريفَ الذي يُبِّينُ السّبعَ المُوبقاتِ منَ الذُّنوبِ .

٢ـ اكتُبْ خواتيمَ سُورَةِ الأَعْلى التي تذكرُ صُحُفَ إبراهيمَ وموسى عليهما السّلامُ ، وما جاءَ فيها .

* * *

الدرس السادس والعشرون

سُورَةُ النَّجْمِ - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

معاني المفردات :

النَّشْأَةَ الأُخْرى	:	الإحياءَ بعدَ الموتِ .
أقنى	:	أفقرَ .
الشِّعرى	:	كَوْكَبٍ مُضيءٍ مِنْ أَعْظَمِ الكواكِبِ .
المؤتفكةَ	:	القُرىٰ التي انقلبتْ بأهلِها ، وهي قُرى قومِ لوطٍ .
أَهْوى	:	أَسْقَطَها إلى الأرضِ .
فَغشّاها ما غشّى	:	رَجَمَها بالحجارةِ فغطَّاها .
آلاءِ	:	نِعَمِ .
تَتمارى	:	تَتشَكَّكُ .
أزفتِ الآزفةُ	:	قَربتِ القيامةُ .
كاشِفةٌ	:	نفسٌ تكشِفُ أهوالَها وشَدائِدَها .
الحديثِ	:	القرآنِ .
سامِدونَ	:	لاهونَ مُعرِضونَ .



التفسير :

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩) ﴾ .

الآياتُ الأخيرةُ مِنْ سُورَةِ النَّجْمِ تُعرِّفُ باللهِ تعالى ، وتنذرُ عذابَهُ ، وتَبتدىءُ هذهِ الآياتُ بتقريرِ أنَّ المنتهى والمرجِعَ إلى اللهِ ، وأنهُ وَحْدَهُ الذي أَضْحَكَ وَأَبْكى ، وأماتَ وَأَحْيا ، وهو الذي خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثى مِنْ نُطَفَةٍ واحِدَةٍ ، وأنّهُ هوالذي يعيدُ الخلقَ للحياةِ الثانيةِ بعدَ الموتِ ، وأنّه الذي أغنى وأفقرَ ، وهوَ ـ سبحانَهُ ـ ربُّ الشِّعرى ، وهو كوكبٌ عظيمٌ مِنْ كَواكبِ السَّماءِ أكبرُ من الشّمسِ ، وأقوى إضاءةً منها بِمَرّاتٍ كثيرةٍ ، لكنّهُ لِبعُدِهِ لا يبدو كذلكَ .

﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥) هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ (٥٦) أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ (٦٢) ﴾ .

وتُواصِلُ الآياتُ التَّعْريفَ باللهِ تعالىٰ ، فهُوَ الذي أهلكَ عاداً قومَ هودٍ ، وثمودَ قومَ صالحٍ ، وأهلكَ قومَ نوحٍ منْ قبلِهم ؛ لِأنَّهم جَميعاً كانوا ظَلَمةَ طاغِينَ ، كذّبوا رُسُلَ اللهِ عليهمُ السَّلامُ ، وهو الذي أَسقَطَ قُرى قومِ لوطٍ بعد أنْ رَفعَها ، وَأَهْوى بها إلى الأرضِ ورجَمها بالحجارةِ حتى غطّاها ، فبأيِّ نعمِ اللهِ تَتَشَكَّكُ أيُّها الإنسانُ ؟

ثم الْتَفَتَ السِّياقُ إلى القرآنِ فقالَ : إنَّ هذا القرآنَ نذيرٌ مِنْ جِنْسِ النُّذُرِ الأُولى التي أُنْذِرَ بها من سَبَقَكمُ مِنَ الأُمَمِ ، وسَمِعْتُم عواقِبَها . يُنذِرُ أنَّ السَّاعةَ قد دَنَتْ ، والقيامةَ اقْتَرَبَتْ ، فإذا وَقَعتِ الواقعةُ فإنَّهُ لا أحدَ يستطيعُ كشفَ أهوالِها إلا اللهُ ، فهلْ تتعجَّبونَ مِنْ هذا الحَديثِ ؛ أي القرآنِ ، وهوَ ينذِرُكُم حقائقَ واقعةً ؟ فَتُعْرِضونَ عنها وتلهونَ .

ألا فَلْتَنْتَبِهوا ، ولْتَسْجُدوا للهِ وَتَعْبُدوهُ . .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مظاهرُ قدرةِ اللهِ في الكونِ باديةٌ ظاهرةٌ في كلِّ شيءٍ ، ومنها قُدرتُهُ على الخلْقِ والإعادةِ وإهلاكِ المُكَذِّبينَ .

٢ـ كَثيرٌ مِنَ الأُمَمِ جَنَتْ على نَفْسِها بإعراضِها عَنْ مَنْهَجِ اللهِ .

٣ـ يجادلُ الإنسانُ في آلاءِ اللهِ ونِعَمِهِ ، وهو يتقلَّبُ فيها ليلَ نهارَ .

٤ـ يُعرِضُ الناسُ عن الانتباهِ إلى ما فيه سعادتُهم فيهلكونَ بإعراضِهم .

التقويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذكرْ خَمْسَةَ أدلَّةٍ على قدرةِ الله ذكرتها الآياتُ .

٢ـ كم مَرَّةً وردتْ « وإنّ ، وإنَّهُ » في الآياتِ ؟ وما دلالتُها ؟

٣ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿النَّشْأَةَ الأخرى﴾ .

ب ـ ﴿أغنى وأقنى﴾ .

ج ـ ﴿والمؤتفكةَ أهوى﴾ .

د ـ ﴿فبأيِّ ألاءِ ربِّكَ تتمارى﴾ .

هـ ـ ﴿هذا نذيرٌ منَ النُّذُرِ الأولى﴾ .

و ـ ﴿سامِدون﴾ .

٤ـ لِمَ خُصَّتِ الشِّعرى بالذِّكْرِ ؟

٥ـ صِلْ بخطٍّ بين الآيةِ وما يناسِبُها في القائِمَةِ التاليةِ :

الآيَةَ	الكَلِماتُ
أ ـ وَأَنَّ إلى ربِّكَ	أ ـ الشِّعرى
ب ـ وَأَنَّه هوَ أَضْحَكَ	ب ـ الأُخْرى
ج ـ وأنهُ هُوَ أماتَ	ج ـ الأُولى
د ـ وأنَّ عليهِ النَّشْأَةَ	د ـ المُنْتَهى
هـ ـ وأنّهُ هوَ أَغْنى	هـ ـ وَأَحْيا
و ـ وأنهُ هوُ رَبُّ	و ـ وَأَبْكى
ز ـ وأنَّهُ أَهْلَكَ عاداً	ز ـ وَأَقْنى
	ح ـ أَهْوى
	ط ـ أَبْقى

نشاط :

اكتُبْ في دفترِكَ ماذا تعملُ عندَ قراءةِ الآيةِ الأخيرةِ مِنْ سُورَةِ النَّجمِ أو سَماعِها .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ والعِشرونَ

سُورَةُ القَمَرِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ القَمَرِ مَكِّيَّةٌ ، وآياتُها خمسٌ وخمسونَ آيةً ، وترتيبُها في المُصْحفِ الرّابعةُ والخمسونَ ، وهيَ سورةٌ قصصيَّةٌ ذكرتْ عذابَ الأقوامِ المكذِّبةِ ، وهيَ متناسبةٌ مَعَ سابِقَتِها ، فتلكَ النَّجمُ ، وهذهِ القمرُ ، وتلكَ كانَ في ختامِها : ﴿أَزِفَتِ الآزفةُ﴾ ، وهذهِ أوَّلُها : ﴿اقتربتِ السّاعةُ﴾ ، وهكذا نجدُ القرآنَ الكريمَ وحدةً مُتّصِلَةً .

معاني المُفْرداتِ :

السَّاعةُ : القِيامةُ .

وانْشَقَّ القَمَرُ : وانفلَقَ القمرُ .

سِحرٌ مُسْتَمِرٌّ : سِحرٌ دائمٌ .

وكلُّ أمرٍ مستقرٌّ : كلُّ أمرٍ لا بدّ أن يصيرَ إلى غايةٍ .

مُزْدَجرٌ : واعظٌ يمنعُ مِنْ قبيحِ الأفعالِ .

فما تُغْني النُّذُرُ : فما تنفعُ فيهم الأمورُ التي أنذِروا بها .
شيءٍ نُكُرٍ : أمرٍ فظيع .
حكمةٌ بالغةٌ : هذا القرآنُ كلامُ حقٍّ بليغٌ مؤثِّرٌ .
خُشَّعاً أبصارُهم : ذليلةً خاضعةً من شدّةِ الهَوْلِ .
الأجداثِ : القبورِ .
منتشرٌ : كثيرٌ .
مهطعينَ : مسرعينَ .
يومٌ عَسِرٌ : صعبٌ شديدٌ .

التفسيرُ :

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ .

تبتدىءُ السُّورَةُ بتقريرِ حقيقةِ أنَّ يومَ القيامةِ قد دنا وقَرُبَ موعدُهُ ، وانفلقَ القمرُ فِلْقَتَيْنِ ، فَكَما أنّكم تَرَوْنَ القمرَ قد انشقَّ نِصْفَيْنِ ؛ فإن السَّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها ، ولكنَّ الكافرينَ في موقِفِهم منَ الآياتِ على كثرتِها ، كلّما رأوا آيةً أعرضُوا ، وقالوا : هذا سحرٌ شديدٌ دائمٌ ، واستَمَرُّوا في التَّكْذيبِ واتِّباعِ الهَوَى .

والحقُّ أنّ لكلِّ أمرٍ غايةً ينتهي إليها ، إنْ خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشرٌّ ، ولقد جاءَهم مِنْ أنباءِ الماضينَ في هذهِ السُّورَةِ وفي السُّوَرِ الأخرى ، ما فيهِ رَدْعٌ ومنْعٌ مِنَ الاستمرارِ فيما همْ فيهِ ، وجاءهم حكمةٌ بالغةٌ في هذا القرآنِ ، فماذا تُغني نُذُرُ هذا القرآنِ مَعَ قومٍ مصمِّمينَ على تَرْكِ الهدايةِ ؟ وما ينفعُ شروقُ الشَّمْسِ إذا كانتِ الأعينُ عمياً أو مُغمضةً ؟

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ .

خطابٌ للنبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ أنْ يُعرِضَ عن الكافرينَ المكذبيَن ، ولا يتأثرَ بكفرِهم ، وينذرَهُم يومَ يدعوهُمُ الدّاعِي إلى أمرٍ مُنْكَرٍ شديدٍ عظيمٍ ، تكونُ فيه أبصارهُم ذليلةً ، يخرجونَ من القبورِ كأنّهم جرادٌ مبثوثٌ على وجهِ الأرضِ ، مُستجيبينَ لنداءِ من يَدْعُوهم ، ولَطالما كانوا لا يَسْمَعونَ ولا يَخْضَعونَ ، فاليومَ هم مستسلمونَ للنداءِ ، يُرَدِّدُ الكافرونَ قولَهم : هذا يومٌ صعبٌ شديدٌ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يُحذِّرُ القرآنُ النّاسَ منْ قُربِ وقوعِ القيامةِ .

٢ـ انشقاقُ القمرِ آيةٌ منْ آياتِ اللهِ وعلامةٌ على قربِ السّاعةِ .

٣ـ الكفرُ إعراضٌ ومكابرَةٌ وعنادٌ ، ولا تنفعُ مَعَهُ الآياتُ على كثرتِها .

٤ـ لكلِّ أمرٍ غايةٌ ومستقرٌّ يصيرُ إليهِ ، وللمهلةِ المعطاةِ للبشرِ نهايةٌ .

٥ـ في قَصَصِ القرآنِ موعظةٌ وزاجرٌ لمنْ كانَ عندهُ تفكُّرٌ وتدبُّرٌ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا يفعَلُ الكفارُ إذا رأوْا آيةً ؟ وماذا يقولونَ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿وكلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ .

ب ـ ﴿جاءهم منَ الأنباء ما فيه مُزدَجَرٌ﴾ .

ج ـ ﴿مُهطعينَ إلى الداعِ﴾ .

٣ـ بمَ وُصِفَتْ آياتُ القرآنِ في هذهِ الآياتِ ؟

٤ـ مَنِ الدّاعي الذي تكلّمتْ عنه الآياتُ ؟

٥ـ ما مَعْنى « الأجداثِ » ؟

٦ـ ماذا يَقولُ الكافِرُون عندما يَرَوْنَ شدائدَ القيامةِ ؟

نشاط :

اكتُبْ في دفترِكَ آيةً فيها تَحدٍّ للكُفّارِ بأنْ يأتوا بِسُورةٍ مِنْ مثلِ هذا القرآنِ وردتْ في سُورَةِ البَقرَةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ

سُورَةُ الْقَمَرِ - القِسْمُ الثَّاني

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

وازدُجِرَ : مُنِعَ عَنْ تَبليغِ رسالةِ ربِّهِ ، والزَّجرُ : المنعُ والرَّدْعُ .

مغلوبٌ فانتصرْ : مقهورٌ فانتقمْ منهم ، وانصرني عليهم .

بماءٍ منهمرٍ : مُنْصَبٌّ بقوةٍ .

على أمرٍ قد قُدِرَ : قدّرهُ اللهُ وقضاهُ أزلاً ، وهو هلاكُهم بالطُّوفانِ .

ذاتِ ألواحٍ ودُسُرٍ : ذاتِ ألواحٍ منَ الخَشَبِ ومساميرَ تشدُّ الألواحَ ، وهيَ السّفينةُ .

تجري بأعيننا : بمرأىً منّا وحِفظٍ .

ولقد تركناها آيةً : أبقينا هذهِ الفِعلةَ التي فَعَلْناها بِهِم ، وهي إهلاكُهم ، عبرةً وعظةً .

فهلْ منْ مُدَّكرٍ : فهلْ مِنْ مُعْتبرٍ يَعتبرُ بها .

ونُذُرِ : وَإِنْذاري إيّاهُم وَتَخْويفُهم مِنَ العذابِ .

ولقدْ يسّرنا القرآنَ للذِّكرِ : سَهَّلْنا القرآنَ لقومِك بأنْ أنزلناهُ بلغتِهم .

صَرْصَراً : باردةً .

في يَوْمِ نَحسٍ : شُؤْمٍ وَشَرٍّ .

مُسْتَمِرٍّ	: دَائِمٍ .
تنزعُ النّاسَ	: تخلعُهُم منْ أماكِنِهم .
أعجازُ نخلٍ مُنقَعِرٍ	: أصولُ نخلٍ مقلوعةٌ مِنْ أُصولِها .

التفسيرُ :

هذا الدَّرْسُ كلُّهُ قِصصٌ ، فقدْ ذُكرتْ فيه قصةُ هلاكِ قومِ نوحٍ وقومِ هودٍ عليهما السّلامُ .

الآيات من (٩ـ١٧) قصةُ هلاكِ قومِ نوحٍ عليهِ السَّلامُ .

﴿ ۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ .

تبتدىءُ الأياتُ بذكرِ قصّةِ نوحٍ عليهِ السَّلامُ ، ولا سِيَّما تكذيبُ قومِهِ له ، فلمّا دعاهم إلى اللهِ كَذَّبوهُ ، وقالوا عنهُ مجنونٌ ، ومنعوهُ مِنْ تبليغِ دعوةِ ربِّهِ ، فدعا ربَّهُ أني مغلوبٌ فانتقمْ ياربِّ وانتصرْ منهم ، فَفَتَحَ اللهُ السَّماءَ أبواباً تتدفَّقُ بالماءِ ، وشَقَّقَ الأرضَ عيوناً تَفيضُ بالماءِ ، فالْتَقى ماءُ الأرضِ وماءُ السَّماءِ لِيَتِمَّ أمرٌ قد قدَّرَهُ اللهُ منذُ الأزلِ وهوَ إهلاكُ المكذِّبينَ مِنْ قَوْمِ نوحٍ بالطُّوفانِ . وأمّا نوحٌ فقد نجاهُ اللهُ ، وحَمَلَهُ ومنْ آمنَ مَعَهُ على ظَهْرِ السَّفينَةِ المكوَّنَةِ من الخشَبِ والمساميرِ ، تجري في أمواجِ الماءِ بمرأىً منَ اللهِ وحفظِهِ ورعايتِهِ ، جزاءً لِمَنْ دعا وكذِّبَ وكفرَ بهِ وبدعوتِهِ فقدْ نَصَرَهُ اللهُ ، ولقد تركنا هذه الفِعْلَةَ عِبرةً لمن يَعْتَبِرُ ، فهلْ منْ مُعْتَبِرٍ ؟ فكيفَ كانَ عذابي ؟ وكيفَ كانَ إنْذاري وتَخْويفي ؟ هل لَهُما نظيرٌ ؟ والجوابُ : لا بالقطعِ ، ولقد سَهَّلْنا هذا القرآنَ على قومِكَ أيُّها النبيُّ بإنزالِهِ بلغتِهِم ، فهَلْ مِنْ مُعتَبِرٍ ؟

الآياتُ من (١٨ـ٢٢) قصةُ هلاكِ عادٍ قومِ هُودٍ عليهِ السَّلامُ .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

والقِصّة الثانيةُ : هي قصّةُ عادٍ قومِ هودٍ ، وابتدأَ بتسجيلِ تكذيبِهِم كما ابتدأتْ قصّةُ نوحٍ . فكيفَ كان تعذيبي لهمْ وإنذاري إياهم ؟

لقد أرسلتْ عليهمْ ريحاً شديدةً باردةً في يوم شُؤْمٍ وَشَرٍّ ، استمرَّ العذابُ فيهِ بهذهِ الريحِ التي تَقْلَعُ الناسَ مِنْ أماكنِهِم أينما كانوا ، وتُطَوِّحُ بهم كَأنَّهم أصولُ نخلٍ قُلِعتْ من جُذورِها ، فكيفَ كانَ عذابي وإنذاري ؟ ولقدْ جعلتُ القرآنَ مُيسَّراً ، فهلْ من مستفيدٍ ومعتبرٍ ؟

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ جعلَ اللهُ عاقبةَ الأنبياءِ ومنْ تَبِعَهمُ النَّصرَ والنجاةَ ، وعاقبةَ المكذبينَ الويلَ والهلاكَ .

٢ـ الكونُ يسيرُ بنظامٍ وتقديرٍ لا يتغيرُ ولا يتبدَّلُ .

٣ـ منْ فضلِ اللهِ على العرَبِ أنْ جعلَ القرآنَ بلغتِهم ، وقدْ يَسَّرهُ اللهُ ليعتبروا ويتدبَّروا .

٤ـ على الدُّعاة أن يُذَكِّروا مَنْ يَدْعُونَهم بِمَصائرِ الغابرينَ من الأُمَمِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ ماذا قالَ قومُ نوحٍ عنْ نوحٍ عليهِ السَّلامُ ؟

ب ـ ماذا كانَ جزاؤُهم ؟

ج ـ بأيِّ وسيلةٍ أنجى اللهُ نوحاً ومَنْ مَعَهُ ؟

٢ـ بيِّن مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿ذاتِ ألواحٍ وَدُسُرٍ﴾ .

ب ـ ﴿فالتقى الماءُ على أمرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ .

ج ـ ﴿تجري بأعْيُنِنا﴾ .

د ـ ﴿فَهلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ .

هـ ـ ﴿فكيفَ كانَ عذابي ونذرِ﴾ .

و ـ ﴿تنزِعُ الناسَ كأنَّهم أعجازُ نخلٍ منقعرٍ﴾ .

٣ـ هل اختلفَ موقفُ قومِ هودٍ عن موقفِ قومِ نوحٍ ؟

٤ـ ماذا أرسلَ اللهُ على عادٍ ؟

٥ـ ما الحكمةُ منْ تَكْرارِ قولهِ ﴿ولقد يسَّرنا القرآن. . .﴾ بعدَ كلِّ قصةٍ ؟

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ الآياتِ التي بيَّنَتْ أساليبَ نوحٍ عليهِ السَّلامُ في دعوةِ قومِهِ ، كما جاءَ في سُورَةِ نوحٍ .

٢ـ ارسُمْ في دفترِكَ صورةً تبينُ جذعَ نخلةٍ تحمِلُهُ الريحُ .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ وَالعِشرونَ

سُورَةُ الْقَمَرِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ
مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ
فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ
فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾
وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ
لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً
عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾

معاني المفردات :

وَسُعُرٍ : جُنونٍ .
أشِرٌ : يَتكبَّرُ عَلَينا بادِّعاءِ النُّبوَّةِ .
فتنةً لهم : ابتلاءً وامتحاناً لهم .
فارتَقِبْهُم : فانتَظِر ما هم صانعونَ ، وما يُصنعُ بهم .
وَاصْطَبِر : اصْبِرْ على أذاهم حَتّى يأتيَ أمرُ اللهِ .
قِسْمَةٌ بينَهم : مقسومٌ بينهم وبينَ النّاقةِ .
كلُّ شِربٍ مُحتضَرٌ : كلُّ نصيبٍ من الماء يحضرُهُ مَنْ هو لَهُ ، فالنّاقةُ تحضرُ يوماً ، وهم يحضرونَهُ يوماً.
فَتعاطى : فَتناولَ السَّيفَ .
فَعقَرَ : فذبحَ النّاقةَ .
كَهَشِيم المُحْتَظِرِ : كالعُشْبِ اليابسِ الذي يجمعُهُ صاحبُ الحظيرةِ أو الزَّريبةِ .

حاصباً	: رِيحاً ترميهم بالحصباءِ وهيَ الحِجارةُ الصَّغيرةُ .
بسَحَرٍ	: آخرِ الليلِ قُبيلَ الصُّبْحِ .
أنذرهُم بطشتَنا	: خوّفهم عذابَنا الشَّديدَ .
فَتماروا بالنُّذُر	: كذّبوا وشكُّوا بالنُّذُرِ .
فَطَمَسْنا أَعْيُنَهم	: أَذْهَبْنا أبصارَهُم .
صبَّحَهُم	: أتاهُم وقتَ الصباحِ .
بُكرةً	: أوّلَ النّهارِ .
عذابٌ مستقرٌّ	: دائمٌ لا يَنْفكُّ عنهم إلى أن يَنتُهوا إلى عَذابِ القِيامَةِ .



آياتُ هذا الدَّرْسِ تَشْمَلُ قِصَّتَيْنِ : قصةَ ثمودَ قومِ صالحٍ ، وقصةَ قومِ لوطٍ ، عليهما السّلامُ .

الآياتُ منْ (٢٣ـ٣٢) قصةُ هلاكِ ثمودَ قومِ صالحٍ عليهِ السّلامُ .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

تَبْتدىءُ الآياتُ بتقريرِ أنَّ ثمودَ كذَّبتْ بالنُّذُرِ التي أتاهُمْ بِها نَبيُّهم صالحٌ عليهِ السَّلامُ ، فقالوا في الرَّدِّ عليه : هل نَتبَعُ بشراً واحداً منّا ، ونتركُ ما عليهِ المجتمعُ ؟ إنا إذاً لفي بُعدٍ عَنِ الصّوابِ وجنونٍ ، وهل أُلقيَ الكتابُ عليهِ مِنْ بيننا فعلى أيِّ أساسٍ خُصَّ بالذكرِ ؟ بل هو كذابٌ ـ حاشاه ـ يتكبَّرُ علينا بادِّعاءِ النبوَّةِ ليستأثرَ بالفضلِ علينا ، وسيعلمُ هؤلاءِ المكذبونَ ، يومَ يأتيهم عذابُ اللهِ ، مَنْ هوَ الكذّابُ الأشرُ ؟

ولقدِ امتَحَنَهمُ اللهُ ، فأرسلَ لهمْ آيةً مُعجزَةً هي النّاقةُ ، امتحاناً لهم ، وطلبَ مِنْ نبيِّهم أنْ يرتقبَ ما يصنعونَ بها ، وما يصنعُ اللهُ بهم تَبَعاً لِذلكَ ، وأنْ يصبرَ على أذاهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ ، وأنْ يُخبرَهُم أنَّ الماءَ مقسومٌ بينَهمُ وبينَ الناقةِ ؛ يحضرونَهُ يوماً وتحضرُهُ النّاقةُ يوماً ، لا يشاركُ أيٌّ منهم الآخَرَ حِصَّةَ الماءِ ، فما كانَ منهم إلا أنْ دَعَوْا مُجْرِمَهُم الطّاغِيةَ فأخذَ السّيفَ فذبحَ الناقةَ متحدِّياً

مكذِّباً وَعْدَ اللهِ .. فكيفَ كانَ العذابُ الذي حلَّ بِهم والإنذارُ الذي أنذرَهُم إياهُ ؟

إنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحدةً ، صاحَ بها جبريلُ فيهِم ، فكانوا كالعُشْبِ اليابسِ المتفتِّتِ الذي يجمَعُهُ أصحاب الحظائِرِ والزَّرائبِ .

وخُتِمَتْ آياتُ القِصَّةِ كسابقاتِها بأنَّ اللهَ يسَّرَ القرآنَ للمتذكِّرينَ المعتبرِيَن ، فهَلْ مِنْ معتبِرٍ ؟

الآياتُ منْ (٣٣ـ٤٤) قصةُ هلاكِ قومِ لوطٍ عليهِ السَّلامُ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

هذهِ الآياتُ الثماني في قِصَّةِ لوطٍ وقومِهِ الذين كذَّبوا دَعْوى اللهِ ، وخرجوا على الفِطْرَةِ ، وفعلوا الفاحِشَةَ .

فتبتدىءُ بتقرير أنَّ قومَ لوطٍ كذبوا بالنُّذُرِ كسابقيهم ، فأرسلَ اللهُ عليهم ريحاً محمَّلةً بالحَصْباءِ ، وهي الحجارةُ الصغيرةُ ، فأهلكَتْهُم إلاّ آلَ لوطٍ ؛ وهم أهلُ بيتِهِ ، فقد نجّاهم اللهُ ، وقد كانَ ذلك قُبيلَ الفجرِ في السَّحَرِ .

والنَّجاةُ نعمةٌ منَ اللهِ يجزي بها من شَكَرَ لَهُ ، ولقدْ أنْذَرَ عَبْدُنا لوطٌ قومَهُ ، أنذرَهُم عذابَ اللهِ ، وخوَّفَهُم أخذَهُ الشَّديدَ لَهُمْ بالعقابِ ، فكذّبوا ، وشكّكوا فيما جاءَهم بِهِ وأنذرَهُم إياهُ . وجاءوا يُراوِدونَهُ عَنْ ضُيوفِهِ ، وهم لا يعلمونَ أنّهم ملائكةٌ ، فرجعوا وقدْ أعماهُمُ اللهُ ، وطمسَ أعْيُنَهم عن الإبصارِ ، وجاءهم العذابُ في الصّباحِ الباكرِ ، وكانَ عذاباً مستمراً إلى أنْ يأخذَهُم عذابُ يومِ القيامةِ ، فيُسلِمهم عذابٌ إلى عذابٍ .

وهذا عذابُ اللهِ تعالى وأخْذُهُ الشَّديدُ ذاقَهُ هؤلاءِ المكذِّبوَن ، ولقدْ يَسَّرَ اللهُ القرآنَ للذّاكرينَ المعتبرينَ ، فَهَلْ مِنْ مُعْتَبرينَ متذكِّرينَ ؟

دروسٌ وعبرٌ :

ترشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ استكْبَرَ قومُ صالحٍ ، وَرَفَضُوا اتّباعَ الرَّسُولِ ، ولم يتركوا باطِلَهم المجتمعينَ عليهِ ، فأهلكَهُم اللهُ .

٢ـ الكُفّارُ لا يعلمُونَ المِقْياسَ الذي يَصْطَفي اللهُ بِهِ الرُّسُلَ ، فَمِقْياسُهُم الغِنى والجاهُ ، وَمِقْياسُهُ ـ سبحانَهُ ـ التَّقوى وسلامةُ الفِطرةِ .

٣ـ لكلِّ أمرٍ حينٌ ، والكفارُ يغُرُّهُم إمهالُ اللهِ لهم .

٤ـ قد يَجْني فَرْدٌ على أمّةٍ كما فعلَ ذاكَ الشقيِّ منْ قومِ صالحٍ ؛ إذْ عقرَ الناقةَ ، فأهلكَ اللهُ قومَهُ ، وأهلَكَهُ مَعَهُم .

٥ـ اللهُ لا يضيعُ جزاءَ من شَكَرَهُ .

٦ـ لمّا خرجَ قومُ لوطٍ عن الفطرةِ قَلَبَ اللهُ أحوالَهم ، وخَسَفَ بِهم وبمنازلهم .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ عَرَضَتْ آياتُ الدَّرْسِ قِصَّةَ هلاكِ قومَيْنِ ، مَنْ هما ؟

ب ـ وكيف أُهْلِكَ كلٌّ منهما ؟

٢ـ أ ـ بماذا احتجَّ قومُ صالحٍ ؟

ب ـ بمَ ردّ اللهُ عَلَيْهِم ؟

٣ـ أ ـ ما معجزةُ صالحٍ عليهِ السّلامُ ؟

ب ـ وكيفَ كانتِ ابتلاءً وامتحاناً لهم ؟

٤ـ أ ـ كَمْ عددُ الذين عقَرَوا الناقةَ ؟

ب ـ وهلْ خُصَّ من عقرَها بالعذابِ دونَ غيرِهِ ؟

٥ـ أ ـ ماذا أرادَ قومُ لوطٍ منه ؟

ب ـ وبماذا أهلكَهمُ اللهُ تعالى ؟

* * *

الدَّرسُ الثَّلاثونَ

سُورَةُ الْقَمَرِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدرٍ : أخذَ غالبٍ في انتقامِهِ ، وهو اللهُ تعالى .

أَكُفّارُكُم خيرٌ : أي أَكُفّارُكُم ، يا أهلَ مكةِ أقوى وأشدُّ من الماضينَ ؟

نحن جميعٌ منتصرٌ : نحن يدٌ واحدةٌ على من خالَفنا ، لا يغلِبُنا مَنْ عادانا .

والسّاعةُ أَدْهى وَأَمَرُّ : وعذابُ السّاعةِ أعظمُ وأشدُّ مرارةً .

في ضلالٍ وسُعُرٍ : في بُعْدٍ عن الحقِّ وجُنونٍ .

ذُوقوا مسَّ سقرَ : ذوقوا عذابَ جَهنَّمَ .

بقَدَرٍ : أي : مُقَدَّرٌ محكَمٌ .

وما أمْرُنا إلا واحدةٌ كلمحٍ بالبَصرِ : وما أمرُنا في خلقِ الأشياءِ إلا كلمةُ كُنْ ، فتوجدُ كلمحِ البَصَرِ .

أشياعَكم : أشباهَكم في الكفرِ .

وكلُّ شيءٍ فعلوهُ في الزُّبُرِ : مكتوبٌ في كتبِ الحفَظَةِ .

وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطَرٌ	: كلُّ شيءٍ من الأعمالِ كبيرِها وصغيرِها مسجلٌ مسطورٌ .
ونَهَرٍ	: وأنهارٍ .
في مقعدِ صدقٍ	: في مجلسِ حقٍّ .
عند مليكٍ مقتدرٍ	: عند مليكٍ عظيمِ المُلكِ والقدرةِ .

تفسير :

هذا الدَّرْسُ فيه مَشْهَدٌ قَصَصِيٌّ من قِصَّةِ فرعونَ ، ثُمَّ انتقالٌ إلى كفّارِ العربِ ، ثم انتقالٌ إلى مشاهدِ القيامةِ .

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

تبتدئُ الآياتُ بقصّةِ فِرْعونَ ، وذلكَ أنَّهُ قد جاءَ آلَ فرعونَ النُّذُرُ ، وأرسلَ اللهُ إليهم الرُّسُلَ والآياتِ والمعجزاتِ ، فكانَ موقِفُهم أنْ كذّبوا بآياتِ اللهِ كلِّها ، فأخذَهُم اللهُ تَعالى أخذَ قويٍّ غالبٍ منتقمٍ ، لا يَرُدُّ عذابَهُ أحَدٌ ، ولا يغالبُهُ أحدٌ .

ثُمَّ التفتَ السِّياقُ إلى المُعانِدينَ للقرآنِ ، وهمْ كفّارُ مكةَ ، فسألَهم : هل كُفّارُكم أحسنُ مِنَ الكُفّارِ السابقينَ ؟

إن الكُفْرَ واحدٌ ولذلكَ سيكونُ مصيرُهم واحداً . أَمْ هَلْ لكمْ براءةٌ في كتبِ اللهِ ستَنْجُونَ بها مِنَ المُؤاخَذةِ والسُّؤالِ ؟ أمْ أنَّكُمْ تقولونَ إنكم جمعٌ لا يُغْلَبُ ، ووحدةٌ واحدةٌ لا تُقهَرُ ؟ سيُهزَمُ الجمعُ وتولُّونَ الأدبارَ ، هذا في الدُّنْيا ، أما في الآخرةِ فموعدُكُمُ السّاعةُ ، وهُوَ موعدٌ لا يُخْلَفُ ، والسّاعةُ أشقُّ وأعسرُ من كلِّ ما واجهتُم .

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

جاءت هذه الآياتُ تُقرِّرُ أنَّ المجرمينَ في بُعْدٍ عنِ الحقِّ وجنونٍ ، ونيرانٌ مشتعلةٌ تنتظرُهم يومَ يُسحبونَ في جهنَّمَ على وجوهِهِم ، ويُقالُ لهم : ذوقوا عذابَ النّارِ .

ثُمَّ بيّنتِ الآياتُ أنَّ اللهَ تعالى قد خَلَقَ كُلَّ شيءٍ في هذه الحياةِ مقدّراً بمقاديرَ مضبوطةٍ وحِكَمٍ بالغةٍ ، لينتفعَ الناسُ ، وأمْرُهُ في الخلقِ كلمةُ كُنْ ، فيكونُ الشيءُ أسرعَ مِنْ لَمْحِ البَصَرِ .

ولقدْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِكُمْ ممَّنْ كفرَ مِن أمثالِكُم كثيرينَ ، فهل مِنْ مُعْتَبِرٍ ؟ وكلُّ ما يفعلُهُ الخلقُ ، سابقُهم ولاحقُهم ، في كتابٍ مُسْتَطِرٌ . وكلُّ أمرٍ أو فعلٍ دقيقٍ أو كبيرٍ مسجَّلٌ مقيَّدٌ ، وإنَّ جزاءَ المُتَّقينَ جناتٌ وأنهارٌ في مجلسِ حقٍّ عندَ ملكٍ عظيمِ المُلكِ مقتدرٍ عظيمِ القُدْرَةِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لا يأخذُ اللهُ أحداً بعذابٍ إلاّ بعدَ بلاغٍ .

٢ـ الكفرُ مِلّةٌ واحدةٌ ، وليسَ كُفْرٌ خيراً مِنْ كُفْرٍ ، بل هُوَ كفرٌ واحِدٌ .

٣ـ وَعْدُ اللهِ لا يُخلَفُ ، وقدْ وَعَدَ اللهُ الكفارَ بالهزيمةِ ، وتَحقَّقَ ذلكَ في بَدرٍ .

٤ـ الساعةُ أشقُّ ما يواجِهُ الكُفّارَ ، فعذابُ الدُّنيا أمامَ عذابِ الآخرةِ ليسَ شيئاً .

٥ـ قدرةُ اللهِ على الخلْقِ عظيمةٌ ، فبكلمةِ (كنْ) يكونُ ما أرادَ اللهُ ، وأسرعَ منْ لمحِ البَصَرِ .

٦ـ يَنْبَغي أنْ يَعتبرَ الناسُ بما أصابَ مَنْ قبلَهُم ، والسَّعيدُ من اتّعظَ بغيرِهِ .

٧ـ كلُّ ما يفعلُهُ الإنسانُ مقيَّدٌ مُحْصَىً عليهِ .

٨ـ جزاءُ المُتَّقينَ جناتٌ وأنهارٌ في مَقْعَدِ صدقٍ عندَ مليكٍ مُقتدرٍ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّن مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ﴾ .

ب ـ ﴿نحنُ جميعٌ مُنتَصِرٌ﴾ .

ج ـ ﴿وما أمْرُنا إلاّ واحدةٌ كلمحٍ بِالْبَصَرِ﴾ .

د ـ ﴿في مَقْعَدِ صِدقٍ عند مليكٍ مقتدِرٍ﴾ .

٢ـ من المخاطَبُ بقولِهِ تعالى ﴿أكفارُكُم خيرٌ﴾ .

٣ـ بيِّنِ المقصودَ بكلٍّ من النتيجتينِ الآتيتينِ :

أ ـ فأخذناهم أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ .

ب ـ سيهزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ اسمَ الغَزْوَةِ التي تحقّقَ فيها أمرُ اللهِ ، فهزَمَ الجمعَ ووَلَّوُا الدُّبُرَ .

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ الآيةَ الدالَّةَ على أنّ اللهَ إذا أرادَ شيئاً فإنَّما يقول له : كُنْ فَيَكونُ .

* * *

الدرس الحادي والثلاثون

سورة الرحمن ـ القسم الأول

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ الرَّحمنِ مَكِّيَّةٌ ، وآياتُها ثمانٍ وسبعونَ ، وترتيبُها في المصحفِ الخامسةُ والخمسونَ ، وموضوعُها آلاءُ الرَّحمنِ ، ومظاهرُ قدرتِهِ ، وجزاءُ مَنْ آمنَ وجزاءُ مَنْ كَفَر ، ومناسبَتُها لسابقتِها (سُورَةِ القَمَرِ) أنَّ تلكَ انتهتْ بقولِهِ تعالى : ﴿عندَ مليكٍ مقتدرٍ﴾ ، وهذهِ ابتدأتْ بقولِهِ ﴿الرّحمنُ﴾ فهو المليكُ المقتدِرُ .

معاني المُفْرداتِ :

الرَّحمنُ : اسْمٌ مِنْ أَسْماءِ اللهِ الحُسْنى، وهو مشتَقٌّ منَ الرّحمةِ، ويعني كثيرَ الرَّحمةِ.

علّمهُ البيانَ : علّمَهُ النُّطقَ للإفصاحِ عمّا في نفسِهِ .

الشمسُ والقمرُ بحسبانٍ : الشمسُ والقمرُ يجريانِ بحسابٍ دقيقٍ مُقدَّرٍ في منازلِهما .

النَّجْمُ : النَّباتُ الذي ينبتُ في الأرضِ ، ولا ساقَ لَهُ .

الشَّجرُ : النباتُ الذي لهُ ساقٌ .

يَسْجُدانِ	: يَنْقادانِ لأَمْرِ اللهِ .
والسَّماءَ رَفَعَها	: خَلَقَهَا مرفوعةً فوقَ الأرضِ بلا عَمَدٍ .
وَوَضَعَ الميزانَ	: شَرَعَ العدلَ ، وأمرَ بهِ ، ليستقيمَ أمرُ العالَمِ .
ألاّ تَطْغوا في الميزانِ	: لئلاّ تَتَجاوَزُوا الحقَّ فيهِ .
وَأَقيموا الوزنَ بالقِسْطِ	: زِنوا بالميزانِ العادلِ .
ولا تُخسروا الميزانَ	: لا تَنْقُصُوهُ .
والأرضَ وَضَعها	: والأرْضَ خَلَقَها مخفوضةً عَنِ السَّماءِ ، وَبَسَطَهَا للخلقِ .
للأنامِ	: لجميعِ ما على الأرضِ منَ الخَلْقِ ، فيشْملُ الإنْسَ والجنَّ والحيوانَ .
الأكمامِ	: الأوعيةِ التي يكونُ فيها التمرُ ، وهو الطَّلْعُ .
والحبُّ	: كالقمحِ والشعيرِ مما يتغذَّى بِهِ .
العَصْفُ	: التبنُ، أو القِشْرُ الذي يكونُ على الحب، وسُمِّي عَصفاً لأنَّ الريحَ تُطَيِّرُهُ لِخِفَّتِهِ.
والرَّيحانِ	: كلُّ طيِّبِ الرائحةِ من النباتِ كالوردِ .
آلاءِ	: نِعَمٍ .
تُكذِّبانِ	: تَكفرانِ وتَجْحدانِ النِّعمةَ .
صلصالٍ	: طينٍ يابسٍ غيرِ مشويٍّ بالنّارِ .
كالفخّارِ	: الخزَفِ المجوَّفِ الذي جُفِّفَ بالنارِ .
منْ مارجٍ	: من لهبٍ خالصٍ لا دخانَ فيهِ .

التفسير :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾ .

تبتدىءُ السُّورةُ بآيةٍ مِنْ كَلِمَةٍ واحدةٍ هي اسْمِ اللهِ تَعالى ، ثُمَّ ذكرتِ الآيةُ التاليةُ أعظمَ مظاهرِ رحمتِهِ : تعليمَ القرآنِ ، ثمَّ ذكرَ خَلْقَ الإنسانِ ، فَمِنْ عظيمِ رحمةِ اللهِ تعالى بالإنسانِ أنْ خلقَهُ وعلَّمَهُ القرآنَ ، ثمَّ عَلَّمَهُ البيانَ بأنْ يُعبِّرَ عن نفسِهِ بأفصحِ لسانٍ وَأَجْلى بيانٍ ، ومِنْ نِعَمِهِ كذلكَ خَلْقُ الأكوانِ

فجعلَ الشّمسَ والقمرَ يجريانِ بحُسْبانٍ ، أي بحسابٍ دقيقٍ في منازِلهما ، وبحركتِهما يضبطُ الناسُ أوقاتَهم ، وعبادتَهم ومعاملاتِهم .

ثُمَّ ذكَرَ النصُّ الكريمُ الأرضَ وبيّن أنَّ الشَّجرَ والنَّباتَ يَسْجدانِ للهِ ، وذكرَ السَّماءَ التي خلقَها اللهُ مرفوعةً ، وأنّهُ ـ سبحانه ـ أقامَ نظامَ الكونِ على العدلِ ، ووضعَ الميزانَ ، فيا أيُّها الخَلْقُ لا تَجُوروا في الوزنِ ولا تتجاوزوا الحقَّ فيهِ ، وأقيموا وزنَكُم بالحقِّ والعدلِ ، ولا تَنْقُصوا في الميزانِ .

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾ .

ثم عادَ السياقُ إلى الأرضِ وذِكْرِها ، فاللهُ خَلَقَها ، وجَعَلَها مخفوضةً عن السَّماءِ ليعيشَ الخلقُ عليها ، وجَعَلَ فيها أصنافَ النَّباتِ ، وجعلَ في الأرضِ أنواعَ النَّخْلِ ذاتِ الطَّلْعِ الذي يُعدُّ ليكونَ التمرَ النّاضجَ اللذيذَ المفيدَ ، وأنبتَ الحبَّ الذي تأكلُ الدوابُّ مِنْ قشرِهِ ، والبَشَرُ من لُبِّهِ ، ومنَ النَّباتِ ما يُتَّخذُ للرائحةِ الطيبةِ كالوردِ . ﴿فبأيِّ آلاءِ ربّكما تكذبان﴾ هذه الآيةُ تَرَدَّدَتْ في هذهِ السُّورَةِ إحدى وثلاثينَ مرةً ، يُفْصَلُ بها بينَ نِعْمَتَيْنِ لينبِّهَ اللهُ عبادَهُ على النّعمِ ، ويقيمَ عليهِمُ الحُجَّةَ ، وفيها استفهامٌ ينكرُ اللهُ فيهِ الكفرَ بالنِّعْمةِ وتكذيبها .

ثُمَّ ذَكَر اللهُ تعالى خلقَ الإنسانِ والجانِّ ، فقدَ خَلَقَ الإنسانَ من طينٍ صلبٍ كالفخّارِ ، وخلقَ الجانَّ مِنَ النارِ ، فبأيِّ النِّعَمِ يجحدُ الخَلْقُ ؟

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مِنْ أَعْظَمِ تَجلّياتِ رَحْمَةِ اللهِ تعليمُ القرآن ، وهذا مُشْعِرٌ بِعَظَمةِ القُرْآنِ .

٢ـ الإنسانُ لا تَتِمُّ إنسانِيَّتُهُ إلا بتعليميْنِ : القرآنِ والبيانِ .

٣ـ الكونُ يسيرُ بنظامٍ دقيقٍ ، ودليلُ ذلك حركةُ الشَّمْسِ والقَمَرِ .

٤ـ كُلُّ ما في الكونِ عابدٌ للهِ ، ساجدٌ للهِ تَعالى ، وهو مبنيٌّ على العَدْلِ .

٥ـ الميزانُ ضابطٌ يضبط به البشرُ أمورَهم الماديةَ والمعنويَّةَ .

٦ـ مَنْ تفَكَّرَ في أنواعِ النَّباتِ أدركَ حكمةَ اللهِ في خَلْقِ كُلِّ شَيْءٍ .

٧ـ شاءَ اللهُ أن يَخْلُقَ الإنسانَ مِنْ طينٍ ليرتفعَ بالدِّين ، ولئلا يتكبَّرَ على العالَمِينَ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ خَمْساً مِنَ النِّعمِ الَّتي ذكرتْها آياتُ هذا الدَّرْسِ .

٢ـ لماذا قَدَّمَ النَّصُّ تعليمَ القرآنِ على خَلْقِ الإنسانِ ؟

٣ـ بيِّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمّا يأتي :

أ ـ ﴿عَلَّمَهُ البيانَ﴾ .

ب ـ ﴿الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾ .

ج ـ ﴿والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ﴾ .

د ـ ﴿وَوضعَ الميزانَ﴾ .

هـ ـ ﴿والحبُّ ذو العَصْفِ والرَّيْحانُ﴾ .

٤ـ ماالفرقُ بينَ النَّجْمِ والشَّجَرِ ؟

٥ـ أ ـ مِنْ أَيِّ شيءٍ خلقَ اللهُ تَعالى كُلاً مِنَ الإنْسِ وَالْجِنِّ ؟

ب ـ وما دليلُ ذلكَ ؟

تَعلَّمْ :

قالَ تَعالى ﴿فبأيِّ آلاءِ ربّكما تُكذِّبانِ﴾ . الخطابُ مُوَجَّهٌ للإنسِ والجنِّ ، ومعناه : فَبِأَيِّ نِعَمِ اللهِ عليكُما ، التي لا تُعدُّ ولا تُحصى تَجْحَدانِ ، ولا تَشْكرانِ ، ولا تَحْمَدانِ ؟

ولهذا علّمنا الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عِنْدَ سَماعِ هذهِ الآيةِ أنْ نقولَ « ولا بشيءٍ من نِعَمِكَ ربَّنا نُكذِّبُ ، فلكَ الحَمْدُ » .

نشاط :

كيفَ يكونُ الرَّسُولُ ﷺ مُبَشِّراً ونذيراً في آنٍ واحدٍ ؟ اكتب الإجابةَ في دفترِكَ .

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ نوعينِ مِنْ كلٍّ مِمّا ذُكِرَ :

أ ـ الفاكهةِ ب ـ الحبِّ ج ـ الرَّيَحْانِ .

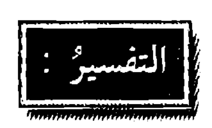
الدَّرسُ الثَّاني وَالثَّلاثُونَ

سُورَةُ الرَّحْمنِ ـ القِسْمُ الثَّاني

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

المَشْرِقَيْنِ	: مَشْرِقِ الشَّمْسِ في الشِّتاءِ وَمَشْرِقِها في الصَّيْفِ .
المَغْرِبَيْنِ	: مَغْربِ الشَّمْسِ في الشِّتاءِ ومَغْرِبِها في الصَّيْفِ .
مَرَجَ البَحْرينِ يلتقيانِ	: أَرْسلَ اللهُ المياهَ العذبةَ والمالِحةَ في مَجارِيها على سَطْحِ البَحْرِ لا تَخْتَلِطُ .
برزخٌ	: حاجزٌ .
لا يبغيانِ	: لا يطغَى أحدُهما على الآخرِ .
الجَوارِ	: السُّفنُ التي تجري على سطحِ الماءِ .
الأعلامِ	: الجبالِ .
فانٍ	: هالكٌ .
ذو الجلالِ	: ذو العَظَمَةِ .
والإكرام	: الفضلِ التّام .
كُلَّ يومٍ هو في شأنٍ	: كلَّ وقتٍ ولحظةٍ يُحدِثُ أموراً ، ويجدِّدُ أحوالاً ، حسبما تقتضيهِ المشيئةُ الإلهيةُ .



التفسيرُ :

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

تواصِلُ الآياتُ التَّعْريفَ باللهِ عزَّ وجلَّ ، فتبيِّنُ أنّ اللهَ هوَ ربُّ المَشْرِقَيْنِ وهما المكانانِ اللَّذانِ تُشرِقُ مِنْهُما الشَّمْسُ في الصَّيفِ والشِّتاءِ ، وربُّ المَغْرِبَيْنِ وهما المكانانِ اللّذانِ تَغرُبُ فيهما كذلكَ ، فبأيِّ نعمِ اللهِ تجحدونَ وتكفرونَ يا معشرَ الإنسِ والجِنّ ؟

وهوَ ـ سبحانَهُ ـ الذي أرسلَ في الأرضِ الماءَ الحُلْوَ العذبَ من الماءِ المالحِ ، وَأَجْراهُما متجاوِرَيْنِ لا يَخْتَلِطانِ ، ولو اخْتَلَطا لانْعَدَمتِ الحياةُ على الأرضِ . فالماءُ الحُلْوُ جعَلهُ اللهُ في الأنهارِ الجاريةِ والبحيراتِ والينابيعِ الحلوةِ ، والماءُ المالحُ جعلهُ اللهُ في البحارِ والمحيطاتِ والينابيعِ المالحةِ ، وجعل الله بين الماءَيْنِ بحكمتِهِ وقدرتِهِ حاجزاً يفصل بينهما ، فَبِأَيِّ النِّعَمِ تجحدانِ يا مَعْشَرِ الإنسِ والجِنِّ ؟

وهوَ الذي يُخرِجُ منَ البحارِ اللؤلؤَ والمرجانَ ، فبأيِّ النِّعمِ تَجحدانِ يا معشرَ الإنسِ والجنِّ ؟

﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

وتُواصِلُ الآياتُ التَّعْريفَ باللهِ رَبِّنا ، فتقولُ : إنهُ سبحانَهُ الذي لهُ وَحْدَهُ السُّفنُ الجاريةُ في البحرِ ، كأنها جبالٌ مِنْ ضَخامتِها وَثِقَلِها ، فهوَ بقدرتِهِ أجراها على سَطْحِ الماءِ ، ثُمَّ يُقرِّرُ النَّصُّ أنَّ اللهَ تعالى وحدَهُ الباقي ، وأنَّ كلَّ ما على هذهِ الأرضِ ذاهبٌ ميتٌ فانٍ ، وَيَبْقى وجهُ اللهِ ذو الجلالِ والعظَمَةِ والإكرامِ والفضلِ التامِّ على كلِّ الأنامِ فبأيِّ نعمِ اللهِ تجحدانِ ؟

إنّ هذا الإلهَ هو الذي يسألُهُ أهلُ السّماواتِ والأرضِ حوائِجَهم فَيَقْضِيها ، فهوُ كلَّ وقتٍ وكلَّ لحظةٍ يرزقُ عبادَهُ ، ويُحدِثُ أموراً ، ويجدِّدُ أحوالاً ، حسبما تقتضيهِ الحكمةُ الإلهيةُ ، فبأيِّ نعمِ اللهِ تجحدانِ ؟

دروسٌ وعبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ ربُّ كُلِّ شيءٍ ومليكُهُ ، وهو ربُّ مشارقِ الشَّمْسِ ومَغارِبِها .

٢ـ اللهُ تعالى بقدرتِهِ فَصَلَ الماءَ العذبَ مِنَ الماءِ المالحِ ، ولو خلطَهُما لهلَكَتِ الحياةُ .

٣ـ جعلَ اللهُ البحارَ مَصْدَراً عظيماً للثَّرواتِ ، ومِنْ ضِمْنِها اللّؤلؤُ والمرَجانُ ، وسخَّرها بجريان السُّفُنِ عَلَيْها .

٤ـ لا بقاءَ إلاّ للهِ ، وكلُّ مَنْ سِواهُ هالكٌ فانٍ .

٥ـ إنَّ الذي يقضي حوائجَ البشرِ ، ويُجيبُ سائِلَهم ، هو اللهُ وحدَهُ ، وفي كلِّ لحظةٍ تدبيرٌ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿ربُّ المشرقَيْنِ وربُّ المَغْرِبَيْنِ﴾ .

ب ـ ﴿مَرَجَ البحرينِ يلتقيان﴾ .

ج ـ ﴿بينهما برزخٌ لا يبغيانِ﴾ .

د ـ ﴿ولهُ الجَوَارِ المنشئاتُ في البحرِ كالأعلامِ﴾ .

هـ ـ ﴿كلَّ يومٍ هوَ في شأنٍ﴾ .

و ـ ﴿يسألُهُ منْ في السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ .

٢ـ اذكُرْ خَمْسَ نِعَمٍ ذكرتْها آياتُ هذا الدَّرْسِ .

٣ـ ماذا يفيدُ النّاسُ مِنُ البحارِ غيرَ حَمْلِ السُّفُنِ ؟

نشاط :

اكتُبْ مِثالاً واحِداً لكلٍّ مِمّا يَلي :

١ـ نَهْرٍ ماؤُهُ حُلْوٌ عذبٌ .

٢ـ نَبْعٍ ماؤُهُ حلوٌ عذبٌ .

٣ـ نبعٍ ماؤهُ مِلْحٌ حارٌّ .

٤ـ بحرٍ ماؤهُ مِلْحٌ .

٥ـ بحرٍ ماؤهُ حُلْوٌ .

الدَّرسُ الثالثُ والثلاثونَ

سُورَةُ الرَّحْمنِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

سنفرُغُ لكُم : سَيَحينُ وَقْتُ حِسابِكم يومَ القيامةِ .

الثَّقلانِ : الإنسُ والجنُّ .

لا تنفُذونَ إلا بسلطانٍ : لا تقدرونَ على الخروجِ إلا بقوّةٍ وأنتم بمعزلٍ عَنْ ذلكَ .

يُرْسَلُ عَلَيْكُما : يُصبُّ عَلَيْكُما .

شُواظٌ : لهبٌ بلا دخانٍ .

انْشَقَّتْ : تَصَدَّعَتْ ، ويكونُ ذلك يومَ القيامةِ .

وردةً : كالوردِ في الحُمْرَةِ .

كالدِّهانِ : مُحْمَرَّةً ذائبةً كالدهانِ مِنْ حَرارةِ جَهَنَّمَ .

فيومئذٍ لا يُسأَلُ عن ذنبِهِ : حينَ الخروجِ من القبورِ لا يسألونَ .

بسيماهُم : بالعلاماتِ المميِّزةِ لهم .

فيؤخذُ بالنَّواصِي والأقْدام : تأخذُهم الملائكةُ من مَقدمِ رؤُوُسِهِم ، وأرجُلِهم فتقذفُهم في النّارِ .
يطوفون بينَها وبينَ حميمٍ آنٍ : يتردَّدونَ بينَ حرِّ النّار والماءِ الحارِّ ، فهُمْ في عذابٍ دائمٍ مستمرٍ .

التفسير :

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

تبتدىءُ آياتُ هذا الدَّرْسِ بذكرِ الحسابِ والجزاءِ يومَ القيامةِ ، فتقولُ : سنقْصِدُ إلى حسابِكم يا معشرَ الجنِّ والإنسِ ، فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تَجْحَدانِ ؟ ثُمَّ يُناديهماالسِّياقُ الكريمُ قائلاً : يا معشرَ الجنِّ والإنسِ ، إنِ استطعتُمُ الخروجَ منْ أنحاءِ كونِ اللهِ ، ومن أقطار سماواتِهِ وأرضِهِ ، فاخْرُجوا وانفُذُوا ، إنّكم لا تَنفُذونَ إلا بقوةٍ وقدراتٍ ، وهذا ليسَ لديكم ، فأنتُمْ مأسورونَ في قبضةِ اللهِ ؛ فبأيِّ نِعَمِ اللهِ تكفرانِ ؟ ولو فعلتم أيْ : خَرَجْتُم ، سيُصَبُّ عليكم لهبٌ من نارٍ ومن نحاسٍ مُذابٍ فلا تقدرانِ على النَّفاذِ ، فبأيِّ نِعَمِ اللهِ تكفرانِ ؟

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

فإذا جاءتِ القيامةُ ، وتصدَّعتِ السَّماءُ ، وَتَشَقَّقتْ وتحوَّلتْ إلى صهيرٍ مذابٍ أحمرَ كالدِّهانِ ، فبأي آلاءِ اللهِ تجحدانِ ؟ وفي يوم الخُروجِ منَ القبورِ ، لا يُسْأَلُ عن ذنبِهِ إنسٌ ولا جانٌّ ، لأنهم سيُسألونَ في وقتٍ آخرَ هو وقتُ الحسابِ ، في ذلكَ اليومِ يُعْرفُ المجرمونَ الذين كفروا باللهِ ورُسلِهِ بعلاماتٍ خاصَّةٍ تُميزهُم ، فتأخذهُمُ الملائكةُ من مَقْدَمِ رؤوسِهِم ومن أرجُلِهِم ، فتُلقي بهم في جهنَّمَ ، ويقال لهم : هذهِ جهنَّمُ التي كنتمْ تكذبونَ بها أيّها المجرمون ، ها أنتم تَصْلَوْنها ، وتذوقونَ لظاها ، مُتَردِّدينَ بينَ النّارِ مَرَّةً والماءِ المَغْليِّ تارةً أخرى في عذابٍ دائمٍ مستمرٍّ ، فبأيِّ نعمِ اللهِ تكفرونَ ؟

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ وقتُ الحسابِ آتٍ لا ريبَ فيهِ .

٢ـ لا يستطيعُ الإنسُ والجنُّ أنْ يخرجوا مِنَ السّماواتِ والأرضِ .

٣ـ كَوْنُ اللهِ محروسٌ ، فمن حاولَ تَخَطّي حُدودِهِ انْصَبَّ عليهِ من العذابِ مالا يُحسبُ لَهُ حسابٌ .

٤ـ في يومِ القيامةِ تَتَشَقّقُ السَّماءُ ، وتتحوّلُ إلى كُتَلٍ ملتهبَةٍ حمراءَ كالدِّهانِ .

٥ـ في لحظةِ الخُروجِ مِنَ القُبورِ لا يُسالُ الناس عَنْ أعمالِهم ، إذْ إنَّ للسؤالِ وقْتاً آخَرَ .

٦ـ المجرمونُ لهمْ علاماتٌ تميزُهُم ، فيأخذُ الملائكةُ برؤوسِهِم وأرجُلِهم ، فَيُلْقونَهُم في جهنَّمُ لِيَذُوقوا العذابَ الشَّديدَ ، فهُمْ يتردَّدونَ بينَ حرِّ النارِ وحرِّ الماءِ المغليِّ .

التقويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ مَنْ هَمُ الثَّقلانِ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿سَنَفْرُغُ لكمْ ايُّها الثقلانِ﴾ .

ب ـ ﴿فانفذُوا لا تنفذونَ إلا بسلطانٍ﴾ .

ج ـ ﴿يُرسَلُ عليكما شُواظٌ من نارٍ ونحاسٌ﴾ .

٣ـ هلْ يُسألُ الناسُ عنِ الأعمالِ وقتَ خروجِهم مِنَ القُبورِ ؟

٤ـ كيفَ يُعرفُ المجرمونَ يومَ القيامةِ ؟

٥ـ أ ـ كيفَ تَأْخُذُهُمُ الملائكةُ ؟

ب ـ كيفَ يكونُ عذابُهم في جهنَّمَ ؟

نشاط :

اكتُبْ في دفترِكَ أحداثَ يومِ القيامةِ مرتَّبةً مِنَ البعثِ حتى دخولِ الجنَّةِ والنّارِ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ

سُورَةُ الرَّحْمن ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

معاني المُفْرداتِ :

خافَ مقامَ ربِّه	: خافَ مراقبةَ ربِّهِ لهُ وقيامَهُ بينَ يديْهِ للحساب .
جنّتانِ	: يَنتَقِلُ مِنْ إحْداهُما إلى الأُخْرَى لِمَزيدٍ مِنَ التَّنْعيمِ والتَّكْريمِ .
ذَواتا أفنانٍ	: الجَنّتانِ ذواتا أغصانٍ متشابكةٍ .
زَوْجانِ	: صِنْفانِ .
بَطائِنُها	: جمعُ بطانَةٍ ، وهيَ داخلُ الثَّوْبِ .
إستبرقٍ	: حرير .
الجَنى	: الثِّمارُ .
دانٍ	: قريبٌ مِنْ مُتناوَلِ أيدي أهلِ الجنَّةِ .
قاصراتُ الطَّرْفِ	: نساءٌ قاصراتٌ أبصارَهُنّ على أزواجِهِنَّ .
لم يَطْمِثْهنَّ	: لم يعاشِرْهُنَّ قبلَهُم أحدٌ فهنَّ أبكارٌ .
الياقوتُ	: حَجَرٌ كريمٌ نَفيسٌ صافي اللَّوْنِ .
المَرجانُ	: حجرٌ كريمٌ نفيسٌ أحمرُ اللونِ .

التفسيرُ :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

في هذا الدَّرْسِ وَصْفُ نِعَمِ أهلِ الجنّةِ مِنَ السّابقينَ أصحابِ الدّرجاتِ العُلى ، فتقولُ الآياتُ : وللذي خافَ وقوفَهُ بينَ يدي ربِّهِ للحساب ، وخافَ مراقبةَ ربِّهِ واطِّلاعَهُ على عملِهِ ، له جنَّتانِ فيهما أنواعٌ منَ الأشجارِ ذاتِ الأغصانِ الكثيرة المتشابكةِ ، فبأيِّ آلاءِ اللهِ يُكَذِّبُ الإنسُ والجانُّ ، وفي هاتين الجَنَّتَينِ عَيْنانِ تَجْرِيانِ ، وفيهما مِنْ كلِّ فاكهةٍ صنفانِ ، وفي مجالِسِهم يتكئونَ على فُرُشٍ دواخِلُها مِنَ الحَريرِ والدِّيباجِ ، وثمارُ الجنَّةِ قريبةٌ من أيديهم يَسْهُلُ تناوُلُها ، وفي الجنَّتَيْنِ نِساءٌ قاصراتٌ أبصارَهُنَّ على أزواجِهِنَّ ، أبكارٌ لم يَلمسْهُنَّ مِنْ قبلِهم إنسٌ ولا جانٌّ . وزيادةً في إكرامِهم ، كأنَّ هذهِ النِّساءَ الياقوتُ في صفاءِ ألوانِهنَّ ، والمرجانُ في جمالِهِ وحُمرةِ لونِهِ ، فبأيِّ نعمِ اللهِ تكفرانِ يا معشرَ الإنسِ والجانِّ ؟

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ﴾

كُلُّ هذا النَّعيمِ جزاءٌ على إحسانِكُم في الدُّنيا ، لأنَّ القاعدةَ الإلهيةَ أنَّ الإحسانَ جزاؤُهُ الإحْسانُ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ نَعيمُ أَهْلِ الجَنَّةِ حَقيقيٌّ ، وكذلكَ عذابُ أَهْلِ النّارِ ، وليسَ ضَرْباً مِنَ الخَيالِ كما يقولُ الذينَ لايَعْلَمونَ .

٢ـ لِلْمُتَّقينَ جنَّتانِ لمزيدٍ مِنَ الامتنانِ والنَّعيمِ .

٣ـ في الجِنانِ مِنَ الأفنانِ والألوانِ ما لا يُحيطُ بهِ إنسانٌ ، فذكرَ اللهُ لنا ألوانَ الشرابِ والفِراشِ والطَّعامِ لِيُقرِّبَ لنا صورةَ الجنَّةِ .

٤ـ القانونُ الإلهيُّ أنَّ الإحسانَ في الدُّنيا جزاؤُهُ الإحسانُ في الدُّنيا وفي الآخرةِ .

التقويم :

أَجِبْ عنِ الأَسْئِلَةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمّا يأتي :

أ ـ ﴿ولمنْ خافَ مقامَ ربِّه جنتانِ﴾ .

ب ـ ﴿وجَنَىٰ الجَنَّتينِ دانٍ﴾ .

ج ـ ﴿قاصراتُ الطَّرْفِ﴾ .

٢ـ ما القانونُ الإلهيُّ الذي ذكرتهُ الآياتُ ؟

٣ـ كم مَرَّةً وَرَدَتْ كلمةُ الإحسانِ ؟

* * *

الدَّرسُ الخامسُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ الرَّحْمنِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾

معاني المُفْرداتِ :

وَمِنْ دُونِهما جَنَّتَانِ	: ومِنْ دُونِ الجَنَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ جَنَّتَانِ لأَصْحَابِ اليَمِيْنِ ، وهمُ الأَقلُّ رتبةً مِنَ السّابقينَ .
مُدْهامّتانِ	: شَدِيدَتا الخُضْرَةِ .
عَيْنانِ نَضّاخَتانِ	: فوّارتانِ بالماءِ لا تَنقَطِعانِ .
حُورٌ	: نِساءٌ حُورٌ ، واسِعاتُ العُيونِ ، شديداتُ البياضِ ، وفي عيونِهنَّ سوادٌ .
مقصوراتٌ في الخيامِ	: ملازماتٌ للبيوتِ .
رَفْرَفٍ	: فُرُشٍ أو وَسائدَ .
وعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ	: كلُّ ثوبٍ موشىً عندَ العربِ فَهو عبقريٌّ .
تبارَكَ اسمُ رَبِّكَ	: تعالى اسمُهُ الجليلُ ، وارتفعَ عما لا يَليقُ به ، وكثُرَ خيرُهُ .



التفسيرُ :

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

هذا هُوَ الدَّرْسُ الأخيرُ في سُورَةِ الرَّحْمنِ فيهِ وصفُ نعيمِ الجنّةِ التي لأصحابِ اليَمينِ ، وهي مَرْتَبَةٌ دونَ التي ذُكرتْ في الدَّرْسِ السّابِقِ .

تبتدىءُ الآياتُ بذكرِ أنَّ الجَنَّتَيْنِ المتَحَدَّثِ عَنْهُما في الدَّرْسِ هما لأَصْحابِ اليمينِ ، وهاتان الجَنَّتانِ شَديدَتا الخُضْرَةِ ، وفيهما عينانِ فوّارتانِ بالماءِ لا تنقطعانِ ، وفيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمّانٌ ، وبعدَ كلِّ نعمةٍ كانَ السِّياقُ يسألُ : فبأيِّ آلاءِ اللهِ تجحدانِ يا معشرَ الجنِّ والإنس ؟

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾

وفي الجنّتينِ خيراتٌ حِسانٌ أي نساءٌ صالحاتٌ بيضُ الوجوهِ واسعاتُ العيونِ سَمّاهُنَّ القُرآنُ الحُورَ العينَ ، هؤلاءِ ملازماتٌ للبيوتِ ، وفي هذا مزيدٌ من الإنعام على أزواجِهِنّ ، وهذِهِ الزوجاتُ لم يلمسْهُنَّ إنسٌ ولا جانٌّ ، وأهلُ الجنَّةِ وأزواجُهم مُتَّكِئونَ على الأرائِكِ والوسائدِ الخضرِ المزّينةِ بالمناظرِ ، فبأيِّ نعمِ اللهِ يكفرُ الإنسانُ والجنُّ ؟ وخُتِمَتِ السُّوَرةُ بتعظيمِ اللهِ كما بدأتْ بِذكْرِهِ تعالى . فقالتْ : تباركَ وتعظَّمَ اسمُ ربِّكَ صاحبِ الجلالةِ والعظمةِ وصاحبِ الإنعامِ .

دروسٌ وعِبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الجَنَّةُ دَرجاتٌ بعضُها فوق بعضٍ ، كما أن النارَ دركاتٌ بعضُها تَحْتَ بَعْضٍ .

٢ـ لِأَصْحابِ اليَمينِ جَنَّتانِ دُونَ منزلةِ جَنَّتَي السّابقينِ . وفيهما منْ ألوانِ النَّعيمِ والثيابِ والشّرابِ ما يُكْرِمُ بهِ الصّالحونَ ، ومنْ كمالِ نعيمِ أهلِ الجنَّةِ زوجاتٌ ملازماتٌ للبيوتِ .

٣ـ ينبغي تذكُّرُ النِّعَمِ ، فلا تُنْسى ، بل تُشكرُ ولا تُكْفَرُ .

٤ـ عَقِبَ كُلِّ نعمةٍ حَمدٌ للهِ حتى يَحفَظَها اللهُ ويزيدَها .

التقويمُ :

١ـ لِمَنِ الجَنَّتانِ المُتَحَدَّثُ عنهما في هذا الدَّرْسِ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿ومِنْ دُونِهما﴾ .

ب ـ ﴿مُدْهَامّتانِ﴾ .

ج ـ ﴿عينانِ نضّاخَتان﴾ .

د ـ ﴿حورٌ مقصوراتٌ في الخيامِ﴾ .

هـ ـ ﴿عبقريٍّ﴾ .

و ـ ﴿تباركَ اسمُ ربِّكَ﴾ .

٣ـ أ ـ كم مَرَّةً وَرَدَتْ كلمةُ ﴿حِسان﴾ ؟

ب ـ وما دلالةُ ذلكَ ؟

نشاط :

وازِنْ بَيْنَ نَعيمِ أهلِ الجَنَّتَيْنِ الأُولَيَيْنِ ، وَنَعيمِ أَهْلِ الجَنَّتَيْنِ الثانيتينِ على شَكْلِ جَدْوَلٍ ، وعلِّقهُ على مجلّةِ الحائطِ في مدرستِكَ .

* * *

الدَّرسُ السَّادسُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ الواقِعَةِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾

تعريفٌ بالسُّورةِ :

سُورَةُ الواقِعَةِ سُورَةٌ مكيَّةٌ ، وآياتها ستٌّ وأربعونَ آيةً ، وترتيبُها في المُصْحَفِ السّادِسَةُ والخمْسُونَ ، وموضوعُها : القيامةُ وأصنافُ الناسِ الثّلاثةُ ، صنفانِ في الجنَّةِ ، وصنفٌ في النارِ ، كذلكَ أقامتِ السُّورَةُ الدّلائِلَ على وُجودِ اللهِ ، ووحدانيتِهِ ، وكمالِ قدرتِهِ من خلالِ خلقِهِ ، وبديعِ صنعِهِ في مشاهدَ كونيةٍ يراها النّاسُ .

معاني المُفْرداتِ :

إذا وَقَعتِ الواقعةُ : إذا قامتِ القيامةُ .

ليسَ لوَقْعَتِها كاذبةٌ : لا يوجَدُ عندَ وقوعِها مَنْ يكذِّبُ بِها .

خافضةٌ رافعةٌ : تخفضُ الكفارَ وترفعُ المؤمنينَ .

إذا رُجَّتِ الأرضُ رجّاً : إذا زُلزِلتِ الأرضُ زلزالاً شديداً :

وَبُسَّتِ الجبالُ بَسّاً : فُتِّتَتْ تفتيتاً حتى صارتْ كالطَّحينِ .

هباءً : ما يتطايرُ في الهواءِ .

منبثّاً : متفرّقاً .

وكُنْتُم أزواجاً ثلاثةً : وَصِرْتُم أصنافاً ثلاثةً .

المَيْمَنةِ : اليَمينِ .

المَشْأَمَةِ : الشِّمالِ .

السّابقونَ : الذين يُسارِعونَ إلى طاعةِ اللهِ في كلِّ ما دعا إليهِ .

ثلّةٌ : جماعةٌ كثيرةٌ .

سُرُرٍ موضونةٍ : سُرُرٍ مَنْسوجةٍ مِنَ الذَّهَبِ .

بأكوابٍ : الكوبُ هو القدَحُ الذي لا عُروةَ لهُ ، أي لا مَقْبِضَ لَهُ .

وكأسٍ مِنْ معينٍ : إناءٍ مِنْ خَمْرِ الجنّةِ التي تَجري كالعُيونِ .

لا يُصدَّعون عنها : لا يُصيبُهم صُداعٌ بسببِ شُرْبِها .

ولا يُنْزِفون : لا تَذهبُ عقولُهم كما تَفْعلُ خمرُ الدّنيا .

وَحُورٌ عِينٌ : جَمْعُ حَوْراءَ ، وَهُنَّ النِّساءُ بيضُ اللونِ ، واسعاتُ العيونِ .

كأمثالِ اللّؤلؤِ المكنونِ : هُنَّ في البياضِ كاللؤلؤِ الذي في الأصدافِ لم تَمَسَّهُ يدٌ .

لا يَسْمَعونَ فيها لغواً ولا تأثيماً : لا يسمعونَ في الجنَّةِ كلاماً تافِهاً أو قَبيحاً .

التفسيرُ :

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

تتحدّثُ هذهِ الآياتُ العشرُ عنِ القيامةِ إذا وقعتْ وَنزَلَتْ ، فإنّها تقعُ حَقّاً ، ولا يُكذِّبُ يومَئذٍ بها أحدٌ كما يفعلونَ اليومَ ، هذهِ القيامةُ تَخفضُ أقواماً ، وترفعُ غَيْرَهُم ، وتزلزلُ الأرضَ يومَئذٍ زلزالاً شديداً ، وتُفتِّتُ الجبالَ فتصبحُ ذَرّاتٍ كالهباءِ ، ويكونُ الناسُ في ذلكَ اليومِ ثلاثةَ أصنافٍ : أصحابَ اليمينِ ، وأصحابَ الشِّمالِ ، والسّابقينَ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦ ﴾ .

تبيِّنُ هذهِ الآياتُ جزاءَ السّابقينَ ، فتقولُ إنَّهم مقرّبونَ منَ اللهِ ، مقامُهُم في جناتِ النّعيمِ ، وهُمْ جماعاتٌ كثيرةٌ من الأولينَ وقليلٌ منَ الآخِرينَ ، وقد يكونُ المعنيُّ به الأولينَ من أتباعِ الأنبياءِ السّابقينَ ، أو الذينَ آمنوا مَعَ نبيِّنا ﷺ ، هؤلاءِ السابقونُ يجلسونَ على سُرُرٍ منسوجةٍ بالذهبِ متكئينَ على الوسائدِ متقابلين ، يدورُ لخدمتِهم أطفالٌ صغارٌ في سنِّ الخدمةِ يبقونَ على حالِهم ذاكَ ، يدورون عليهم بأقداحٍ وأباريقَ فيها أنواعُ الشَّرابِ ، وكؤوسٍ مِنْ عُيونٍ جاريةٍ بالخَمْرِ ، لا يصيبُ شاربَها ما يصيبهم من شُربِ خمرِ الدُّنْيا مِنَ الصُّداعِ وَذَهابِ العقلِ ، فليسَ لها من الخمرِ إلَّاَ اسمُها ، ولهم أنواعُ الفاكهةِ التي يختارونهَا ، وأنواعُ لحمِ الطيرِ التي يشتهونَ ، ولهمْ زوجاتٌ من الحورِ العينِ التي يَحارُ النظرُ في جمالِهنّ وبياضِهنَّ وَسَعَةِ عُيونِهنَّ ، كأنهنَّ لشدةِ بياضِهنّ لؤلؤٌ ما زالَ في الأَصْدافِ ، لمْ تُصِبْهُ شمسٌ ولا لَمَسَتْهُ يدٌ . هذا النعيمُ كلُّهُ جزاءٌ لهم على عملِهِمُ الذي كانوا يعملونَه ، لا يَسْمَعونَ في الجنَّةِ كلاماً فيهِ فحشٌ وقبْحُ ، ولا كلاماً فارغاً لا معنى لهُ منَ القولِ ، ولكنْ يَسْمَعونَ التّحياتِ تتردّدُ من الملائكةِ قائلينَ لهم : سلاماً .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القيامةُ حقٌّ وواقعٌ لا يكذِبُ ، وعندما تُبَدَّلُ أحوالُ الناس تَخفِضُ المرتفعَ وتَرفَعُ المنخفضَ من الخلقِ ومِنَ الجمادِ ، ويتغيّرُ وجْهُ الكونِ .

٢ـ النّاس يومَ القيامةِ ثلاثةُ أصنافٍ : صنفانِ في الجنَّةِ وواحدٌ في النّارِ .

٣ـ في الجنّاتِ ما تشتهيهِ الأنفسُ منْ ألوانِ الفاكهةِ واللّحمِ ، عِوَضاً عمّا قاساهُ المؤمنونُ مِنْ مَشقاتِ الدُّنيا وحرمانِ لذاتِها .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا يحدُثُ للأرضِ والجبالِ يومَ القيامةِ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿وقعتِ الواقعةُ﴾ .

ب ـ ﴿خافضةٌ رافعةٌ﴾ .

ج ـ ﴿ليس لوقعتها كاذِبةٌ﴾ .

د ـ ﴿ثلّةٌ منَ الأولينَ﴾ .

هـ ـ ﴿سُرُرٍ موضونةٍ﴾ .

و ـ ﴿ لا يُصدّعونَ عنها ولا ينزفونَ﴾ .

٣ـ إلى كم صنفٍ سَيُقْسَمُ البشرُ يومَ القيامةِ ؟

٤ـ ما أعلى أصنافِ البشرِ يومَ القيامةِ ؟

٥ـ أ ـ اذكُرْ أربعَ نِعمٍ يُكرمُ اللهُ بها أهلَ الجنّةِ في الجنَّةِ .

ب ـ اذكر دليلَ كلِّ نعمةٍ منْ آياتِ الدَّرْسِ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ أولَ خمسِ آياتٍ من سُورَةِ الزلزلةِ .

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ تحيةَ أهلِ الجنَّةِ ، والآيةَ الدالّةَ على ذلكَ .

* * *

الدرس السابع والثلاثون

سُورَةُ الواقِعَةِ ـ القِسْمُ الثَّاني

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

سِدْرٍ مَخْضودٍ : شَجَرٍ بلا شَوْكٍ .

طَلْحٍ مَنْضودٍ : مَوْزٍ نُضِّدَ وجُعِلَ بَعضُهُ فوقَ بعضٍ .

وظلٍّ ممدودٍ : ممتدٌّ لا يزولُ .

وماءٍ مسكوبٍ : مَصبوبٍ يَجْري على وجهِ الأرضِ .

مرفوعةٍ : مرتفعةٍ .

عَرُباً : مُتَحَبِّباتٍ إلى أزواجِهِنَّ .

أترابًا : متساوياتٍ في السنِّ .

ثلةٌ من الأولينَ وثلةٌ من الآخِرينَ : جماعةٌ ممنْ شاهدوا النبيَّ ﷺ وجماعةٌ مِمَّنْ لم يُشاهِدوهُ .

التفسيرُ :

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

آياتُ هذا الدَّرْسِ تتكلَّمُ عن نَعيمِ أهلِ اليمينِ في الجَنّاتِ ، فبعدَ أنْ ذكرتْ ما أعدَّ اللهُ تعالى

للسّابقينَ ، جاء بيانُ ما أعدَّهُ اللهُ تعالى لأَصْحابِ اليَمينِ . وتبتدىءُ الآياتُ بِذِكْرِهِمْ .

ثُمَّ تَسْأَلُ عنْهمْ لِتعظيمِ شأنِهم فتقولُ : ما أصحابُ اليمين ؟ أيْ : أيُّ شيءٍ هُمْ أصحابُ اليَمينِ في أحوالِهم وصفاتِهم ؟ إنهم جماعةٌ مِنَ الأولينَ ، وجماعةٌ من الآخرينَ ، لهُمْ في الجَنَّةِ شجرٌ لا شوكَ فيهِ ، وموزٌ قد نُضِّدَ ثمرُهُ وصُفَّ بعضهُ فوقَ بعضٍ ، وظلٌّ ظليلٌ ممتدٌّ لا يزولُ ، وماءٌ كثيرٌ يجري على وجهِ الأرضِ ، وأنواعٌ كثيرةٌ من الفاكهةِ على الشَّجَرِ غيرُ مقطوعةٍ مِنْ قطافِ أهلِ الجنةِ لها ، وأَسِرَّةٌ مرتفعةٌ يجلسونَ عليها .

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

ومِنْ نعيمِهم زوجاتٌ أبكارٌ مُتَحبّباتٌ لأزواجِهِنّ متماثلاتٌ في السنِّ ، خلقهنَّ اللهُ خلقاً جديداً ، وأعدَّهُنَّ لأصحابِ اليمينِ الذين هم جماعةٌ من الأولينَ ، وجماعةٌ منَ الآخرينَ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أصحابُ اليَمينِ هُمُ المرتبةُ الثانيةُ مِنَ المؤمنينَ في الجنّاتِ ، وفي هذهِ المرتبةِ غالبيّةُ المؤمنينَ .

٢ـ أصحابُ اليمينِ جماعةٌ مِنَ المتقدمينَ ، وهم الأنبياءُ والسّابقونَ وبَعْضُ أَتْباعِهِمْ ، وجماعةٌ مِنْ هذه الأُمَّةِ وعلى رَأْسِهِمْ رَسُولُهم ﷺ .

٣ـ نَعيمُ أصحابِ اليمينِ في الجنَّةِ أشجارٌ وظلالٌ وفاكهةٌ وفرشٌ وزوجاتٌ متودِّداتٌ .

التقويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّن مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿ما أصحابُ اليمينِ﴾ .

ب ـ ﴿سدرٍ مخضودٍ﴾ .

ج ـ ﴿طَلْحٍ منضودٍ﴾ .

د ـ ﴿ماءٍ مسكوبٍ﴾ .

هـ ـ ﴿ظلٍّ ممدودٍ﴾ .

و ـ ﴿عُرُباً أتراباً﴾ .

٢ـ وازن بينَ ما أعدَّهُ اللهُ تعالى للسّابقينَ ، وما أعدَّهُ اللهُ لأصحابِ اليمينِ .

السَّابقونَ	أصحابُ اليمينِ

* * *

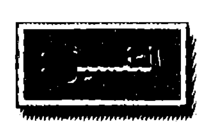
الدرس الثامن والثلاثون

سُورَةُ الواقِعَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

سَمومٍ	: ريحٍ حارَّةٍ .
وحميم	: ماءٍ حارٍّ جداً .
وظلٍّ مِنْ يَحْمومٍ	: دخانٍ شديدِ السَّوادِ .
لا باردٍ ولا كريمٍ	: ليس هذا الظلُّ كسائرِ الظِّلالِ يُستروَحُ بهِ ، وينفعُ من يأوي إليه .
مُتْرفينَ	: مُنَعَّمينَ بَطِرين مُتَّبعينَ أهواءَ أنفُسِهم .
يُصرّون على الحِنْثِ العظيمِ	: يدافعونَ عن الذَّنْبِ العَظيمِ وهوَ الشِّرْكُ .
شَجَرٍ مِنْ زَقّوم	: شجرٍ يخلقُهُ اللهُ في النّارِ قبيحِ المنظرِ والطَّعْمِ .
الحميمِ	: البالغ الحرارةِ .
الهيم	: الإبلِ الشّديدةِ العطشِ .
هذا نُزُلُهم يومَ الدين	: هذا الذي أُعِدَّ لهم يومَ الجزاءِ .



﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

آياتُ هذا الدَّرْسِ تَصِفُ عذابَ أَصْحابِ الشِّمالِ .

فَبَعْدَ أنْ بيَّنتِ الآياتُ نَعيمَ أصحابِ اليمينِ والسّابقينَ في جَنّاتِ الخُلدِ ، بيّنتِ الآياتُ عذابَ أَصْحابِ الشِّمالِ ، وبدأتْ بالسُّؤالِ عنهم لِتحقيرِهِم ، ثم تقولُ : إنَّهم في ريحٍ حارّةٍ تدخلُ مسامَ البدنِ ، وتفعلُ فيهِ فعلَ السُّمِّ ، وماءٍ حارٍ غايةَ الحرارةِ ، يشوي وجوهَهم ويُقَطِّعُ أمعاءَهُم ، ودخانٍ أسودَ منعقدٍ فوقَ رؤوسِهم ، سمّاهُ القرآنُ ظِلاً ، وما هو بظلٍّ ، فهوَ لا يُظلُّ ولا يَقي الحرَّ بلْ هوَ حارٌّ جداً لا ينفعُ مِنْ يستظلُّ بهِ . وذلك كلُّهُ لأنَّهم كانوا قبلَ هذا اليوم في الدُّنْيا متّبعينَ أهواءَ نفوسِهم بعيدينَ عن الحقِّ ، وكانوا يُصِرُّونَ على الذَّنْبِ العَظيمِ وهوَ الشِّرْكُ . وكانوا يكفرونُ بالآخرةِ ويقولونَ مستغربينَ حدوثَها : أإذا مِتْنا وتحوَّلْنا تُراباً وعِظاماً أإنا راجعونَ إلى الحياةِ مرّةً أخرى ؟ وهل آباؤنا كذلكَ ؟

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

قل يا أيّها الرَّسُولُ جواباً لهم : نَعَمْ إنَّ الأولينَ والآخرينَ سيبعثونَ ويُجمعونَ في يومٍ محدودٍ معلومٍ ، ثمَّ إنّكُم أيّها الكافرونَ الضالّونَ الجاحدونَ للآخرةِ لآكلونَ من شَجَرِ جَهَنَّمَ ، شجرِ الزقّومِ فمالئونَ بطونكم من هذهِ الأشجارِ ، ثم شاربونَ عليهِ شراباً من ماءٍ مغليٍّ كأنّهُ نارٌ ، ويكونُ شربُهم كشربِ الإبلِ المصابةِ بداءِ الاسْتِسْقاءِ فهي تشربُ ولا ترتوي أبداً ، هذا هوَ الذي أُعِدَّ لكم أيُّها الكافرونَ في يومِ القيامةِ ، يومِ الجزاءِ .

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ أبرزُ صفاتِ أهلِ الشِّمال كفرُهُم بالآخرةِ وإصرارُهُم على الشِّرْكِ .

٢ـ أهلُ الشِّمالِ يستغربونَ كيفَ يُعيدهُم اللهُ بعدَ أنْ أصبحوا تراباً وعظاماً . واللهُ سبحانَهُ سيجمَعُ الأولينَ والآخرينَ في يومٍ معلومٍ محدَّدٍ .

٣ـ عقابُ المكذِّبينَ بالآخرةِ أنْ يكونَ أكلُهُم مِنْ شَجَرِ الزَّقّومِ في النّارِ ، ويكونَ شرابُهم ماءً حارّاً يَغْلي .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ حَاوَلَ الكُفّارُ بالآخرةِ أنْ يستدِلّوا لِعَدَمِ البَعْثِ ، ما دليلُهم ؟

ب ـ بمَ ردَّ اللهُ عليهم ؟

٢ـ ما شجرُ الزّقّومِ ؟

٣ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿شُرْبَ الهِيْمِ﴾ .

ب ـ ﴿فمالِئُونَ منها البُطُونَ﴾ .

ج ـ ﴿فشاربونَ عليهِ منَ الحميمِ﴾ .

* * *

الدرس التاسع والثلاثون

سُورَةُ الواقِعَةِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

فَلَوْلا تُصَدِّقونَ : فهلاّ تُصَدِّقونَ بأنَّ اللهَ خالقُ الخلقِ .

أفرأيتُم ما تمنونَ : أخبروني عمّا يُقذَفُ في الأرحامِ من النُّطَفِ مَنْ يَخْلقُهُ ؟

وما نحنُ بمسبوقين : وما نحنُ بعاجزينَ .

أَنْ نُبدِّلَ أمثالَكم : أَنْ نُهْلِكَكُمْ ونأتيَ بغيرِكُم .

أفرأيتُم ما تحرثونَ أأنتم تزرعونَهُ ؟ : أخبروني عن البذرِ الذي تُلقونَهُ في الأرضِ أأنتم تُنبتونَهُ ؟

حُطاماً : متكسِّراً متفتِّتاً من شدةِ يَبَسِهِ .

تَفكَّهونَ : تعجبونَ من تحوُّلِهِ وتندمونَ .

لَمُغْرَمونَ : لَمُهْلكونَ بهلاكِ نباتِنا وأقواتِنا .

محرومونَ : ممنوعونَ من الرِّزقِ تماماً .

المُزْنِ : السَّحابِ .

أُجاجاً : مِلْحاً شديداً .
النّارَ التي تُورونَ : تُقدّمونَها وتستخرجونَها منَ الشجرِ .
جعلناها تَذْكِرَةً : تذكرةً لنارِ جَهَنَّمَ أو تذكرةً لِنِعَمِ اللهِ لِمَنْ يريدُ أن يتذَكَّرَ ، فالنّارُ نِعمةٌ .
لِلْمُقوينَ : لِلْمُسافرينَ .

التفسيرُ :

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

بيَّنَتِ الآيةُ الأولى مِنْ هذا الدَّرْسِ أنَّ اللهَ هو الذي خلقَ الإنسانَ ، وطلبَ منه التصديقَ ، لأنَّ مَنْ قَدِرَ على الخلقِ قادرٌ على البعثِ ، ثم ساقَ أربعَ حُجَجٍ على قدرةِ الخالِقِ على البعثِ :

الحُجَّةُ الأُولى : خَلْقُ البشرِ ، يقولُ الله تعالى : ﴿نحنُ خلقناكُم﴾ ، فهلْ تصدقونَ هذهِ الحقيقةَ البدهيةَ أم تُمارونَ وتكذِّبونَ ؟ هلاّ آمنتمْ بربِّكُمُ الخالقِ ؟ ثمَّ استعرضَ قصةَ الخَلْقِ منْ أوّلِها مُذْ كانَ الإنسانُ نطفةً في رَحِمِ أمِّهِ ، هذهِ النُّطفةُ منْ صَوَّرَها ؟ ومن كوَّنها ؟ أأنتم خلقتموها أم اللهُ ؟ إنَّ اللهَ هوَ الذي قَدَّرَ الموتَ بعدَ ذلكِ بينَ العبادِ ، كلٌّ لهُ أجلُهُ المُسَمّى المحدّدُ . وليسَ اللهُ بعاجزٍ عن إهلاكِكُم في أيِّ وقتٍ ، والإتيانِ بِبَدَلِكُم إما بخلقِكُم أنتم خلقاً آخرَ أو الإتيانِ بخلقٍ آخرينَ مِنْ سِواكُم ، ولقد عَلِمْتُم بدايتكُم كيفَ كونَّها اللهُ ، فهلا تذكَّرتمْ نشأتَكُمُ الثانيةَ .

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

وفي هذهِ المجموعةِ ثلاثُ حُجَجٍ أخرى (الثانيةُ والثالثةُ والرابعةُ) ، تدلُّ على اللهِ وقدرتِهِ على البَعْثِ ، تسألُ الآيةُ الأولى في بدايةِ الحجَّة الثانيةِ : فتقول : أخبروني عن الأرضِ التي تَحْرُثونها وتبذُرون فيها البذرَ ، هل أنتمُ الذين تُنبتونَ هذا البذرَ أم اللهُ ؟ أنتمْ زرعتُم وتركتُم وجلستُم في بيوتِكم ، واللهُ هو الذي أنبتَ وأنتمُ لا تشعرونَ ، لو نشاءُ ـ يقول اللهُ ـ جعلنا زرعَكُم هذا يابساً

مُتَفَتِّتاً ، إما لقلةِ الماءِ وإما لشدةِ الحرِّ ، وإما لعتوِّ الريح ، وإما بغير ذلك ، فظللتم تتحسرونَ ، وتقولون : سنهلِكُ لهلاكِ مزروعاتِنا ، إننا محرمون من الرِّزقِ .

والحُجَةُ الثَّالِثَةُ : هذا الماءُ الذي به قوامُ الحياةِ ، يشربُهُ الناسُ فيظلُّونَ أحياءً ، أخبروني عنهُ ، هل أنتمُ الذينَ أنزلتموهُ من السحبِ أم نحنُ الذين أنزلناهُ ؟ لو شِئنا لجعلناه كماءِ البحارِ شديدَ الملوحةِ ، لا يُنتفعُ بهِ ، فهلا شكرتُم اللهَ على الماءِ العذبِ .

ثُمَّ الحُجَّةُ الرّابعةُ : أخبروني عن النارِ التي تطبخونَ بها طعامَكم وخبزَكُم وغيرَ ذلكَ ، هذهِ النارُ التي تقدحونَ فتُشعلونَ من الشجرِ الذي كانَ أخضرَ ، من الذي أنشأَ الشجرَ الذي أَوْقَدْتُم منه النّارَ ؟ تَذْكِرَةً لنعمِ اللهِ عليكم ، وتذكرةً كذلكَ بنارِ الآخرةِ لعلكمْ تتقونَ حرَّها ، وجعلناها متاعاً للمسافرينَ .

فسبحِّ أيُّها النبيُّ ، باسمِ رَبِّكَ العَظِيم ، وهي دعوةٌ لكلِّ مسلمٍ إلى التسبيحِ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الذين يُؤمنونَ باللهِ ، وَيُنْكِرونَ قُدْرَتَهُ على البَعْثِ والنُشورِ مُتَناقِضونَ .

٢ـ الحُججُ والدَّلائلُ على وجودِ اللهِ وقدرتِهِ على البعثِ في كلِّ مكانٍ ، ولكنْ أينَ المُتَذَكِّرونَ ؟

٣ـ النَّشْأَةُ الأولى تدلُّ على النَّشْأَةِ الآخِرَةِ ، فالقادرُ على هذهِ النَّشْأَةِ قادرٌ على مِثْلِها .

٤ـ الإنسانُ يحرُثُ الأرضَ ، ويبذرُ الحبَّ ، ولا يعلمُ ما يجري ، واللهُ هو الذي يُنبتُ الزرعَ .

٥ـ الماءُ العذبُ الذي نشربُهُ ، اللهُ قادرٌ على أنْ يجعلَهُ ماءً شديدَ الملوحَةِ ، ولكنه رحمةً بنا جَعَلَهُ عذباً .

٦ـ النارُ مِنْ أعظمِ نِعَمِ اللهِ في هذهِ الدُّنيا ، وهيَ تذكِّرُنا بنارِ الآخرةِ .

٧ـ على الدُّعاة أن يستفيدوا من هذه الآيات في مُواجَهَةِ الكُفْرِ والكافرين ، وَدَعْوَتِهِمْ بالدَّلائِلِ الكونيّةِ التي تَعْرِضُها الآياتُ القرآنيةُ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ كَمْ دَليلاً ساقَتِ الآياتُ على وحدانيةِ اللهِ وقدرتِهِ على البعثِ ؟

ب ـ اذكُرْها مُرَتَّبَةً كما جاءَ في الآياتِ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿فلولا تُصدِّقونَ﴾ .

ب ـ ﴿وما نحن بمسبوقينَ﴾ .

ج ـ ﴿فظلتُم تَفَكَّهونَ﴾ .

د ـ ﴿إنا لَمُغْرَمُونَ بل نحنُ محرومونَ﴾ .

هـ ـ ﴿تُورونَ﴾ .

٣ـ خُتِمَتِ الآياتُ بقولِ اللهِ تعالى ﴿فَسَبِّحْ باسمِ ربِّك العظيمِ﴾ ، ماالحكمةُ في ذلكَ ؟

٤ـ كيف تَسْتَدِلُّ مِنْ كُلٍّ مِمّا يَلي على قدرةِ اللهِ تعالى :

أ ـ أصلِ الإنسان .

ب ـ الزَّرْعِ .

ج ـ الماءِ .

د ـ النّارِ .

نشاط :

اكتُبْ في دفترِكَ حديثاً شريفاً يَدُلُّ على نسبةِ نارِ الدُّنْيا إلى نارِ الآخرة .

* * *

الدَّرسُ الأربعونَ

سُورَةُ الواقِعَةِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

فلا أُقْسِمُ بمواقعِ النُّجومِ : يُقسمُ اللهُ بمواقعِ النجومِ ، وهيَ مواضِعُها في الفضاءِ .

إنهُ لقرآنٌ كريمٌ : كثيرُ الفوائدِ والمنافعِ .

مكنونٍ : مصونٍ عن غيرِ المقربينَ وهو اللّوحُ المحفوظُ .

لا يمسُّهُ إلا المطهَّرون : لايطّلعُ عليهِ إلا الملائكةُ المقرَّبونَ .

مُدْهِنونَ : متهاونونَ .

وتجعلونَ رزِقَكُم أنكُم تُكَذِّبونَ : تظنونَ أنّ كفرَكُم هو سببُ رزقِكُم .

إذا بلغتِ الحُلْقومَ : إذا وصلتْ روحُ المحتَضَرِ حُلْقومَهُ وأوشكتْ على مفارقة جسدِهِ .

تَرجعونَها : تردُّونَها .

غيرَ مَدينينَ : غيرَ خاضعينَ لسلطانِ اللهِ .

فَرَوْحٌ : فَرَحٌ وسرورٌ .

فَنُزُلٌ مِنْ حميم	: عذابٌ شديدٌ بحرارةِ النّارِ .
وتصليةُ جحيمِ	: إدخالٌ في النّارِ .
اليقينِ	: العلمِ الذي لا شكَّ فيهِ .

التفسيرُ :

هذا الدَّرْسُ قسمانِ : الأولُ يُمجِّدُ القرآنَ ، والثاني يتكلّمُ عن احتضارِ الإنسانِ وجزائِهِ ، إمّا إلى الجنانِ والرّوحِ والرّيحانِ ، وإمّا إلى النّيرانِ .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

هذا هو القِسْمُ الأولُ الذي تتحدثُ فيهِ الآياتُ عَنْ عَظَمَةِ القرآنِ ، فيقسمُ اللهُ في مُفْتَتَحِ الآياتِ بمواقعِ النُّجومِ ، وهوَ قَسَمٌ عظيمٌ ، فبعضُ النجومِ بعيدةٌ عنّا ملايينَ السَّنواتِ الضَّوْئيّةِ ، وبعضُ النجومِ انطفأَ وما زالَ نورُهُ ينبعثُ لطولِ المسافةِ .

يقسمُ اللهُ بهذهِ الحقيقةِ الكونيّةِ على حقيقةٍ إيمانيّةٍ دينيّةٍ ، هي عظمةُ هذا القرآنِ ونفعُهُ : إنه لقُرآنٌ كريمٌ مكتوبٌ في اللوحِ المَحْفوظِ ، وهو الكتابُ المكنونُ الذي لا يَطّلعُ عليهِ إلا الملائكةُ المقربونَ .

فهلَّ أنتُم أيُّها الكافرونَ متهاونونَ في شأنِ هذا القرآنِ على جليلِ قدرِهِ وعظيمِ شأنِهِ ، وتظنونَ أنّكُم تُرزقونَ بكفرِكِم بهِ وبقائِكُم على الأوثانِ ؟

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

هذا هو القسمُ الثاني مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ، يَبتدىءُ بتصويرِ مشهدِ الاحتضارِ والموتِ فيقولُ : هلاّ إذا بلغتْ روحُ أحدِكُم حلقومَهُ ، وأوشكتْ أنْ تفارقَهُ ، وأنتمْ حولَ الميِّتِ تنظرونَ ، واللهُ أقربُ إلى الميِّتِ منكُمْ ولكنّكُم لا تُبصرونَ أرجعتموها إليه إنْ كنتُم غيرَ خاضعينَ لسلطانِ اللهِ وقهرِهِ لكمْ بالموتِ؟

إنّكُم بعدَ الموتِ ستواجهون جزاءَكم ، فأما إن كانَ الميتُ من المقربينَ ففرحٌ ينتظرُهُ وسرورٌ

وهناءٌ وحبورٌ ، وأمّا إن كانَ من أصحابِ اليمينِ فإنّ الملائكةَ تسلِّمُ عليهِ منْ كلِّ بابٍ ، وإن كانَ من المكذّبينَ الضالّينَ فإنّ منزلَهُ في جهنم وطَعَامَهُ من جَهَنَّمَ ، يدخُلُ النّارَ لِيَصْلى عذابَها ، إنَّ هذا الجزاءَ هو حقُّ اليقينِ ، والعلمُ الذي لا شكَّ فيهِ ، وهو واقعٌ لا محالةَ ، فَسَبِّحْ باسمِ ربِّكَ العظيمِ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القرآنُ عظيمٌ لا يعلمُ قدْرَهُ إلا مُنَزِّلُهُ سبحانَهُ .

٢ـ القرآنُ مكتوبٌ في اللّوحِ المحفوظِ الذي لا يَصِلُ إليهِ إلا الملائكةُ المقرَّبونَ .

٣ـ لا يستطيع إرجاعَ الرّوحِ إلى الميتِ بشرٌ مهما بلغَ من العلمِ والقوةِ .

٤ـ جزاءُ المؤمنينِ الجنانُ ، وجزاءُ الكافرينَ النّيرانُ .

٥ـ الآخرةُ يقينٌ لا شكَّ فيهِ ، ولكنَّ الكافرينَ يُضِلّونَ أنفسَهم حتى يَرَوُا العذابَ الأليمَ .

التقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِمَ أقسمَ اللهُ على عَظَمَةِ القرآنِ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿إنه لقرآنٌ كريمٌ﴾ .

ب ـ ﴿في كتابٍ مكنونٍ لا يمسُّهُ إلا المطهّرونَ﴾ .

ج ـ ﴿مدينينَ﴾ .

٣ـ ماالَّتي تحدّاهُم القرآنُ أنْ يُرْجِعوها ؟

٤ـ بيّنَتِ الآياتُ ثلاثةَ أقسامٍ من النّاسِ ، وَبَيَّنتْ جزاءَ كُلِّ قسمٍ ، وضِّحْ ذلكَ مَعَ الدّليل .

نشاط :

افتُتِحَتِ السُّورَةُ بذكرِ أصنافِ النّاسِ يومَ القيامةِ ، واختتمتْ بذكرِ أصنافِ الناسِ يومَ القيامةِ .
وضِّحْ ذلكَ واكتُبهُ في دفترِكَ .

الدَّرسُ الحادِي والأربعونَ

سُورَةُ الحَديدِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ الحَديدِ مدنيةٌ وآياتها تسعٌ وعشرونَ آيةً ، وترتيبُها في المصحفِ السّابعةُ والخمسونَ ، وسُمِّيَتِ (الحديدَ) لأنَّه ذُكرَ فيها ، وموضوعُها تقريرُ وحدانيةِ اللهِ بالدلائلِ الكونيّةِ ، والدعوةُ إلى الإنفاقِ واستباقِ الخيرِ ، والكلامُ عَنْ أَهْلِ النّفاقِ .

معاني المُفرداتِ :

سبَّحَ للهِ ما في السماواتِ والأرضِ : نزَّهَ اللهَ عمّا لا يليقُ به جميعُ العوالِم في السّماواتِ والأرضِ .

العزيزُ : القادرُ على كلِّ شيءٍ ، الذي لا يُغْلَبُ .

هو الأوّلُ : هو السابقُ لجميعِ الموجوداتِ ، إذ هُوَ مُوجِدُها .

والآخِرُ : الباقي بعدَ فناءِ كلِّ شيءٍ .

والظّاهرُ : الظاهرُ وجودُهُ بالأدلّةِ الواضحةِ .

والباطنُ	: المحتجبُ عن إدراكِ الأبصارِ والحواسِّ ، والعالمُ بما بَطَنَ .
ثُمَّ اسْتَوى على العَرْشِ	: استواءً يليقُ بهِ ، بلا كيفٍ ولا تمثيلٍ .
العَرْش	: أعظمُ مخلوقات الله ، وأطهرُها وأكْرمُها وأكبرُها .
ما يَلجُ في الأرضِ	: ما يدخلُ في الأرضِ من ماءٍ وبذرٍ وحيواناتٍ أو غيرِ ذلكَ .
ما ينزِلُ منَ السّماءِ	: ما ينزلُ من السّماءِ من مطرٍ أو ملائكةٍ أو عذابٍ أو غيرِ ذلكَ .
وما يَعْرُجُ فيها	: وما يَصْعَدُ إليها منَ الأعمالِ والملائكةِ .
وَهُوَ مَعَكُم	: وهوَ مَعَكُم بِعلمِهِ المحيطِ ، فهوَ عالمٌ بكم أينما كنتم .
يولجُ	: يُدخِلُ .
عليمٌ بذاتِ الصدورِ	: يعلمُ ما تحتوي عليهِ الصدورُ من نيّاتٍ ومعتقداتٍ .

التفسيرُ :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ ﴾ .

هذه الآياتُ كلُّها في التَّعْريفِ باللهِ ، ابتدأتْ بتقريرِ أنّ الكونَ كلَّه بما فيه من سَماواتٍ وأرضٍ ، وما فيهما ، وما بينَهما يُنَزِّهُ اللهَ تعالى عَنْ كلِّ مالا يليقُ بهِ ، وهو ـ سبحانهُ ـ القويُّ الظاهرُ الذي لا يغلِبُهُ أحدٌ ، وهو الحكيمُ الذي يضعُ الأمورَ في نصابِها ومواضِعها ، وهو الذي له مُلْكُ السّماواتِ والأرضِ ، وهو الذي يحيي ويميتُ ، وهو القادرُ على كلّ شيءٍ ، وهوَ قبلَ الموجوداتِ ، فهو الأوّلُ ، وهو باقٍ بعدَ فنائِها فهوَ الآخِرُ ، وأدلّةُ وحدانيتِهِ واضحةٌ ظاهرةٌ ، فهو الظاهرُ ، ولكنّهُ بذاتِهِ محتجِبٌ عن الأبصارِ والحواسِّ ، فهو الباطنُ ، وهو عليمٌ بكلِّ شيءٍ .

هو الذي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ ، لا خالقَ مَعَهُ ، ولا خالقَ سواهُ ، خلقَها في ستّةِ أيامٍ لحكمةٍ عظيمةٍ ، وهوَ قادرٌ على خلقِها في لمحةِ عينٍ ، ثمَّ استوى على العرش استواءً يليقُ بجلالِهِ سبحانَهُ .

يعلمُ كلَّ ما يدخلُ في الأرضِ من ماءِ مطرٍ وبذرٍ وحبٍّ وحيواناتٍ وحشراتٍ وغيرِ ذلك . ويعلمُ ما يخرجُ منها من نبات أو حيوانٍ أو معادنَ أو سوى ذلكَ ، ويعلمُ ما ينزلُ من السَّماءِ من ماءٍ وملائكةٍ

ورزقٍ وعذابٍ للكافرين وغيرِ ذلك ، وهو بعلْمِهِ معكُم أينَ ما كنتُم ، والله ُبالذي تعملونَ بصيرٌ .

﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦ ﴾ .

ولله وَحْدَهُ ملكُ السماواتِ والأرضِ ، وإلى اللهِ مَرَدُّ الأمرِ كلِّهِ ، ومرجعُهُ إليهِ وَحْدَهْ ، يُدخِلُ اللّيلَ في النهارِ فيحلُّ الظلامُ تدريجياً محلَّ النهارِ ، ويُدْخِلُ النهارَ في الليلِ فيحلُّ النورُ والنهارُ تدريجياً محلَّ الليلِ بالتناوبِ ، وهوَ ـ سبحانَهُ ـ عليمٌ بالذي تَخْتَزِنُهُ الصُّدورُ من نياتٍ وعقائدَ ، لا يخفى عليهِ شيءٌ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كلُّ ما في الكونِ مُسَبِّحُ للهِ .

٢ـ عَرَّفَنا اللهُ على جُملةٍ مِنْ أسمائِهِ الحُسْنى منها : والعزيزُ والحكيمُ ، الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ والعليمُ .

٣ـ اللهُ تعالى وَحْدَهُ هُو الخالقُ ، والمالكُ ، والمدبِّرُ ، ومَرجعُ الأمورِ إليهِ .

٤ـ علمُ اللهِ محيطٌ شاملٌ ، فهوَ يعلمُ كلَّ أسرارِ الأرضِ ، والسَّماءِ ، ونياتِ البشرِ .

٥ـ اللهُ باقٍ بعدَ كلِّ شيءٍ ، وكانَ قبلَ أنْ يوجدَ أيُّ شيءٍ .

٦ـ من حكمةِ اللهِ أنْ خلقَ السماواتِ والأرضَ في ستّةِ أيامٍ ليعلِّمَنا الصَّبْرَ والأناةَ .

٧ـ استشعارُ معيةِ اللهِ مهمٌّ جدّاً في تقوى المسلمِ وانضباطِهِ .

٨ـ اللهُ سُبْحانَهُ اسْتَوى على العَرْشِ اسْتِواءً يَليقُ بِجَلالِهِ .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ علامَ يدلُّ تكرارُ العِلْمِ في الآياتِ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿سبّحَ للهِ ما في السماواتِ والأرضِ﴾ .

ب ـ ﴿العزيزِ الحكيمِ﴾ .

ج ـ ﴿يعلمُ ما يَلِجُ في الأرضِ﴾ .

د ـ ﴿وما ينْزِلُ من السَّماءِ وما يخرُجُ منها﴾ .

هـ ـ ﴿يولِجُ اللّيلَ في النهارِ ويولِجُ النهارَ في اللّيلِ﴾ .

٣ـ عَدِّدْ أَسْماءَ اللهِ وصفاتِهِ التي ذكرتْ في آياتِ الدَّرْسِ .

٤ـ ماذا نفيدُ مِنْ قوله تعالى : ﴿وهوَ مَعَكُم أينما كنْتُم﴾ ؟

نشاط :

اكتُبْ في دفترِك ما قالَهُ الإمامُ مالكٌ عندما سُئِل عن تفسيرِ « اسْتَوى على العَرْشِ » .

* * *

الدرس الثاني والأربعون

سُورَةُ الْحَديدِ ـ القِسْمُ الثَّاني

ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَاتٍۭ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

معاني المُفْرداتِ :

مُسْتَخْلَفين فيهِ	: موكَّلينَ في المالِ .
وللهِ ميراثُ السَّماواتِ والأرضِ	: يَرِثُ كلَّ شيءٍ فيهما ، ولا يبقى لأحدٍ مُلْكٌ ولا مالٌ .
لَرَؤوفٌ	: الرأفةُ هي الرّحمةُ المتناهيةُ ، والرؤوفُ هو الذي تناهتْ رحمتُهُ .
مِنْ قبلِ الفتحِ	: من قبلِ فتحِ مكةَ .
الحُسْنى	: المثوبةُ الحسنى وهي : الجنَّةُ .
يُقرِضُ اللهَ	: يتصدَّقُ بمالِهِ ، راجياً الأجرَ والثوابَ منَ اللهِ .

التفسيرُ :

﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ

﴿ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ .

آياتُ هذا الدَّرْسِ تبيِّنُ فضلَ الإنفاقِ في سَبيلِ اللهِ .

وهي تبتدِىءُ بالأمرِ بالإيمانِ ، ولمّا كانَ المأمورونَ بالإيمانِ مؤمنينَ ، فإنَّ المَعْنى يكونُ بزيادةِ الإيمانِ أو الثباتِ والدَّوام عليهِ ، الآيةُ تطلبُ من المؤمنينَ أن يؤُمنوا باللهِ ورسولِهِ ، وتطلبُ منهم بعدَ هذا الإيمانِ ، الإنفاقَ من المالِ الذي جعله اللهُ في أيديهم ، وجعلَهُم موكّلينَ بهِ ومستخلفينَ عليه . وقد رتَّبَ اللهُ على الإيمانِ والإنفاقِ الأجرَ الكبيرَ .

وتسألُ الآيةُ الثانيةُ : وما الذي يمنعُكُم من الإيمانِ باللهِ والرَّسولُ يدعوكُم إلى هذا الإيمانِ ؟ وقد أخذَ عليكُمُ الميثاقَ بالإيمانِ ، فَلِمَ لا تؤمنونَ الإيمانَ الكاملَ الحقَّ ؟ وبيّنتِ الآيةُ الثالثةُ أنَّ اللهَ تعالى يُنزِّلُ على رسولِهِ وعبدِهِ آياتٍ واضحاتٍ ليخرجَ المؤمنينَ من الظلماتِ إلى النّورِ ، واللهُ تعالى بعبادهِ رؤوفٌ رحيمٌ .

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ .

وتسألُ الآيةُ الرابعةُ منْ هذهِ الآياتِ : وما الذي يمنعُكُم من الإنفاقِ في سبيل اللهِ ؟ واللهُ تعالى لهُ ميراثُ السّماواتِ والأرض ، فمُلْكُها صائرٌ إليهِ تماماً ، يومَ لا يملِكُ أحدٌ من الخلْقِ شيئاً من الملْكِ ، فإنْ كانَ لكمْ في الدنيا مِلكٌ واستخلافٌ فإنَّ الآخرةِ لا مُلكَ فيها لأحدٍ إلا الله ، وبينتِ الآيةُ أنّ الذينَ سبقوا بالإنفاقِ منَ المؤمنينَ فأنفقوا من أموالِهم من قبلِ فتحِ مكةَ ، وقاتلوا في سبيل اللهِ ، هؤلاءِ أجرُهُم أعظمُ من الذينَ أنفقوا بعدَ الفتحِ وقاتلوا ، وللفريقين ـ مَنْ أَنْفَقَ وقاتلَ قبلَ الفَتْحِ ، ومَنْ أَنْفَقَ وقاتَلَ بَعْدَ الفَتْحِ ـ لِكِلَيْهِما الوعدُ بالحُسْنى عندَ اللهِ ، وهي الجنّاتُ ، واللهُ مطَّلعٌ على أعمالِ الخلقِ .

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ .

وَسَألَتِ الآيةُ الخاتمةُ للمجموعةِ : منْ هذا الذي يُنفِقُ في سبيلِ اللهِ راجياً الأجرَ والثوابَ فكأنَّهُ يُقرضُ اللهَ قرضاً حسناً ، فيضاعفَ اللهُ له نَفَقَتَهُ في الدنيا والآخرةِ ، وله أجرٌ كريمٌ عند ربِّهِ تبارك وتعالى ؟

دروسٌ وعبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ على المُؤمِنِ أن يتعاهَدَ إيمانَهُ ويقوّيَهُ ويثبتَ عليه .

٢ـ الإنفاقُ في سبيلِ اللهِ من علاماتِ الإيمانِ باللهِ .

٣ـ المالُ للهِ ، ونحن مُسْتَخْلَفُونَ فيهِ ، والمنفِقُ في سبيلِ اللهِ كأنّما يقْرِض الله تعالى .

٤ـ الحياةُ ميدانُ تنافسٍ وتسابقٍ في الخيرِ ، وبعضُ الأعمالِ أعظمُ أجراً مِنْ غيرِها .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَوْضُوعُ آياتِ هذا الدَّرْسِ ؟

٢ـ أ ـ كَمْ مَرَّةً تكرَّرتْ مادةُ (أنفقَ) في هذا الدَّرْسِ ؟

ب ـ وعلى ماذا يَدلُّ ذلكَ ؟

٣ـ أ ـ مَنِ المالِكُ الحقيقيُّ للمالِ ؟

ب ـ وعلى أيِّ شيءٍ يدلُّ ذلكَ ؟

٤ـ ما مَعْنى أمْرِ المؤمنينَ بالإيمانِ ؟

٥ـ أ ـ كَمْ مَرّةً جاءَ الاسْتِفهامُ في هذهِ الآياتِ ؟

ب ـ وعن أيِّ شيءٍ كانَ ذلكَ ؟

٦ـ بيِّن مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿وللهِ ميراثُ السماواتِ والأرضِ﴾ .

ب ـ ﴿لا يستوي منكمْ منْ أنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتلَ﴾ .

ج ـ ﴿يقرضُ اللهَ قرضاً حسناً﴾ .

٧ـ ما الحكمةُ في جعلِ أجرِ الإنفاقِ والقتالِ قبلَ الفتحِ أعظمَ مِمّا كانَ بعدَ الفتحِ ؟

نشاط :

متى كان فَتْحُ مَكَّةَ ؟ اكتُبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ والأربَعُونَ

سُورَةُ الْحَديدِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

بينَ أيديهِم	: أمامَهُم .
انْظُرونا	: انتَظِرونا .
نَقْتَبِسْ مِنْ نورِكُم	: نمشي ونستضيءُ بنورِكم .
فضُرِبَ بينَهم بِسُورٍ	: فجُعِلَ بين المؤمنينَ والمنافقين سورٌ وحاجزٌ .
فتَنتُمْ أنفسَكُم	: أَهْلَكْتُموها بالنِّفاقِ .
وتربَّصتُم	: انتظرتُم بالمؤمنينَ الحوادثَ المهلكةَ .
وارتبتُم	: تشكَّكْتُم .
وغرَّتكُمُ الأمانيُّ	: خَدَعتْكُم أطماعُكُمُ الفارغةُ ، وآمالكمُ الكاذبةُ .
وغرَّكُم باللهِ الغَرورُ	: خدعَكُمُ الشيطانُ فأطمَعَكُم في النَّجاةِ .
فديةٌ	: مالٌ يُدفَعُ مقابلَ إطلاقِ السَّراحِ .
هي مولاكُم	: النارُ أولى بِكُم .



مَوْضوعُ هذهِ الآياتِ أجرُ المؤمنينَ ، والفصْلُ بينهم وبينَ المنافقينَ يومَ القيامةِ .

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

هذه الآيةُ في أَجْرِ المؤمنينَ المنفقينَ يومَ القيامةِ .

تقول : يومَ القيامةِ ترى المؤمنينَ والمؤمناتِ نورُهم يسعى ويضيءُ أمامَهُم ، فبينَ أيديهِم نورٌ أمامهم ، وعن يمينِهم نورٌ ، وتُبَشِّرُهُم الملائكةُ تقولُ لهم : بشراكمُ اليومَ جناتٌ تجري من تحتِها وخلالَها الأنهارُ خالدين فيها ، وذلكَ الفوزُ العظيمُ .

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

هذهِ الآياتُ تتحدثُ عن المنافقينَ وكيفَ يُفصَلُ بينهم وبين المؤمنينَ المنفقينَ . فيومَ القيامةِ يقولُ المنافقونَ للمؤمنينَ : تَمهَّلوا في السَّيْرِ ، وانتَظِرونا حتى نسيرَ على نورِكُم وفي ضوئِكم ، فيردُّ عليهمُ المؤمنونَ ساخرينَ منهم : ارجعوا وراءَكم إلى الدُّنيا ، فاعْمَلوا حَتّى يكونَ لكمْ نورٌ هنا ، ولا عودَ إلى الدنيا إنّما هو طلبُ المحالِ تعنيفاً لهمْ ، فيُضْرَبُ عندَ ذلكَ بسورٍ حاجزٍ بين المؤمنينَ والمنافقينَ من جهةِ المؤمنين ، فيه رحمةٌ ، وظاهرُهُ أيْ من جهةِ المنافقينَ عذابٌ ونارٌ .

فينادي عندَ ذلك المنافقونَ المؤمنينَ : ألسنا كنّا مؤمنينَ مَعَكُم ؟ فيقال لهم : بلى ، كنتمُ ، ولكنَّكُم فتنتُم وأهلكتُم أنفسَكُم بالنِّفَاقِ ، وتشكَّكْتُم وتربصتُم وانتظرتُم بالمؤمنينَ أن تدورَ عليهمُ الدَّوائرُ . وخدعتْكُم أطماعُكم وآمالُكُم فصدَّتكُم عن سبيلِ اللهِ ، وغرَّكَم الشيطانُ ، وخدعَكُم ، وأطمَعَكُم برحمةِ اللهِ ، ونجاتِكم من عقابِهِ .

ولا يزالُ الشيطانُ بالإنسانِ يَغرُّهُ ويُغريهِ بحلْمِ اللهِ حتى يوقِعَهُ في الهلَكَةِ ، وظللتُم على هذا الحالِ حتى جاءَ أمرُ اللهِ ، ومتُّم وبُعثْتُم ، فاليومَ لا فديةَ تقبلُ منكُم ، ولا من الذين كفروا ، ومصيرُكم إلى النّارِ ، وهي أولى بكمْ فبئسَ المصيرُ والمآلُ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المؤمنونَ يومَ القيامةِ يسيرونَ ولهمْ نورٌ أمامَهم ، وعَنْ أَيْمانِهِم .

٢ـ يُفْصَلُ بينَ المؤمنينَ والكافرينَ يومَ القيامةِ بسورٍ حاجزٍ ، منْ جهةِ المؤمنينَ رحمةٌ ، ومنْ جهةِ الكافرين عذابٌ .

٣ـ الإنسانُ هو الذي يختارُ الإيمانَ أو يختارُ النِّفاقَ والكفرَ ، وكلُّ واحدٍ يجدُ جزاءَهُ العادلَ يومَ القيامةِ .

٤ـ المنافقونَ لم يكونوا يتوقَّعونَ ظهورَ الإيمانِ ، وغَرَّهمُ الشيطانُ .

٥ـ المنافقونَ مصيرُهم يومَ القيامةِ النَّارُ مَعَ الكفارِ ، مثلما كانتْ قلوبُهم مَعَهُم في الدُّنيا ، ولا يستطيعونَ فديةَ أنفسِهم أبداً .

التقويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ ـ كم مَرَّةً تردَّدَتْ كلمةُ « يوم » في آياتِ الدَّرْسِ ؟

ب ـ وما دلالةُ ذلكَ ؟

٢ـ ما جزاءُ المؤمنينَ والمؤمناتِ يومَ القيامةِ ؟

٣ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿انظرونا نَقْتَبِسْ من نورِكُم﴾ .

ب ـ ﴿ارْجِعوا وَراءَكم فالْتَمِسوا نوْراً﴾ .

ج ـ ﴿فَضُرِبَ بينهم بسورٍ له بابٌ﴾ .

د ـ ﴿فَتَنْتُم أنفسَكُم﴾ .

هـ ـ ﴿وَتَرَبَّصتُم وارتبتُم﴾ .

٤ـ اذكر بلغتكَ الحوارَ الذي يكونُ بين المؤمنينَ والمنافقينَ يومَ القيامةِ .

نشاط :

اكتُبِ الآيةَ الدالَّةَ على أنَّ الكافرينَ يتمنَّونَ الرُّجوعَ إلى الدُّنْيا .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ

سُورَةُ الْحَدِيدِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

أَلَمْ يَأْنِ : أَلَمْ يأتِ الوقتُ .

أنْ تخشعَ قلوبُهم : تلينَ قلوبُهم لذِكرِ اللهِ والقرآنِ .

الأَمَدُ : الأجلُ أو الزمانُ .

التفسيرُ :

الآياتُ في هذا الدَّرْسِ خطابٌ للمؤمنينَ كي تلينَ قلوبُهم لذكرِ اللهِ ، ولا يكونوا كالمُتَقَدِّمين الذين قَسَتْ قُلوبُهُم .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

تبتدِىءُ الآيةُ بسُؤالِ المؤمنينَ : ألَمْ يَحِنِ الوقتُ بعدُ لِتلينَ قلوبُكم لذكرِ اللهِ وما نزلَ من كتابِ اللهِ ، وهو الحقُّ ، ولا تكونوا كأهلِ الكتابِ الذين من قبلِكُم ، حيثُ طالَ عليهمُ الزمنُ ،

وبَعُدَ بهمُ العهدُ عنْ أنبيائِهم فتغيرتْ نفوسُهم ، وقسَتْ قلوبُهم ، ووَهَنَ إيمانُهم ، وكثيرٌ منهم خارجونَ عن الطاعةِ فاسقونَ ؟

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

ثم يشبِّهُ اللهُ كيفَ يحيي القلوبَ بضَرْبِهِ المثلَ بإحياءِ الأرضِ ، فقالَ : اعملوا أيُّها الناسُ ، وأيُّها المؤمنونَ على وجهِ الاختصاصِ ، أنَّ الله يُحيي الأرضَ بعدَ موتِها ، وهو قادرٌ على أن يُحْيِيَ القلوبَ بعد قسوتِها ، قد وضّحنا لكمُ الآياتِ من أجلِ أن تَعْقِلوا كلامَ اللهِ .

ثُمَّ قَرَّرتِ الآيةُ التاليةُ ، وهي الثالثةُ في المجموعةِ أنَّ المتصدِّقينَ والمتصدِّقاتِ ، الذينَ أقرضوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً ، سَيُضَاعِفُ اللهُ لهمُ الأجر على صدقاتِهم وقَرْضِهم ، ولهم أجرٌ كريمٌ .

والمؤمنونَ باللهِ ورُسُلِهِ هم بمنزلةِ الصِّدّيقينَ والشهداءِ المعروفينَ بعلوِّ درجاتِهم ، وهؤلاءِ جميعاً لهم أجرُهُم ، لهمْ نورُهُم يومَ القيامةِ ، أما الكافرونَ المكذِّبونَ بآياتِ اللهِ فأولئكَ أصحابُ الجحيمِ .

دروسٌ وعبرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المبادرةُ والمسارعةُ في الخيرِ ، فأجرُ المتصدِّقينَ عندَ اللهِ عظيمٌ .

٢ـ لينُ القلبِ من أعظمِ مِنَنِ اللهِ ، وقسوةُ القلبِ حجابٌ عَنِ اللهِ .

٣ـ لا يَصِحُّ منَ المؤمنينَ أنْ يكونوا مثلَ أهلِ الكتابِ في قسوةِ القلوبِ .

٤ـ حياةُ الأرضِ بالغيثِ كحياةِ القلبِ بالقرآنِ ، فهيَ تذكِّرُ بها .

٥ـ المؤمنونَ في ميزانِ اللهِ مَعَ الصِّدِّيقينَ والشهداءِ .

التقويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿ألمْ يأنِ﴾ .

ب ـ ﴿أنْ تخشعَ قلوبُهُم لذكرِ اللهِ وما نزَلَ من الحقِّ﴾ .

٢ـ ما المقصودُ مِنْ حَديثِ الآية عن إحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها ؟

٣ـ اذكُر بعضَ أوصافِ المؤمنينَ الواردةِ في آياتِ هذا الدَّرْسِ .

٤ـ بمَ شبَّهَ اللهُ تعالى قلوبَ العبادِ ؟

٥ـ يستفادُ منْ آياتِ الدَّرْسِ عَدمُ القنوطِ من رحمةِ اللهِ تعالى ، وضِّحْ ذلكَ مَعَ الدّليلِ .

نشاط :

تدبَّرْ هذهِ الآيَةَ واسْتَنْتِجْ دَرْساً مفيداً منها .

* * *

الدَّرْسُ الخامسُ والأربعونَ

سُورَةُ الْحَدِيدِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

غَيْثٍ	: مَطَرٍ يَسْقي الأرضَ والشجرَ والإنسانَ .
الكفَّارَ	: الزُرَّاعَ وهي جمعُ كافرٍ ، أيْ : زارع .
يَهيجُ	: يَيْبَسُ .
حُطاماً	: فُتاتاً متكسِّراً .
متاعُ الغُرورِ	: متاعٌ زائلٌ يغتَرُّ بهِ الجاهلونَ .
سابقوا	: سارِعوا .
نَبْرَأها	: نخْلقَها .
لكي لا تَأْسَوْا	: لكي لا تحزَنوا .
على ما فاتَكُم	: على ما ضاع منْكُم مِنْ نِعَمِ الدنيا .
ولا تَفْرَحوا	: فَرَحَ بَطَرٍ .

مُخْتالٍ : متكبِّرٍ .

فَخور : يُتباهىَ على الناسِ بمالهِ وجاهِهِ .

الحميدُ : المستحقُّ الحمدَ .



التفسيرُ :

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ .

هاتان الآيتانِ تُبيّنانِ موقِفَ كلٍّ من الكافرِ والمؤمنِ مِنَ الدُّنيا : أما الكافرُ فإنّ الدُّنْيا تَشْغَلُهُ ، والدنيا إنّما هي لعبٌ لا ثمرةَ لهُ سوى التَّعَبِ ، ولهوٌ شاغلٌ عَمّا يُغني ، وزينةٌ لا قيمةَ حقيقيّة وراءَها ، وتباهٍ بمكاثرةِ الأولادِ والأموالِ ، وهذه الدُّنْيا مَثَلُها كَمَثَلِ غيثٍ أصابَ الأرْضَ ، فأنبتتْ نبتاً أعجبَ الزُّرّاعَ ، وبينما كان النباتُ في أوجِ الاخضرارِ أصابتْهُ آفةٌ فتبدَّلَ إلى حُطام ، وأصابَهُ الاصفرارُ ، وأما في الآخرةِ فإنَّ العذابَ الشديدَ للكافرينَ في الانتظارِ . وأما المؤمنونَ فلهمُ الجنةُ والمغفرةُ والرِّضوانُ والأنهارُ في الانتظارِ ، وليست الحياةُ الدنيا إلا متاعَ الغُرورِ ، يَغتَرُّ بها الجاهلونَ والكافرونَ ، أما المؤمنونَ فلا يغترون بها ، وإنما يستخدمونها لطاعةِ اللهِ .

وتخاطِبُ الآيةُ التاليةُ المؤمنينَ أن يجعلوا الدُّنْيا ميدانَ تنافسٍ في الخيرِ وتسابقٍ في العملِ الصالحِ ، فتقولُ لهم : سارِعوا وسابقوا إلى مغفرةِ اللهِ ، وجنّةِ اللهِ التي عرضُها كَعَرْضِ السَّماءِ والأَرْضِ ، ولا يعلمُ حالَ هذهِ وتلكَ إلا اللهُ ، لكنَّها قُرِنَتْ بالسَّماءِ للتعظيمِ ، هذهِ الجنةُ أعدَّها اللهُ للذينَ آمنوا باللهِ ورسلهِ ، وهذا الإيمانُ فضلُ اللهِ يختصُّ بهِ مَنْ يشاءُ ، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ ، والجودِ الذي لا ينتهي .

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

تتحدثُ هذهِ الآياتُ عن المصائبِ التي تُصيبُ الإنسانَ في الدّنيا ، فتقولُ الآيةُ الأولى : إنه

لا مصيبةَ تقعُ في الدنيا في الأرضِ أو الأنفسِ إلا وهي مسجّلَةٌ في اللوحِ المحفوظِ منْ قَبلِ أنْ تقعَ ، ومِنْ قبل أن يَخلُقَ اللهُ الأرضَ ، وذلكَ الأمرُ يسيرٌ على اللهِ .

وإنَّما أخبَرَنا بهذا لكَيلا نحزنَ على ما فاتَنا من نعيمِ الدُّنيا ، ولكيلا نفرحَ فرحاً مُطغياً بما آتانا اللهُ منه ، واللهُ لا يحبُّ كل متكبرٍ مباهٍ بمالِهِ وجاهِهِ ، وإنَّ الذينَ يبخلونَ بأموالِهِم ، ويأمرونَ الناسَ بالبخلِ ، لا يحبُّهُمُ اللهُ ، فهم المفتخرونَ بالأموالِ ، ومن يُعرِضْ عنِ اللهِ ، ويستغنِ بمالِهِ ، فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنهُ ، وهوَ ـ سبحانَهُ ـ مستحقُّ الحمدِ .

دروسٌ وعِبَرٌ :

ترشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الدُّنْيا التي يتهالَكُ عليها الكفارُ ليستْ إلا لعباً ولهواً لا قيمةَ حقيقية لها .

٢ـ الآخرةُ في نظرِ المؤمنِ هي التي تستحقُّ الجهدَ والعملَ ، فهيَ الباقيةُ ، ونعيمُها النعيمُ ، وبؤسُها البُؤسُ .

٣ـ ضَرورَةُ المُسارَعةِ في الخيرِ والتسابُقِ في الصّالِحاتِ .

٤ـ الجنةُ عظيمةٌ فسيحةٌ لا يعلمُ سعتَها إلا منْ أوجدَها .

٥ـ كلُّ ما يصيبُ الناسَ مُسجَّلٌ في كتابٍ ، مما يجعل المسلمَ يستسلِمُ لأمرِ اللهِ .

٦ـ لا حزنَ على ما فاتَنا ، ولا فرحَ بما أوتينا ولا خوفَ مِمّا هو آتٍ ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ عندَ اللهِ بمقدارٍ .

التقويم :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِمَ شَبَّهَ اللهُ الدُّنْيا . ؟

٢ـ عدِّدْ صِفاتِ الدُّنْيا التي ذكرتْها الآيةُ الكريمةُ .

٣ـ بيِّنْ مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿أعجبَ الكفارَ نباتُهُ﴾ .

ب ـ ﴿ثمَّ يهيجُ فتراهُ مصفرّاً ثم يكونُ حطاماً﴾ .

جـ ـ ﴿إلا في كتابٍ مِنْ قبلِ أنْ نَبْرَأَها﴾ .

د ـ ﴿لكيلا تأسَوْا على ما فاتَكُمْ﴾ .

هـ ـ ﴿والله ُلا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخورٍ﴾ .

٤ـ عَدِّدْ أَرْبَعاً مِنَ الصِّفاتِ التي لا يُحِبُّها الله مما ذكرتْه الآياتُ الكريمةُ ؟

٥ـ ما الحِكْمةُ من بيانِ حقيقةِ المصائبِ التي تُصيبُ الإنسانَ ؟

نشاط :

اكتُبْ في دفترِكَ الآياتِ مِنْ سُورَة الكَهْفِ التي تُبيِّنُ حالَ الدنيا .

* * *

سُورَةُ الْحَدِيدِ - القِسْمُ السّادِسُ

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

لميزانَ	العدْلَ في كُلِّ الأُمورِ ، وهو ما توزَنُ بهِ الأشياءُ .
القِسْطِ	بالعَدْلِ .
أنزلنا الحديدَ	خلقناهُ .
أسٌ شديدٌ	قوّةٌ وشدّةٌ .
قفّينا على آثارِهم	أرسلنا رسلاً بعدَهُم .
أفةً	لينا ورقّةً .
رحمةً	شَفقةً .

ورهبانيةً : الانقطاعَ عن الدنيا ، والمبالغةَ في العبادَةِ .

كِفْلَين : نصيبَيْنِ من الأَجْرِ .

فما رَعَوْها حقَّ رعايَتِها : ما حَفِظوها ، ولا صانوها حقَّ الصيانةِ والحفْظِ .

التفسيرُ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ﴾ .

هذهِ الآياتُ الثلاثُ في الرُّسلِ وما أُرسلوا بهِ . تبتدىءُ بتقريرِ أنّ اللهَ أرسلَ رُسُلَهُ بالبيانِ والأدلّةِ النَّيِّراتِ ، وأنَّهُ أنزلَ مَعَ الرُّسلِ الكتبَ والعدلَ ، ليقومَ الناسُ وتقومَ الحياةُ والمجتمعاتُ على الحقِّ والعدلِ ، وأنزلَ اللهُ الحديدَ منَ السَّماءِ بطريقَةٍ لا نَعْلَمُها .

هذا الحديدُ الذي سُميِّتْ باسمِهِ السُّورَةُ فيهِ قوةٌ وشدّةٌ ، وفيه الصِّناعةُ والآلاتُ ، والمنافعُ الكثيرةُ للنّاسِ .

والحديدُ مسخَّرٌ ليكونَ سلاحاً يَنصُرُ بهِ الحقَّ ؛ لِيعلَمَ اللهُ مَنْ ينصرُ دينَهُ ورُسُلَهُ بهذا السِّلاحِ ، واللهَ قويٌّ عزيزٌ لا يحتاجُ إلى النُّصْرةِ ، ولكنْ يختَبِرُ عبادَهُ .

ثمَّ تُقرِّرُ الآيةُ الثانيةُ أنَّ اللهَ أرسلَ نوحاً وإبراهيمَ ، وجَعَلَ في ذريَّةِ الاثنينِ ـ عليهما السَّلامُ ـ النبوَّةَ والكتابَ ، فمنَ الذرّيةِ والأتباعِ مؤمنٌ ، ومنهم فاسِقٌ .

وقرَّرتِ الآيةُ الثالثةُ أنَّ اللهَ أَلْحَقَ بهم عدداً مِنَ الرُّسُلِ ، وخصَّ منْ بينِهم عيسى بنَ مريمَ عليه السّلامُ ، الذي أعطاهُ اللهَ الإنجيلَ ، وجعلَ في قلوبِ أتباعِهِ من المسيحِيِّيْن أو منَ الحوارِيّينَ (أنصارِ عيسى عليه السّلامُ) على الخُصوصِ ، رقةً وشفقةً . وأمّا الرهبانيةُ ، وهي الغُلوُّ في العبادةِ والانقطاعُ عنِ الحياةِ والناسِ للتفرُّغِ لها ، فهي ابتداعٌ في الدِّينِ وإحداثٌ فيهِ ما ليسَ منهُ ، لم يكتبْها اللهُ عليهم ، ولكنَّهم ابتدعوها ليَتَقرَّبوا بها إلى اللهِ فما صانوها حقَّ الصيانةِ ، ولا رَعَوْها حقَّ الرِّعايَةِ ، فأعطينا المؤمنينَ منهُم أجرَهُم ، وكثيرٌ منهم فاسقونَ . . .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

وختامُ هذه السُّورَةِ أمرٌ بِتَقْوى اللهِ تعالى . فتبتدىءُ الآيَةُ الأولى بنداءِ المؤمنينَ أنْ يُداوِموا على تقوى اللهِ ، ويزدادوا منها ، وأن يؤمنوا برسوله ، لِيُضاعِفَ اللهُ لهمَ الأجرَ ضعفينِ ، ويؤتِيهم ثوابَهم مَرَّتَيْنِ ، ويجعلَ لهم نوراً يَسيرون بهِ في الحياةِ ، ويغفرَ لهمْ ذنوبَهم ، واللهُ غفور رحيمٌ .

وقد أعلَمَنا اللهُ بذلكَ لِيعلَمَ أهلُ الكتابِ أنَّهم لا يملكونَ شيئاً من فضلَ اللهِ ، ولا يقدرونَ على حَبْسِ شيءٍ منهُ عنْ عبادِ اللهِ ، وأنَّ الفضلَ كلَّهُ بيدِ اللهِ ، يؤتيهِ من يشاءُ ، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ .

دروسٌ وعِبَرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الرِّسالاتُ والرُّسلُ إنما بَعَثَهُمُ اللهُ لاستقامةِ الحياةِ .

٢ـ الكتابُ أساسُ العدلِ ، والعدلُ أساسُ الحياةِ .

٣ـ اللهُ يختَبرُ العبادَ بالجهادِ ، ولا يحتاجُ نُصرةَ أحدٍ ، وواجبٌ على المؤمنينَ استخدامُ القُوَّةِ .

٤ـ الرُّسلُ متعاقبونَ ، وهمْ منْ مظاهرِ رحمةِ اللهِ ، بحيثُ لا يخلو منهم مجتمعٌ .

٥ـ لا أحدَ يَمْنَعُ فضلَ اللهِ عنْ عبادِ اللهِ .

التقويم :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ كم مَرَّةً تَردَّدَتْ مادَّةُ « رُسُل » في الآياتِ ؟ وما الدّلالةُ ؟

٢ـ بيِّن مَعْنى ما يأتي :

أ ـ ﴿الميزانِ﴾ .

ب ـ ﴿لِيقومَ الناسُ بالقِسْطِ﴾ .

ج ـ ﴿أنزلْنا الحديدَ﴾ .

د ـ ﴿ورهبانيةً ابتدعوها﴾ .

هـ ـ ﴿فما رَعَوْها حقَّ رعايتِها﴾ .

و ـ ﴿لئلاَّ يعلمَ أهلُ الكتابِ ألاّ يقدرونَ على شيءٍ من فضلِ اللهِ﴾ .

٣ـ ما منافعُ الحديدِ ؟

٤ـ أ ـ كم نبيّاً ذكرتْهمُ الآياتُ ؟

ب ـ اذكر أَسْماءَهُم بالتَّرتيبِ كما ذَكرتْهم الآياتُ .

٥ـ أ ـ ما الفضلُ الذي أكرمَ اللهُ بهِ المؤمنينَ المتَّقينَ ؟

ب ـ أَيِّدْ إجابتَكَ بالدَّليلِ .

نشاط :

اكتبْ خمسَ صناعاتٍ يدخُلُها عُنصرُ الحديدِ .

* * *

مَراجِعُ الكِتابِ

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق ، الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٣ـ صفوة التفاسير ـ محمد علي الصّابوني ، دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م

٤ـ مختصر تفسير ابن كثير ـ محمد علي الصّابوني ، دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م

٥ـ صفوة البيان لمعاني القرآن ـ حسنين محمد مخلوف ، وزارة الأوقاف الكويتية ، الكويت ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٧م

٦ـ المُعْجَم المُفَهْرِس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م

* * *